روايات عبير

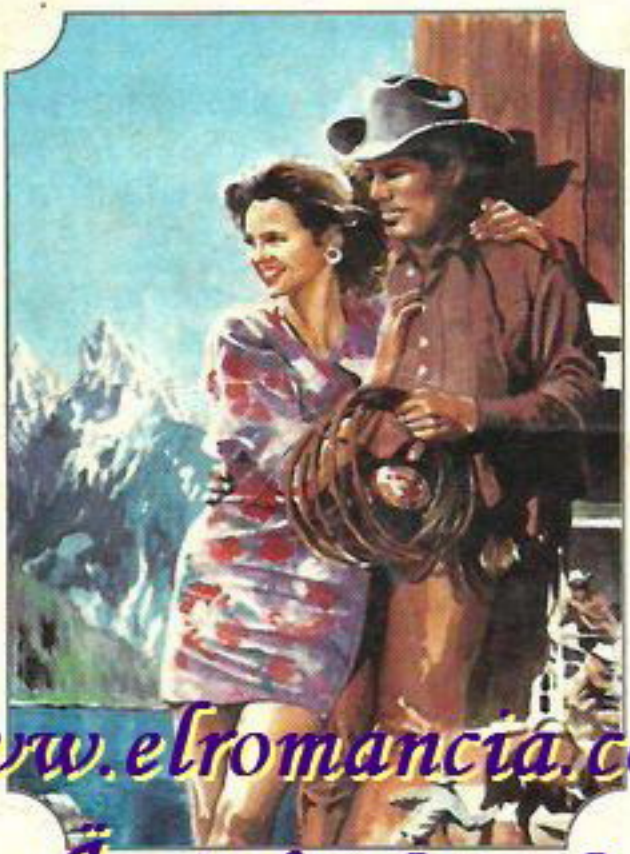

www.elromancia.com

مرمورية
السجينة السحناء

كاي سميث

٣١٩

روايات عبير

N 319

الحب... والمستحيل

مستبد رهيب... يحكم جزيرة "مازاردي"، في قلب بحيرة "ماجور"...

- إنّ هذا الرجل لخطير، أيتها الأخت الصغيرة ! احضري سريعاً، قبل أن يفوت الأوان...

طارت "ليا" الرقيقة إلى "إيطاليا". كانت تمتلك تلك البراءة، وهاتين العينين الصادقتين لفتاة شابة لم تجرب الحياة. لكنها وهي بين ذراعيه، هل ستستطيع التغلب على سيد البحيرة وحاكمها؟

لم يكن هناك شيء مستحيل، في تلك الجزر الساحرة...

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٤ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢,٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال

Canada	6 $
U.K.	2 £
U.S.A.	4 $
Greece	1500 drs
Cyprus	2 £
France	20 Fr.

www.elfonoun.com

www.elromancia.com

مقدمة

عندما تسلمت " ليا باريش" رسالة الاستغاثة من اختها الفاتنة "سيلينا"، لم يكن عليها إلا أن تهب لنجدتها .. تركت كل مسؤولياتها .. ورحلت مودعة هؤلاء المسنين الذين طالما أحبتهم وأحبوها ...

وسافرت .. طارت إلى" إيطاليا " .. حيث كانت أختها ... دخلت بقدميها إلى الأسر ... وقعت بين أحضان أسرها وسجانها ... ذلك الفاتن ، الساحر ، المستبد ، المتحكم : " ماكس ماسيمو مازاردي" .. ترى هل ستستطيع أن تفلت من بين أنياب إغوائه ، ومراودته إياها عن نفسها ... إنها في قبضته .. في أسره ... في قصره ... في جزيرته ...

لكن ... من يعلم ما الذي سيكون وسط تلك البقعة الساحرة الزاخرة بالجمال والمتعة ؟ من سيتغلب على من ؟

الأسر أم الأسيرة ؟

شخصيات الرواية

"ليا باريش" : فتاة في عمر الزهور . مسؤولة عن امها وزوج امها.. مسؤولة عن دار يسكنها منذ عشر سنين .. مسؤولة كذلك عن اختها الحسناء .. تهبّ لنجدتها ، تتحدى جميع الاهوال والانواء ، وتقدر لكل شيء حسابه .. عدا شيئاً واحداً ، هو الحب .. وهو ما لم تجربه ابداً ، ولم تعتزم ذلك إطلاقاً ..

" ماسيمو مازاردي " :"ماكس". المستبد المتحكم . الآمرالناهي . الكل يخشاه ، حتى عائلته . يفعل المستحيل لتنفيذ ما يراه صالحا . يضحي بنفسه من اجل الجميع ، ويدمّر الدنيا كلها كي يحفظ لعائلته تقاليدها وشرفها . فهل تقهره عينا " ليا " البريئتان السانجتان ؟! هل تجعله يستسلم لها وينسى الدنيا وما فيها ؟!

" سيلينا باريش " : الشقراء الحسناء . لم تجد لها مكاناً في منزل زوجها .. فانطلقت تغزو الدنيا ، وتعيش المغامرة في كل بقعة منها . واحبت بعنف وجنون فاخلصت في حبها ... تحدت كل شيء لتفوز بمن اختاره قلبها .

" رونزو مازاردي " :هل كان تدليل والديه له سبباً في شقائه ؟ ام هل كان تفوق اخيه عليه في كل شيء هو سبب تعاسته ؟ فعل كل الموبقات .... وعندما احب ... لم يحب إلا المراة التي تشابهه في ضعفه ، ليبنيا قوتهما معاً .

الفصل الأول

عندما همّت " ليا " ان تلقي نظرة على جدول مواعيدها الخاص ، الذي اعتادت ان تثبته خلف باب المطبخ ، وقعت عيناها على الخطاب الأخير الذي ارسلته " سيلينا " .

التقطته لتعيد قراءة تلك الفقرة التي كانت قد كتبتها على الآلة الكاتبة بعناية فائقة . كانت مكتوبة بتلك الحروف العريضة التي تميل إلى الاستدارة ، التي تشبه اسلوب البرقيات ، حيث كتبت اختها :

" ... المكان في غاية الجمال ، جنة حقيقية . يبدو ان مالكه في غاية الثراء مثل " كريزوس ". لشد ما اتمنى ان امرح معه في إحدى تلك البقع الخضراء التي تملأ المكان سحراً ، على ان يكون ذلك في ليلة اكتمل قمرها فزادها سحراً . ليلة رومانسية على ما اتمنى ! لا تسخري مني ، إنك لا تعلمين ما الذي تخسرينه بطريقتك العملية تلك".

" طريقة عملية " .. وارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه " ليا "، ثم اعادت الرسالة إلى مكانها على البوفيه .. كانت شمس اوائل سبتمبر تملأ المطبخ باشعتها الذهبية الحانية ، فانعكست تلك الأشعة تداعب

www.elromancia.com

الشعر البني الجميل للفتاة الحسناء . نعم إنها تتسم بالأسلوب العملي ، إنها من النوع الواقعي الذي يحب أن تكون حياته سهلة غير متكلفة . أحياناً ، كانت تغرق في الأحلام باشياء مختلفة ، كالمغامرة... وفي انتظار ذلك كانت وراءها كومة كبيرة من الملابس التي تحتاج إلى الكي ، تنتظرها في السلة . وحتى لا تعاني تانيب ضميرها ، أخذت "ليا" تتاكد أولاً انها لم تنس شيئا مما كان عليها أن تفعله . لقد قدمت بالفعل القهوة والبسكويت ، وقد تسلمت الكمية التي طلبتها من اللحم بعد أن تاكدت من جودتها ، كما انها قد طوت المفارش المتسخة وجمعتها في رزمة واحدة وقد ابدلت ما بفراش السيدة " نايت ". وقائمة طويلة ، لم يُهتم فيها بتدوين ذلك " التريكو " الخاص بالسيدة "بيكر" الذي كان عليها إعادة فكه ، ولا بإناء الماء الذي كان قد انسكب ، ولا بذلك الببغاء اللعين الخاص بالسيدة " سبارك " التي كانت تعاني كل آلام الدنيا حتى تتمكن من إدخاله في قفصه .

كانت " ليا " مسؤولة عن كل هذا، وقد اعتادته ، وكانت تقوم بذلك بكل هدوء وإتقان . إنه يوم كبقية الأيام .

وزيادة في التاكيد ، أخذت تعيد ربط ذلك الشريط الأزرق السماوي الذي تعقف به خصلة الشعر العريضة إلى الوراء . إن جميع نزلاء دار المسنين كانوا يعشقون حقاً ذلك النشاط المشع الذي تتوهج به . كانوا معجبين بتلك التصفيفة الهادئة لشعرها المعقوف إلى الوراء ، التي كانت تكشف وجهها من الجانبين بتقاطيعه الدقيقة . كانت لاتقص شعرها إطلاقاً ، فكانت جدائله تصل إلى خصرها ، في خصلة عريضة ذات بهاء خاص ، فتبدو كإحدى أميرات عصر النهضة .

قامت بتثبيت حامل المكواة ، والتقطت احد تلك القمصان من السلة..." اهذا شعر فتاة في الثالثة والعشرين ؟! " أخذت تسال نفسها، وابتسامة شبه ساخرة تلوح في وجهها . عندما تبلغ الثمانين من عمرها سيكون عليها التنقل على كرسي بالعجلات كي لا تتعثر في مشيها فتقع ! إنه ليس من قبيل السخرية ما تتخذه من اسلوب في التصفيف ، إنها بكل تاكيد لا تملك الوقت لتصفيفه عند الكوافير. فدار المسنين تستحوذ عليها كل الوقت .

لم يكن لها ابداً ان تعتمد على اختها الصغيرة ، فهي اقل من أن تعينها بجدية . في الحقيقة ، إنها منذ ان رحلت إلى الخارج ، والدار تبدو أكثر هدوءا، والعمل اقل مشقة . وتلك الحجرة التي كانتا تتقاسمانها اصبحت الآن أكثر نظافة وهدوءا .

لم تعد تهكمات "سيلينا " تثير جو التوتر الذي كانت تثيره في الدار، واستراحت الدار من غدوها ورواحها اللذين لاينتهيان . بينما ، امتلأ المكان بالملل القاتل . الكل يفتقد تلك الروح الجذابة لـ "سيلينا "، وخصوصا "ليونيل " الذي كان يعتبرها طفلته الحبيبة التي لايشبع منها ابداً .

- " ليا "

بالمصادفة ، إنه هو الذي ينادي من الصالون .

- " على رسلكم ، اتريدون القضاء عليّ ؟! ".

أجابها وعيناه تلمعان بالبهجة والانشراح :

- " سيكون ذلك خيرا لك "

لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من الإغراق في السخرية ، كلما شارك في ذلك المسلسل اليومي مع المسنات التسعة والذي كانت أم " ليا "، تتابعه بشغف . ومن أن إلى آخر كان يتحتم ذهاب احد سكان الدار إليه لإسكات جلبته وإغراقه في الضحك بلا حدود .

كانت قهقهاته المرتفعة تجعلها تترك ماوراءها من ملابس تحتاج إلى الكي ، لقد اعتادت أن تقوم بهذا العمل دائما وقت راحته في الظهيرة . يجب أن تختار اسلوباً جديداً للرد على رسالة اختها تلك ، المغرقة في وصف اشجار النخيل، والزهور التي تخلب الوانها الألباب، وذلك القصر الساحر الذي يتمتع بسمات إحدى الأساطير القديمة ، ومن ثم يجب الايعكر صفوها ذلك التفكير العجيب المغرق في الخيال لاختها . وكذا تغيير الأسلوب سيتيح لها مجاراتها بعض الشيء ! ولما همت بالذهاب لترى ماذا تفعل مع نوبة ضحك " ليونيل "، رن الهاتف . انسلت من خلف طاولة الكي لترد على الهاتف ، وهي تغلق باب الصالون في طريقها حتى لاتزعجها تلك القهقهات التي لا تنتهي .

صرخت في زوج امها في الخارج :

- " فلترحمني قليلاً ! "

فسمعت همهمات احتجاجه على كلماتها . اطلقت ضحكة مجنونة وهي تقف في البهو ثم رفعت السماعة ، واعتدلت بقامتها . مرتدية تلك البلوزة النايلون التي تبرز قدها النحيل . وباقصى جدية راحت تجيب :

- " دار المسنين بحي " بلفيو " ، هل من خدمة ؟ " .

- " ليا " هانت ذي ! هناك بعض المشاكل ، انا في حاجة إليك " .

رفعت " ليا " عينيها إلى السماء .

- " المسكينة " سيلينا " ، هانت ذي قد وقعت في إحدى المشاكل التي لاتنتهي. اهدئي "

اخذت تقول لأختها من امها :

- " لا تصرخي في اذني ، اين انت الآن؟.

- أما زلت في إيطاليا ، عند بحيرة " ماجور " ؟ ، الم تصلك رسالتي الأخيرة؟ " .

- " بلى وصلتني ، وكنت تصفين لي جنة الله في ارضه و ... " .

- " حسنا ، إن هذا لم يدم ! استمعي إليّ ، سريعا ، فليس لدي وقت كاف ، يجب ان اعود إلى العمل . إني في حاجة إلى المال يا " ليا " ، الكثير من المال " .

اخرجت " ليا " زفيراً وهي تتاذى .. تلك الجمجمة العجيبة لا تهدا بالاً من الداب وراء المال :

- " الا يمكنك طلب سلفة بضمان مرتبك من المدير ؟ " .

- " هل تسخرين ! ؟ إن " ماسيمو مازاردي " لا يقرض جدته مليما ، فما بالك بموظفيه التعساء ! إنني ادين له بالمال فعلا . لسوف ارد له ما تبعثينه لي، إنني في حاجة إلى هذا المال وعلى الفور " .

- " ابعث لك المال ؟ ولكن لايمكن ان ارحل من هنا الآن ، واترك الامور على ما هي عليه .. " .

- " استحلفك بالله ! إنها الطريقة الوحيدة ، فلا توجد طريقة اسرع من ذلك كي احصل على المال . الامور بدات تاخذ طريقها للتعقد . يجب ان تاتي على الفور " .

كانت عبارة " سيلينا " في غاية الجدية ، فاخذت " ليا " تقدح زناد فكرها . هذه المرة ، يبدو الأمر مهماً ، فالكوارث الصغيرة التي تصادف "سيلينا " هي غالباً النقود السائلة ، فهي تعشق المخاطرة دائماً ، ولطالما سبب لها جسد "مارلين مونرو" الذي تمتلكه الكثير من المغامرات المحفوفة بالمخاطر .

كانت " ليا " دائما تقلل من شان تلك القصص عن محبيها وعن دائنيها ، بيد انها لم تجد من اختها مثل تلك الرنة البائسة في صوتها .

إن " سيلينا " تعلم تماماً ان رحيل " ليا " عن " بلفيو " شيء شبه مستحيل . إذن فالحالة خطيرة حتى تطالبها بان تترك كل شيء وتطير من فورها إلى "إيطاليا".

- " ولكنك تعلمين يا "سيلينا " انني حتى لو وجدت الوقت الكافي ، فليس لدي ما يكفي من المال حتى الحق بك في إيطاليا ، وحتى ارد عنك ديونك . ما الذي يخيفك ؟ ليس في الأمر تهديد بالفضيحة ، او نوع من الاحتيال ، اليس كذلك؟ " .

- " بلى ، إن الأمر كذلك بالفعل ! " .

أجابت " سيلينا " وهي على وشك الهيستيريا :

- " لديك المال الذي تحتفظين به لبناء الشرفة . احضري كل شيء ! صدقيني ، لم اكن لأطلب ذلك منك لولا ان الأمر مسالة حياة او موت . يجب ان اعيد المال لـ "مازاردي " على الفور ، إنه يهددني . انا بحاجة إليك ! تعالي واخبريه انت انني فتاة جادة ! إنه يخيفني ، "ليا" ... " .

فتاة جادة ؟ .

لم تصدق " ليا " اذنيها . من هذا الوقح الذي يهدد اختها ؟

كانت " ليا " تقوم بدور المسؤولة والحامية التي تاخذ اختها من امها تحت جناحها منذ ان ولدت .. ما إن اتمت السنة الثالثة من العمر حتى احست بالمسؤولية تجاه " سيلينا " .

طوال حياتهما المدرسية كانت تراقبها بدقة ، وتعالج تلك المشاكل التي كانت تعترض طريق اختها . ثم بمرور الوقت ، ادركت "سيلينا" انه لا احد اصبح يثق بها او يامنها . كانت تتنقل من مشكلة إلى

اخرى دون ان تجد حلاً لاي مشكلة ، حتى اصبح الجميع لا ياخذون مشاكلها وتورطها ماخذ الجد لكثرتها . لم يكن اي مخلوق ينظر إليها إلا على اعتبار انها فتاة باهرة الجمال ، حتى إن جمالها هذا كان يغفر لها خطاياها دائماً . كان الرجال يشتهونها ، والنساء يغرن منها، ولم يكن لها سوى " ليا " التي تفهمها على حقيقتها ...

ضاقت الفتاة الصغيرة . كانت تعقد الآمال على بناء تلك الشرفة : هذا المكان الإضافي الجديد الذي كان سيتيح للنزلاء ان يحصلوا على قدر من الشمس في الربيع والخريف دون ان يلسعهم البرد بلسعاته القارسة . كم هي فكرة غريبة ان يتهم هذا الرجل المستبد النهم اختها بمثل هذه التهم ؟ ثم إن عليه ان يبحث عمن تحل محلها ، ولن يجد ابداً من هي اجمل ولا اروع منها . ذلك البائس الذي يدعى " مازاردي " . لابد انه قد املى شروطه على "سيلينا " مقابل ما اقرضها من مال ..

-" لا عليك ، ساتولى كل شيء ، سوف انقذك مما انت فيه . اعطيني عنوان هذا الذي يدعى "مازاردي" ، ساكتب له من الآن ، من هذا المساء. واؤكد لك انه لن يمس شعرة منك بعد ذلك ".

صرخت سيلينا " بصوت حاد :

-" لا ، يجب ان تاتي ! لا تتركيني اقع . إنه غير آدمي ! هذه ليست مبالغة مني ، اؤكد لك ! اسمعي يا " ليا " ، يجب ان اقطع الخط الآن ، إني اسمع صوت احدهم قادما . إني انتظرك غداً مساء . فندق "بوروميو " ، عند " بسكاتوري " . إنه خطر ، احترسي ! ". كانت تلك الكلمات الأخيرة مرعبة ، ونبرات صوتها تنم عن الارتياع .

إما ان " سيلينا " قطعت الخط على عجل ، او ان احداً آخر قد انهى المكالمة . اخذت " ليا " تتطلع إلى يدها التي لاتزال تمسك بالتليفون ، كانت يدها ترتجف . ما الذي فعلته " سيلينا " بنفسها ؟ ها هي ذي تتخذ احد الإيطاليين عدواً لها دونما نظر إلى مايمكن ان تصير إليه عاقبة الأمور . إنها في حاجة إلى شخص قوي ، في حاجة إلى اليد القوية لأختها الكبرى ولنصائحها .

وكالعادة ، كانت " ليا " على استعداد لأن تطير لنجدتها .

اخذت تدرس المسالة من كافة زواياها بطريقتها المنطقية التي تتميز

بها . يتحتم عليها ان تسافر وتعود بسرعة ، على ان تجد من يحل محلها . بيد انها لن تختار اي شخص ليفعل ذلك ، فالأمر لا ينحصر في إمكان مواصلة العمل الدؤوب مع مثل هؤلاء المسنين . فالرقة والتفهم يكادان يكونان اكثر اهمية .

في المرات النادرة التي تغيبت فيها عن المكان ، ابدى لها النزلاء شكاواهم من غيابها . لقد كانوا جميعا كالأسرة الكبيرة ، وكانت تشعر بالمسؤولية تجاه كل شيء وكل فرد . لكن " سيلينا " هي اختها ، وهي اكثر حاجة إليها الآن .. لقد وجب الرحيل . وبهدوء بدأت "ليا" تقوم ببعض الاتصالات الهاتفية . من يراهالم يكن ليعرف مدى درجة اللهفة والانشغال التي اصبحت عليها ، كانت تفعل المستحيل حتى لا يتبين مخلوق ما تعانيه . بيد انها لم تستطع ان تطرد "مازاردي " هذا من ذهنها : هذا الوحش اللاتيني ، سيندم إن تحرش باختها الغالية !.

في النهاية ، استطاعت ان تجد من تحل محلها عن طريق مكتب الخدمة العامة ، امراة رائعة سبق ان اتت عندما اصيبت " ليا " بالإنفلونزا . لقد حلت المشكلة ، وهرعت إلى البنك تسحب ما لها فيه ، ثم راحت تبتاع التذكرة من مكتب الطيران .

بعد ذلك ، يجب ان تجد قصة مقنعة ترويها لأمها ولـ " ليونيل " . لايمكن بالتاكيد ان تروي لهما حقيقة الأمر ، وإلا لهاجا وماجا ولما انتهى الأمر ... لم تسمع " ليا " ابدا تلك النبرة المذعورة من اختها "سيلينا " . هذا الرجل لابد ان يكون وحشاً ضاريا ! وكالمجنونة اخذت تفكر في اختها البريئة البائسة ، وحيدة في بلاد الغربة ، بلا اصدقاء، وتحت رحمة هذا المدير البشع الذي تعمل لديه . كم هم وحوش هؤلاء الرجال !.

اخيراً ، وفي فترة ما بعد الظهيرة ، دخلت " ليا " إلى الصالون وهي تدفع المائدة ذات العجل ، وقد وضعت عليها اكواب الشاي واطباق الشطائر الخفيفة.

-" لدي ما اخبركم به ".

اخذت في الكلام بعد تقديم الطعام والشاي . اخذ " ليونيل " يدق بملعقته فوق مائدة صغيرة بجواره - ليمنع الحديث

وهو يقول :

- " الهدوء وإلا ساخلي المكان فوراً !".

لم تسر "ليا" لهذه الفكاهة في الوقت الذي تقدم فيه على الكذب ! ثم شرعت:

- " تعلمون أن عيد ميلادي لم يبق عليه سوى بضعة اسابيع ...".

- " إني احيك لك " إيشارباً " من الكروشيه ".

قاطعتها السيدة " بيكر " وهي تلوح لها بشيء اخذت تنسجه بالوان متعددة عجيبة ردت عليها " ليا ":

- " يالها من مفاجاة ! اشكرك الف مرة ".

هذا هو الأمر ، هذا هو الذي تعمل فيه تلك المراة المسنة بكل صبر واناة . واتخذت مجموعة النزلاء مشهداً عجيبا وهم ينتظرون ما تزيد أن تقوله لهم ، وقد كست وجهها ابتسامة مضيئة ، نادراً ما كانت تكسو هذا الوجه الجاد من قبل.

- " لقد وجهت "سيلينا " الدعوة إلي كي ازورها في إيطاليا ..".

ردت امها :

- " يالها من فكرة رائعة ياعزيزتي ! "

واخذت تكمل :

- " إنها هكذا تقدم لك هدية في غاية الجمال ! ".

ابقت " ليا " نظراتها مثبتة على السجادة ، بينما تسلل اللون الدموي الأحمر إلى جبهتها :

- " نعم ، هذا هو الأمر . يجب أن ارحل غداً ".

اغرقت الغرفة فجاة في السكون .

كان " ليونيل " هو اول من تحرك ، وراح يقول وهو يبتسم :

- " سيلينا " المسكينة ، دائما ما تقوم بتلك الأفعال الخفيفة الهوائية، ومع ذلك لايستطيع مقاومتها احد ".

قالت الأم :

- " هانت ذا ، لا تستطيع ان تمنع نفسك عن الهزل قط ، سوف نتصرف بدونك ، سنكون على ما يرام . لقد انقضت خمس سنوات ونحن نطلب منك ان تقومي بالإجازة لتريحي نفسك بعض الشيء ".

والقت نظرة على الآخرين ثم راحت تتساءل :

- " ما رايكم ؟ ".

ولشدة دهشة " ليا "، فإن الجميع ابدوا موافقتهم دون ادنى احتجاج بل لقد اصر الجميع على ان تذهب من فورها ، لتبدأ في تجهيز حقائبها.

خرجت " ليا " مسرعة حتى لايشاهدوا ذلك الخجل الذي اعتراها . لقد شعرت فجاة به ، عندما وجدت هؤلاء المسنين التسعة الأحباء ، وما يبدونه من تفكير في سعادتها بدلا من التفكير في راحتهم . عاهدت نفسها - فور ان تعود - أن تقوم سراً بعمل كميات من الجاتوه في مناسبة عيد ميلادها ، لتقدمها لهم .

قامت بتوديعهم ، ورحلت " ليا " التي كانت دائما تستعد قبل رحلاتها مقدماً بفترة طويلة ، تسعد بذلك وتستعد له . كانت تجلس في الطائرة . . . واستطاعت اخيراً ان تلتقط انفاسها ، إنها تخشى هذا البلد الغريب، "إيطاليا" التي لم تزرها ابداً ، كانت تشعر بالإثارة وبالخوف معاً . اخذت تمتع ناظريها بذلك المنظر البديع اثناء التحليق فوق جبال " الألب" . وتلك السحابات الهائلة التي تمر ببطء فتحجب عنها رؤية هذه الأودية الخضراء اليانعة ، وهي تتعانق مع قمم الجبال الشاهقة ، فلا تترك من قممها سوى بروزات تطل على السماء الزرقاء المحيطة بالكون . بدت لها الرحلة من " لندن " إلى "ميلانو" قصيرة للغاية ، فقد اصابتها الدهشة حينما اخبرتها مضيفة الطائرة بضرورة ربط حزام المقعد . وهبطت الطائرة ، وصوت يصم الآذان يصاحبها . بدات المخاوف تحاصرها ، تخاف ان تفشل في حل ما يواجه اختها من مشاكل، ومما ينتظرها اليوم من احداث فوق كل ذلك ، فهي لاتزال صغيرة ، ولم تخرج ابداً من بلدتها الصغيرة من قبل .

إن كان هذا الغريب قد استطاع ان يبث الرعب في قلب " سيلينا "، مع كل ما تملكه من تفاؤل وإقبال على الحياة ، فهل ستستطيع هي - مع ما ينقصها من خبرة الحياة - أن تواجهه وتقف منه موقف الند ؟ نزلت من الطائرة ، فاجاها ذلك الضوء الخافت وتلك الروائح الذكية لالف نوع من النباتات العطرية، فادار كل ذلك راسها الصغير .

اصطدمت في سيرها باحد رجال البوليس ، كادت تقع لولا ان امسك بذراعها بقبضته الحديدية . افلتت منها صرخة حادة من المفاجاة ، احست بالضالة بجوار هذا الرجل الضخم بزيه الرسمي . وبينما تابع هو سيره ، تسمرت " ليا " في مكانها : كادت تفقد عقلها بعد خروجها من الطائرة بلحظات لان شرطياً كاد يجعلها تقع ، فكيف تستطيع ان تواجه رجلا متسلطا جبارا ينتمي إلى عالم العتاة ؟ لكن الوقت قد فات للتراجع الآن ، حتى وإن كانت لاتنقصها الرغبة في ذلك . بالإضافة إلى ان " سيلينا " في حاجة إليها على اي حال .

انتهت إلى وجوب تنفيذ ما اقدمت عليه ! بدت عينا الفتاة الصغيرة اكثر قوة، يملؤهما التحدي ، لسوف تكون اقوى من اي ظرف واي شيء بعد بضع دقائق، كانت تصعد إحدى الحافلات متجهة إلى " لاجو ما جيوري " .

وقف " رونزو مازاردي " ينتظر اخاه . ظل اخوه قابعاً بمكتبه يرشف كاساً من الشراب منفعلا بتلك الأحداث الأخيرة . ترك " ماسيمو " اخاه منتظراً ، بينما لم يدهش " رونزو " لذلك .

كان يعلم ان مايحدث هو تعبير من اخيه وتذكير بقدرته وسطوته على الجميع.

اخيراً انفتح الباب وتنفس " رونزو " الصعداء . ولما راى " ماسيمو " اخاه اخذ يغوص اكثر في كرسيه ، كان يبدو مستغرقا تماما في الأمر إذن ، فالأمر كما اعتقد تماما ، وها هو ذا اخوه لا يلقاه بالترحاب الواجب . مؤكد انه سيعمد إلى تانيبه على إنفاق المال بإسراف ، او سيحاسبه على الأخطاء الصغيرة فيضخمها ، ويجعل منها كارثة محققة ... ابتلع " رونزو " ريقه واخذ يقوي من نفسه . في جميع الأحوال ، لن يجدي شيء او محاولة للتبرير والشرح من جانبه . إن "ماسيمو" ، منذ ان كان صغيراً ، اعتاد ان يخيف الجميع ويرهبهم . كان يبدو قوياً لايمكن مجابهته ، إن ظن ان هناك من يحاول لي ذراعه او إجباره على شيء . لم يؤثر فيه قط اي من عقوبات والده او تانيبه المستمر له ، ولم يقفه مخلوق قط عند حده . اخذ " ماسيمو " يحكم إغلاق الباب الغليظ بالسلاسل ، والثقة تملؤه في كل حركة او التفاتة

يقوم بها . كان يرتدي حلة سوداء اللون وهو اللون المفضل عنده كالعادة ما عدا ذلك القميص الذي يميل لونه إلى الاصفرار .. كان يرتدي تلك السترة السوداء الأنيقة التي قد فصلها له بيت " شي فيراجامو " للأزياء . كان مظهرها الحازم مع اناقة هذا القميص الحريري ، يتناقضان تماماً ، مع مظهر "رونزو" وسرواله الاخضر الذي يرتديه .

تركزت عينا " رونزو " - منذ انفرد باخيه - على تلك العينين اللتين تخفيان كارثة محققة ولاشك . لقد اكسبته نظراته الغامضة المتحجرة كالجليد ، بالإضافة إلى قامته المرتفعة السامقة، مظهراً خارقاً يشبه المردة العتاة . حتى صمته هذا ، وخطوط وجهه الجامدة كالحجر ، كانت تجبر الناظر إليها على احترامه والخضوع له . كل ذلك يعضده ويضاعفه عامل السن ... كان " رونزو " يدرك تماماً ، انه حتى إن وجد اخوه في مكان امتلأ بالناس عن آخره فإن " ماسيمو " بصمته هذا وبتاثيره الذي لايقاوم ، سينتهي حتما بجنب جميع الأنظار للاهتمام به والالتفات إليه .

رسم " رونزو " ابتسامة على وجهه :

- " لقد تعمدت أن أطيل انتظارك ".

هذا هو اخوه الذي يعرفه تماماً :

لايعتذر ، بل يقرر واقعاً يعرفه كل منهما ، بكل ثقة ، بصوته الجبار هذا الذي طالما أوقع بالنساء تحت قدميه .

- " إنني لست بصبي صغير ، حتى تستدعيني بهذا الشكل ، كما لو كنت ساعرض على مدير المدرسة المتحكم فيها ".

- " في الحقيقة إنك إنسان بالغ ، تتحمل مسؤوليات البالغين ".

ذلك البداية غير مبشرة بالمرة ! حاول " رونزو " ان يتصنع الغباء كانما لايدرك الفخ الذي قد وقع فيه .

- " لقد اعتقدت أن هناك ما هو أهم مني ، يسبب لك مثل هذا الكدر ".

- " انت تعلم تماما كل المشاكل التي وجدتها لدى وصولي هنا ، ولاتطلب مني ان اعفو عنك مرة اخرى. مع كل ، لقد عدت إليك فور اتصالك بي . تركت مسؤولية إدارة شركتي العملاقة ، التي كافحت في

إنشائها ، وتقويتها حتى يسير العمل فيها بدوني على اكمل وجه ، ودون اية مشاكل من اي نوع ، كي اعينك على إدارة وتنظيم نجاح ابي".

- "ولكن كلانا يرث " إيزولا مازاردي " ، ولا اعلم لماذا يتحتم ان اقوم انا بالعمل ، لتجني وحدك الأموال في النهاية ؟".

- " الأمر على النقيض ، وإنك لتدرك ذلك تماما" ، اخذ "ماسيمو" يتحدث وهو يضغط على اسنانه : "يخيل إليّ انني انا الذي يقوم بالعمل كله ، بينما انت الذي تجني الثمار ".

- " إنك تغالط ! ".

- " كلا ، إنني اوضح فقط. فبسبب نزواتك ، اصبحت مديناً . فهل انا الذي يدان ؟ ".

- " لقد قمت بتجميد حسابي في البنك ورفضت اعتماد توقيعي على اي مستندات . وهانت ذا لا تتورع عن ان تهاجمني مباشرة ! ولكن لا ، إنك قد اعتدت التخفي والتحفز خلف الناس ، حتى توقع بهم ! ".

- " لكني لا ارى طريقة اخرى للتعامل معك . يكفيني ما لوثت به سمعتنا بديونك هذه ".

- " إنك لم تكلف نفسك التفكير حتى فيما قيل بعد رحيلك ، منذ سنوات ! من انك قد حطمت قلب ابيك ، وارقت ماء وجه العائلة باكملها ...".

تراجع " رونزو " إلى الوراء لما راى تحفز اخيه للتقدم نحوه . وتحرك "ماسيمو" بسرعة ليصبح امام " رونزو " الذي كان يحاول النجاة بنفسه . لم يجد الفرصة للإفلات ، كانت ذراعاه قد امسك بهما اخوه بالفعل ، قبض عليهما " ماسيمو " واخذ يقوده متغلباً عليه بتلك القامة الجبارة التي كان يحظى بها .

- " صه ! من الخير لك ان تشرح لي قصة تلك الشقراء الطائشة ! ".

- " لا تتحدث عن " سيلينا " هكذا إنها فتاة ذكية ...".

- " إنها لا تاتي في موعدها ابدا ".

كان " ماسيمو " يتحدث صارخا متوعدا،

- " إنها لا تستطيع الحفاظ على المواعيد ، هذا لا يعني انها غبية بالضرورة!".

- " لكنها تصر على ذلك ، رغم علمها ان هذا يثيرني غضبا ".

زالت ثورة " ماسيمو " . اخذ " رونزو " يخلص نفسه من قبضة اخيه، ويحاول ان يعيد هندام ملابسه إلى ما كان عليه ، ثم اخذ يصيح باخيه :

- " إن لمست شعرة واحدة منها ، فسوف ينالك مني ماينالك ! ".

نظر " ماسيمو " إليه بازدراء ، فاحس " رونزو " فجاة بمدى حمقه ، وسخافته، واخذ يتشبث بسترة اخيه الذي احتفظ بصمته ولم ينبس بكلمة .

- " إنني لن اياس من إسماعك صوت العقل ".

اخذ "رونزو" يتحدث باشمئزاز :

- " لكن فلتعلم جيدا انني احب " سيلينا " . ولسوف اتزوجها ! ".

- " بلا شك . تتزوج امراة بريئة ، اما صالحة للابناء الذين ستنجبهم لك ، فهم سيحملون اسم عائلتنا الموقر . إننا لسنا باناس عاديين يا " رونزو " ، إننا ننتمي لعائلة " مازاردي "...".

- " كف عن هذا ! لقد اخبرتك اني اعتزم الزواج بها ، سوف ترى ... كما ان جدتي ايضا تحبها ".

- " هذا لأنها لا تدرك انك تنوي صنع مستقبل خاص لتلك الفتاة البريئة الجميلة. الا ترى انها لاتهتم إلا بالمال ؟ وانه لا يمكننا الاعتماد عليها ابداً ، إنها لاتتحمل المسؤولية قط ، لمرة واحدة ، لن تنفذ ما يدور براسك ، لقد امتثلنا كثيراً لنزواتك ، لكن الوضع سيتغير الآن ، سترى كيف ستكون نظرة "سيلينا " إليك عندما تدرك انك اصبحت لاتملك سنتيما واحدا ".

- " سيكون الأمر سيان لديها ! إننا متحابان ، فلا تقحم نفسك بيننا، إنها حياتي الخاصة وانا حر فيها ".

ابتعد " ماسيمو " عنه ومال يستند إلى جدار المدفاة الرخامية :

- " رونزو " ، ينبغي ان يفكر احدنا بتعقل وروية . إني اريد لك السعادة ، ساحاول ان اوفر لك زيجة رائعة . اما تلك الفتاة فإنها تسعى وراء مكاسبها ومطامعها فقط بدون اي وازع اخلاقي . انظر كيف ترتدي ملابسها ، إنها لاتكاد ترتدي شيئاً .. لقد رايت بنفسك

كيف قامت بتقبيل عابر سبيل ، تشكره أن صحبها معه في قاربه . إنها تشبه إحدى فتيات الجيشا ، وانت لست إلا احد ضحاياها ".

-" هذا غير صحيح ! ".

-" كلا ، إنه صحيح . إنك لا تستعمل عقلك منذ مدة طويلة ، إنك في حاجة إلى من يرشدك ويأخذ بيدك . الا ترى أن أمرك يهمني ؟ إني احذرك ، سوف افعل اي شيء حتى اجعلها ترحل . اتفقنا ؟ ".

-" فهمت ... "

رد عليه "رونزو" مهمهماً . كابيه تماماً ، يحاول "ماسيمو" الاستحواذ عليه ، يحاول الاستحواذ عليه كلية . لقد انتظر طويلاً حتى يستطيع أن يواجهه بعد كل هذه الأعوام ، يثار منه ، احس بالفخر انه قد بدأ يخطو خطواته الأولى . واليوم ، لقد مات ابوهما ، وهو الذي يمسك بيديه زمام الأمور .. كان " رونزو " يعلم ما يجب أن يفعله ، لم يبق امامه طريق اخر . يجب أن يحصل على المال حتى يهرب مع تلك الفتاة التي احبها فيتزوجها . سوف تصل اخت " سيلينا " هذا المساء لتساعدهما ، ليس امامهما خيار اخر الآن ، وعليها هي ان تدفع ثمن ما سيقدمان عليه ، عليها ان تدفع ثمن اخطائهما .

الفصل الثاني

-" لقد وصلنا إلى " استريزاً ".

أفاقت " ليا " من افكارها ، وراحت تنظر من النافذة .

كانت السيارة تسير بجوار بحيرة زرقاء صافية ، وقد بدت في الأفق تلك السلسلة التي اكتست بلون بنفسجي ساحر لجبال " الألب " . انتابتها رعشة من الخوف ، لما تبين لها انها قد وصلت بالفعل إلى بحيرة " ماجور " . لم تكن قد شاهدت معالم الطريق الذي سارت فيه السيارة ، وكانت تجول الآن بذاكرتها في تلك القائمة من التعليمات التي قد تركتها مع المراة التي حلت محلها في الدار . اخذت تراجع نفسها خشية ان تكون قد نسيت شيئاً ! هل اخبرتها مثلا ان السيدة "نايت" تحب ان تشرب شرابا ساخنا قبل الإخلاد إلى النوم ؟ حسنا ، إنها لاتستطيع فعل شيء من هذا الآن ... كانت متعبة من تلك المسافة الطويلة التي قطعتها ، وقد جعلتها الحرارة المحيطة تجر قدميها جراً.

لقد اختفى المارة من الطريق ، ولم يبد به سواها . اواه ! ها هي ذي تتحامل على نفسها بشدة حتى تجد مكانا تستريح فيه ، تاخذ حماما

www.elromancia.com

وتاكل اخيرا ! شعرها الذي قد ربطته بهذا الشريط ذي اللونين الرمادي والأزرق بنفس لون ثوبها ، كان يبلله العرق ولم يكن بيدها شيء حيال ذلك . القت نظرة على ثوبها، فرات على ضوء ذلك الشعاع المنبعث من الشمس ان ياقته يبدو عليها القدم بشدة . وانها بثوبها هذا تستعد الآن لتواجه " مازاردي " ! في الوقت الحاضر لا يصلح لها إلا ذلك القميص والتنورة الجديدان ، يبد انهما لا يصلحان إلا للمساء وليس لوقت الصباح . لكم هي في حاجة الآن إلى قوة من نوع خاص حتى تواجه " مازاردي " هذا ... كانت السيارة قد وقفت امام متنزه كبير، وكانت " ليا " قد اخذت تراجع تلك الورقة التي قد كتبت فيها اسم القرية والفندق ، دون ان تدري لم هبطت في هذا المكان بالذات ، لم يكن عليها ان تهبط في "استريزا" .. من قال ذلك ؟ قال لها السائق القابع على كرسيه وهو يتطلع إليها بدهشة :

-"هل ستذهبين إلى "بسكاتوري" ؟ ".

القت "ليا " نظرة اخرى على ورقتها :

-" نعم ، عند فندق "بوروميو" ".

-" إذن فلتتفضلي بالنزول هنا ".

-" ولكن ، هنا ... إننا في " استريزا " ! ".

-" نعم، "استريزا" ، اقتربي ، ساشرح لك الطريق ".

ربما لا تستطيع السيارة مواصلة السير ، فينبغي عليها ان تكمل المسيرة على قدميها حتى تصل إلى "بسكاتوري" ، او ان تستقل سيارة اخرى ؟ كانت تتحرك بلا مرشد ، لتبحث عن اي فندق مضيء في تلك الشوارع المجهولة . هبطت من السيارة إلى المحطة التي وقفت فيها ، تلفها حالة من الضيق زادتها تلك الحرارة الخانقة في الطريق.

لم يكن هناك اي اصوات ، كانما لم يخرج احد من بيته ، إنه وقت الظهيرة .

على الجانب الآخر من الطريق ، كانت تربض منازل عالية ، قد اغلقت نوافذها ، كانما قد هجعت هاربة من شمس الظهيرة . لم تستطع "ليا" ان تمنع نفسها عن التفكير في السيدة " نايت " ، التي لابد انها - تستعد في هذه اللحظة للنوم ... هل وجدت المراة التي حلت مكانها

الوقت - كما تجده هي - لكي تساعد تلك المسنة حتى تخلد إلى النوم ؟

-" انستي ؟ "

انتزعها السائق مرة اخرى من افكارها ، فنظرت إلى وجهه المبتسم.

-" من فضلك ، في اي اتجاه ينبغي علي ان اذهب ؟ " .

ومال على حقيبتها الصغيرة فحملها وبدا معها المسير بالطريق . بدا يعلم -لحسن الحظ - إلى اين هي ذاهبة .. رفعت " ليا " حاجبيها لشدة دهشتها . لقد اخطا المكان بالتاكيد ! فلا تبدو هنا اية قرية ، او مكان لانتظار سيارة ، لاشيء سوى مبنى كبير حيث تباع بعض التذاكر . ثم انعطف الإيطالي إلى طريق يفضي إلى البحيرة . كان المنظر يخلب الألباب . توقفت " ليا " امام المشهد الرائع ، كانت تقف امام حلم جميل من احلامها ، بقعة ساحرة كلها رقة وشاعرية . وراء تلك البحيرة ، كانت هناك مساحات اخرى خضراء تمتد كالبسط السحرية، تنسجم خضرتها الداكنة مع الخضرة الباهتة التي بدت عن بعد ، واشجار النخيل تترامى هنا وهناك تملأ المشهد . اما البحيرة فتبدو زرقاء متلالئة ، تمتد حتى اخر مرمى البصر . ثلاث جزر صغيرة ، كالجنيات الثلاث ، تقبع ها هنا ، في جو من الروعة والتوحش على البعد قليلا ، تتلالأ بالقرب من البحيرة قرية الصيادين تحدها البحيرة من امامها والسماء من فوقها وخلفها ، تشغل جزيرة رابعة ، تتجاور فيها البيوت العالية بتكويناتها البديعة واسقفها الحمراء المائلة وجدرانها المنحوتة التي تزركش الأفق . وعلى الشاطئ الممتد امامها يرقد قارب يستعد للذهاب إلى الجزر ، فلا شيء آخر يعكر صفو سكون ماء البحيرة .

امتلأ وجه "ليا" بالبشر - ماخوذة بتلك المشاهد الخلابة ، ولاحظت ان السائق قد وضع حقيبتها بجوارها ثم اخذ يقترب منها :

- القارب ... اصعدي إلى القارب " اخذت تنظر إلى القوارب المتراصة امام الرصيف الحجري .

-" انا ؟ أيجب ان أستقل قاربا ؟ "

تركزت عيناها على تلك الجزيرة البعيدة . إنها بلا شك "بسكاتوري"، واخذت تحدث نفسها : كم هي جميلة خلابة ! .

-" نعم ، " بسكاتوري " تصلين إليها بالقارب "

اخذ السائق يجيبها ، وهو يشير مرة اخرى تجاه القوارب الراسية:

-" إجازة سعيدة !"

وفهمت " ليا " فجاة ما كان يعنيه : إنها عبارات ، حافلات نهرية ، تنتظر هناك كي تاخذ ركابها . نظرت إلى السائق وقد ارتسمت ابتسامة سعيدة على وجهها . كم هي وسيلة جميلة ستصل بها إلى المكان الذي جاءت إليه !.

واخذت تقول له :

-" إلى اللقاء ، اشكرك "

فطير لها قبلة في الهواء ، واخذ يلقي إليها ببضع كلمات لم تفهم لها معنى ، ثم اخذ يسرع مبتعدا .

اخذت " ليا " حقيبتها فحملتها ثم اقتربت من القوارب التي ترقد فوق الماء الصافي . كان جميع من بالقوارب نائمين .. بالتاكيد ، إنها ساعة القيلولة ... وسرحت مرة اخرى مع افكارها : لابد ان السيدة "باكر " تلتهم طبق التحلية الآن ، انتابتها فجاة نوبة من الحنين إلى الديار . اخذت تسير على مهل فوق الرصيف الحجري وهي تفكر : ماذا عساها تفعل الآن ؟ اتحاول اجتذاب الأنظار كما داب " ليونيل " ان يفعل دائما . لكن لم ترق لها فكرة ان تقف على الرصيف وتاخذ في الصياح كما يفعل ، لم ترق لها البتة ! فجاة استرعى انتباهها حركة عن يمينها . على البعد منها قليلا تحرك احد تلك القوارب كانما قد هبط إليه شخص ما ، كان القارب يهتز وسط تلك القوارب الساكنة . اسرعت " ليا " بالاقتراب من القارب .

- " صباح الخير " .

قالتها بنبرة رقيقة . كان هناك رجل يرتدي قبعة يقف فوق الحاجز الخشبي ، بدا كانه لم يسمعها . اخذ يدير محرك القارب ، فخشيت "ليا " ان يرحل بدونها :

-" الا تسمعني يارجل ؟ ".

لم يرفع الرجل حتى راسه من مكانه . اخذت " ليا " تتساءل : " لابد ان هذا الرجل ينقصه الأدب ، الا يعيرها اي انتباه كعميلة تريد

استعمال قاربه ؟ هبطت إلى ذلك الحاجز من الرصيف ووقفت بجوار القارب الذي كان يهتز ، وقد اعتزمت ان تتخذ طريقة زوج امها . وباعلى صوت تمتلكه صاحت في الرجل :

-"بسكاتوري" من فضلك ! "

نظر إليها الرجل برهة ، ثم عاد للاهتمام بمحرك القارب الذي كان قد بدا ينفث دخانا! . وضعت " ليا " حقيبتها ، وقد انتابها الضيق والعصبية ، ثم شعرت بان حلقها قد بدا يجف من تلك الحرارة التي تملا الجو . شعرت بانها قد قابلت هذا الرجل من قبل ... مع انها كانت تعلم تماما انها تراه للمرة الأولى . ادار لها راسه قليلا عندما وضعت يدها تستند إلى حافة القارب لتحفظ توازنها . حدثت حركة فجائية ففقدت اتزانها وسقطت في الماء . في غمضة عين اطفا الرجل محرك قاربه والتقطها من الماء . وجدت " ليا " نفسها في القارب ، وقد ضمها الرجل إلى صدره ووضع يده بنعومة فوق شعرها . فابتعدت عنه وهي ترتجف :

-" ما فعلته لا يتصف بالفطنة ابدا ".

كان يحدثها ، وصوته الحاد ونظراته العميقة تجعلها ترتجف .

-" لقد كنت احاول فقط ان ادخل إلى القارب ".

-" ولكني لم ادعك إلى الصعود إلى القارب ".

كان لهذا الرجل خصلة شعر طويلة تتدلى وكان قد اصيب من طول فترة الصيف بشيء من العصبية والحدة . لكن شيئا ما في هذا الرجل اخاف "ليا". فعلى الرغم من انه بحار على قارب صغير كهذا إلا انه يتقن الإنجليزية بطلاقة ! كل ما هنالك انه تشوب لسانه لكنة إيطالية خفيفة ... على كل ، كان مظهره عاديا معدما ، بساقيه العاريتين ، وهذه الفانلة السوداء التي يرتديها وقد بقعها الزيت ، ويديه الملطختين بالشحم . طبقات من الشحم ؟ واستدارت لترى إن كان قد لمس بيديه ثوبها وهو يخرجها من الماء . ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة ماكرة :

-" كان لابد من بعض الآثار والخطوط بعد ان تعثرت في الماء . على كل ، سيزول هذا بالغسيل ".

اخذت " ليا " تفرك عينيها ، من اين له العلم بشؤون الغسيل ومذيبات الشحوم، والله وحده يعلم كيف لاتستطيع ان تعوض ما تلف من ملابسها :

- " كان في إمكانك ان تلقي نظرة على تلك التي تحاول اعتلاء الجسر الخشبي لتدخل إلى قاربك ! ".

- " لم اكن لاتخيل ان تحاول مجنونة مثلك الانتحار بطريقة قفزك هذه إلى قاربي ".

لكن لم هو بهذه الشراسة ؟ ولكي تعيده إلى جادة الصواب اخذت تحدثه بشيء من الجفاء :

- " اوصلني إلى " بسكاتوري " ، لن اطالبك بشيء آخر ".

بيد انه لم يحرك ساكناً ، واخذ يثبت نظراته المكتسحة عليها ، فكان تاثير نظراته غريباً وذا إيحاء خاص :

- " لا شيء يجبرني على ذلك ".

- " إنني في غاية الإجهاد ، حرارتي مرتفعة واكاد اتضور جوعاً ، اريد ان آخذ حماماً واتناول وجبة الغداء ".

واخذت تلقي نظرة على القوارب الأجرة الأخرى المتناثرة هنا وهناك سيكون من الأفضل ان تهبط من قاربه لتركب مع بحار آخر اقل خشونة من هذا الرجل. واصل البحار النظر إليها وتعبير غامض يكسو وجهه . كان يبدو متردداً، ثم فجاة اخذ يبتسم إليها كاشفاً عن اسنانه الحادة ، ثم انتهى بالانفجار في نوبة من الضحك . ذلك الإيطالي العجيب لا يشعر باي ثقة في "ليا".

ولم تكن هي بدورها تشاركه فيما يفكر فيه ، فاخذت تنظر إليه دون ان يرمش لها جفن .

- " فلتغفري لي ".

اخذ يحدثها بصوت قد تحول إلى الرقة :

- " ساقوم بتسخين المحرك ، واكون في خدمتك ياآنستي ".

جلست - والريبة تملؤها - على ذلك القائم المبطن بالجلد الملون ، والذي اشار لها إليه . كان خلفها بينما ذهب هو لإحضار حقيبتها ، ثم اخذ يستعد للتحرك بالقارب ويضبط مفاتيح التحكم الموجودة في

مقدمه . جلست "ليا" مشدودة إلى مكانها ، كطير صغير يستعد لرحلة طيران . شعرت بانها تقدم على فعل شيء غير مباح لها ان تقوم به . لكن الأمور سارت بصورة طبيعية للغاية، حتى الآن.. لقد استطاعت ان تجد قارباً يوصلها إلى حيث هي ذاهبة ، وسوف تبلغ بعد ربع الساعة غايتها . إذن ، لم هذا الشعور الغريب ؟ استقرت عيناها على البحار ، بنظرة عابرة اولاً ، ثم بتركيز واهتمام شديدين . بدات تلاحظ حركات عضلاته المفتولة تحت جلده البرونزي ، وهاتين الكتفين العريضتين اللتين تبدوان تحت فانلته السوداء . ثم راحت نظراتها تفحص ساقيه الطويلتين الممدودتين امامها ، وانتابها الخجل لما رات انه قد ادار بصره إليها . انتابتها رجفة ، ورفعت عينيها إليه فرات انه كان يتاملها من جانب وجهه ويلاحظها ، وبدون اي عناء اخذ يتفحصها من راسها حتى قدميها . توقفت نظراته على رد فعلها عندما راى النعل الرديء الذي تنتعله . ثم ارخى اهدابه الطويلة واستغرق في الصمت . احمر وجه "ليا" إذ كانت تظن انه يجدها جميلة ، لكن لا : لقد كان يقيم حسابها في البنك مسترشداً بما كانت ترتديه .

- " لا تشغل بالك ، لدي ما يكفي من النقود كي انقذك اجرك ! ".

لم يرد عليها واخذ يواصل تقييمه لها مع نفسه ، إلى ان انتهى عند كفيها النحيلتين اللتين قد اعتادتا العمل ، وتلك الأظفار غير المطلية المتقصفة القصيرة.

رفعت " ليا " راسها : لم يصبها الخجل رغم كل ذلك ! .

- " امتاكدة انت من ذلك ؟ " .

- " لدي ما يكفي وزيادة لادفع لك الأجرة ".

حركت راسها بحركة سريعة ، فانفك الرباط الذي يربط شعرها ، محرراً جدائله البنية تمرح فوق كتفيها .

- " حان وقت الرحيل ".

كان يحدثها بصوت اصابته البحة . اخذت تجمع شعرها ثانية ثم ضمته مرة اخرى برباطه ".

- " خذي راحتك " كان يتكلم كالساخر منها .

- " وانت ، هيا ، فلتقلع بهذا القارب ! ".

لم تكن تشعر ابداً انها على راحتها .

هل يمتلك جميع البحارة الإيطاليين مثل هذا التأثير الأسر ؟

-" تحت امرك ، يا انستي ! ".

واخذ يحرك الاته ليخرج من الميناء الصغير فوضع يدا على الذراع التي امامه واليد الأخرى وضعها في جيبه ، وقد استدار جهة " ليا ".

اخذت "ليا" تراجع نفسها مع نفسها : إنه حتى لا ينظر إلى الطريق الذي يسلكه !.

اخذ يشرح لها فجاة :

-" يجب ان اخبرك اني لم اتعود القيام بمثل هذا من قبل ".

فهمت " ليا " في النهاية انه حديث عهد بالمهنة ! وبدا لها عاطفيا جذابا بدون سبب واضح ، فابتسمت له برقة :

-" هل هذه هي اول مرة ؟ ".

-" الأولى تماماً ".

زاد السرعة فانتشر الماء حول القارب على شكل دوائر بيضاء ، وانكمشت "ليا" في مقعدها . بدت لها وسائد المقعد جميلة ، وكان القارب يبدو جديدا تماما، فالخشب المصنوع منه في حالة جيدة والأجزاء المطلية بالكروم تبدو لامعة متوهجة.

-" اتمنى لك الفوز فيما تسعين لتحقيقه ".

اصابتها الدهشة من تلك اللفتة الكريمة التي بدت منه ، لكنها كانت بطبيعتها متحفظة . اجابته بابتسامة براقة. -" اشكرك ، اتمنى لك التوفيق والنجاح ايضا ... في حياتك ".

-" إنني في حاجة إلى قدر من الحظ ".

كان ينظر إليها من خلال اهدابها الطويلة السوداء ، واستطرد :

-" إن فتاة صغيرة مثلك لا تبدي مثل هذا الاكتراث بالغير ! ".

-" حقا ؟ إذن لو كان الاهتمام بالغير يتضاعف مع تقدم العمر ، لما كان لي ان انشغل باي شيء ".

اعاد قبعته إلى الخلف ، ليكشف عن خصلات من الشعر الأسود الفاحم :

-" بسكاتوري " ستجعلك تنسين كل ذلك ".

كانت " ليا " مهياة للإيمان بكل ما يقول . من مكان القرية كان يتاح للمرء رؤية مشهد خلاب تشكله الجزر . كانت ساكنة ، هادئة ، كانما تطفو فوق مرآة ساحرة . عاد إلى وجهه طابع الجدية ليحل محل ابتسامته الناعمة .

كانا قد ابتعدا عن " استريزا " ، وكان القارب يواصل تقدمه ببطء ، يكاد ينحرف عن الطريق .

لقد كانت توصيلة تشبه السحر ، لحظات ستظل تذكرها ابداً . تذكرت انه لم يحول ناظريه عنها . وعندما بدا يتحدث ، بدا صوته حاداً ، لدرجة ان " ليا " اصابها شيء من الصدمة تتغلغل في داخلها :

-" جميلة للغاية ...".

-" نعم ، إنها جميلة ، ويمكنك القول ايضا إنني لم اكن اعلم حتى بوجود مثل هذه الجزر ! " .

-" اه ، الجزر ؟ ".

رد عليها وشبه ابتسامة ترتسم على وجهه :

-" الم تسمعي ابداً عن جزر " بوروميو " ؟ ".

لم تستطع " ليا " ان تمنع نفسها عن مشاهدة تلك الجزيرة التي تكبر الجميع، طويلة مترامية الأطراف ، مغطاة بالمنازل في كل شبر منها . وعلى سطوح تلك المنازل ، يبرز عن الجميع جرس إحدى الكنائس فيعانق زرقة السماء :

-" في الحقيقة ، لم اسمع بها ابداً .

ردت عليه بصوت يتفكر فيما يوجد حولها :

-"إنها اجمل من ان تكون واقعاً ملموساً ".

وظهر على البحار تعبير جامد شبه صخري :

-" ولكنها واقع ملموس بالفعل . هنا نعيش ، وهنا نموت ، نتحدث نتجادل ، نكره بعضنا البعض او نحب بعضنا البعض ، مكان طبيعي كاي مكان آخر ".

ثم رفع قبعته من فوق راسه والقى بها على الحامل امامه ، تسمرت راسه تجاه النسمة الحانية التي تمر بهما . احست " ليا " ان حلقها يجف لمراه بخطوطه الأسرة . إنه رجل ذو جانبية خاصة ، اخذ يواصل

بصوت أخاذ :

- " وانت هل تاتين إلى هنا لتلحقي بحبيبك على ما اعتقد ؟ أم لتبحثي عن حبيب ؟

نطق الكلمة الأخيرة بصوته ذي البحة الغريبة وكانما قد قبل شفتيها .

بدت " ليا " مضطربة ، معجبة بهذا الإطراء المقنع . لقد اعتبره شيئا عاديا أن يكون لها محبوها ، إذن فهو يرى انها جذابة ....

ملاتها تلك الفكرة بسعادة ساذجة ذات طعم خاص ، فإحقاقاً للحق كان اهتمام الرجال بها قليلا . بالطبع كان هناك من يبدأ معها بإظهار الرقة في عينيه ، ولكن سرعان ما يدرك انها تعود لتدير دار المسنين هذه وترعى ساكنيها العشرة ، فما يلبث أن يختفي عن ناظريها . لطالما حدث لها هذا وتكرر . ففقدت " ليا " اي رغبة في الخروج او في مقابلة اي شخص .

كانت تعلم الآن ، انه ما من رجل يتقبلها مع ما تتحمله من مسؤوليات ... وفجاة انطفات جذوة نشوتها لهذه الفكرة ، وربت بصوت جاف :

- " اظن انني ابحث عن حبيبة " .

كان يراقبها بشيء من السخرية :

- " لا ، اظن انك تخرجين من إحدى الأساطير القديمة ، جنية من تلك الجنيات الساحرة ، إنك تشبهين ملاكاً صغيراً ياخذ قرص الشمس ويجلس بين السحاب هل استطيع ان القي عليك سؤالا بهذا الخصوص ؟ " .

كان كلامه قد جمدها تماماً في مكانها . إن للإيطاليين حقا رومانسية لاتقاوم.

- " هل هذا هو لون شعرك الطبيعي ؟ "

اخذ يواصل كانما لن تجيب " إنه لضرب من الجنون ان تصبغي شعرك بهذا اللون البرتقالي ! " .

- " البرتقالي ؟ " .

- " جزر ، شعر كزغب الجزرة ! لقد سمعت بتلك الأسطورة مراراً

عندما كنت في المدرسة . لا، عنبر، " الكترون " كما قال الإغريق القدماء... العنبر باقصى درجات جاذبيته ، خاصة إن مررنا ايدينا عليه كالمحبين " .

ها هو ذا يخلب لبها ! لم تستطع " ليا " ، كيف يمكنها ان تقاوم تلك النشوة التي اجتاحتها مما سمعته منه الآن ؟. عنبر ! كم يكون هذا رائعا جميلا ... واخذ يكمل برقة :

- " هذا العنبر ياسر غالبا تلك المخلوقات التعسة التي تسقط في شراكه ... " .

لا بد انها هي التي اشعلت نظراته بهذه الدرجة . اخذ يكلمها وهو ياسرها بعينيه : "إنه يقتنصها ولا يدعها تفلت بعد ذلك ابداً ... " .

إنها "ليا " التي تشعر الآن بانها قد اخذت إلى الأسر بعد ان وقعت في فخه الفاتن الخلاب . ما الذي يمكنها فعله امام هذه الجاذبية ؟ إنها لا تستطيع حتى ان ترد له بالمثل ! واختارت "ليا " ان تعيده بحزم إلى جادة الصواب .

- " إن هذا يشعرني باني محاطة بالخطر ، ويجب عدم التطرق لمثل هذه المواضيع " .

- " بالعكس ، في إمكاننا ان نحب الخطر كما لو كنا ندمنه ، ونبحث عنه ... " .

- " بل الأفضل ان تنظر امامك إلى الطريق " .

كانت تقاطعه بسرعة فاعادته إلى طبيعته .

- " هذا هو ما اقوم به الآن " .

كان يرد عليها بابتسامة طويلة ، مجنونة ، تدفعها ان ترد عليه بمثلها. "كم تجبر الظروف الناس على عمل ماهم مقدمون عليه مكرهين! إنه لشيء لذيذ خلاب ان يقع الفرد في الأسر ... " .

- " لا ، ليس الأمر كذلك ، أؤكد لك ان القارب قد حاد عن طريقه " .

استدارت حتى لا تتمكن من رؤيته ، واخذت تثبت ناظريها على الطريق . لابد ان " سيلينا " تعمل في إحدى تلك الجزر ، جزيرة عائلة "مازاردي " .

اعتزمت " ليا " ان تطلب منه ان يشير لها إلى تلك الجزيرة ، بيد انها

ادركت انه من الافضل الا تواصل الحديث معه ، والا تشركه في امور عائلتها .

ولدهشتها رات ذلك التعبير الدافئ الذي ارتسم على وجهه .

واصل الرجل النظر إليها متفرسا . كان قد كون حكما واضحا عليها، وبسبب تفرسه المتواصل فيها اصبحت لا تستطيع الفكاك منه حتى تنساه .

بعد لحظات اصبحت تسري بينهما غلالة من العاطفة المحيطة اخافتها . وببطء واجهته وسالته بنبرة حاولت ان تبديها طبيعية :

- " كم من الوقت بقي لنا حتى نبلغ " بسكاتوري " ."

كانا لايزالان بعيدين عن المرسى ، والقارب يتقدم ببطء مريب . اخذ الرجل يدرسها بنظراته لبرهة طالت ، دون ان يرد على تساؤلها وقد اختلطت في عينيه نظرات الإعجاب بها والتطلع إليها ، فاهتز جسده من فرط انفعاله. شعرت "ليا" انه على دراية كبيرة بالتعامل مع النساء، وبانه قد اعتاد ان ياسرهن بقدرته الفاتنة ، ان يسودهن ، ويخضعهن له تماما .

إنه بلا شك يمتلك نرجسية " دون چوان " ، حيث لايحب في النساء إلا قدرته على السيطرة التامة عليهن . شعرت " ليا " انها لا تستطيع ان تقاومه بسبب جسده هذا الذي لا يقهر ، فكان من الطبيعي ان تشعر بنوع من الإثم بسبب سلوكه الذي يسلكه ، فاي رجل فاتن آخر لم يكن ليجد منها إلا برودة الحجر الرخامي . لكن معه هو ، كانت لاتعلم لماذا يبدو الامر مختلفا . لقد اخضعها له تماماً . اخذت تردد سؤالها بصوت مرتعش :

- " پـ ... بسكاتوري ؟ "

- " لم تعد الجزيرة بعيدة ".

اخذ يجيبها بهدوء كانما ظن ان الخوف سيصيبها :

- " إنها هنا ، انظري ".

- " تلك الجزيرة ، فقط هذه ؟ ".

- " نعم هي ، جزيرة " بسكاتوري " ، جزيرة الصيادين ، إنها هي المكان الذي تقصدينه ".

- " نعم ، نعم ... إنها هذه الجزيرة ، تلك التي هناك ؟ "

اخذت تنظر إلى وجهه كي ترى تاكيده للاتجاه الذي اشارت إليه ، وملامحها تشع بالبشر . فكانت الابتسامة التي رد بها عليها من الروعة ، لدرجة انستها خشونته السابقة ، وصارت تتحدث معه كما لو كان صديقا قديما .

- " هذا لايصدق . تصور ، إنني لم اكن اعلم انني ذاهبة إلى جزيرة ! وانا التي كنت معجبة بمشهد القرية من بعيد ، لقد كنت ابعد من ان اتبين هذا ... ياله من جمال وروعة ! ".

كانت تقف متكئة على حافة القارب ، تنظر إلى تلك الجزيرة التي قد اشار إليها بلفتة من راسه .

- " فندق في قلب تلك الجزيرة الصغيرة الساحرة ، في وسط تلك البحيرة الـ... ".

اصابتها الفرحة بشيء من البلاهة . تلك الصورة الساحرة ، قد محت الآن الصورة الأخرى الكئيبة التي تصورتها لحجرة صغيرة تقبع فيها ، في مكان ما في وسط مدينة صاخبة .

اخذت تفكر في " سيلينا " التي - بسبب ما يكدرها - قد جاءت ، لترى ذلك الركن الساحر من العالم .

ابتسمت " ليا " بوجه امتلأ بالبشر ، وقد التمعت عيناها بكل البراءة .

كانت بابتسامتها الجميلة وذلك الاحمرار في وجنتيها مع هذا الأفق الرائع - تشكل صورة خلابة فاتنة الجمال .

- " اعتقد ان "بسكاتوري " توافق كل احلامك ، وانك ستجدين فيها الكثير من... المتعة ".

-"إنني قد اتيت إلى هنا - للاسف - لإنجاز بعض الشؤون الخاصة".

- " في " بسكاتوري " ؟"

- " نعم ، للاسف ".

- " هذا غريب . إنك لا تعلمين حتى إلى اين انت ذاهبة ".

للحظات قليلة ، شعرت بنوع من الثقة نحوه . فاحست ان تلك الثقة في صالحها تماما ! لكنها فضلت الا تبوح بشيء عن المصاعب التي

تواجه "سيلينا". فمنعت نفسها عن الكلام ، واخذت عيناها تقابلان عينيه اللتين تشعان حرارة ، وتقرآن كل ما هو مدفون في داخلها ، فتفهم كل مافيه . وفجاة توقف صوت المحرك تماما ، واصبح الصمت يلفهما . همس إليها :

- " انستي ... ".

كانت تلك الكلمة لها رنة السحر ، فقد كان تعبيره عميقا دافقا . فسالته بصوت متهدج :

- " لماذا وقفنا ؟ "

اجابها ببطء :

- " ربما لأن القارب قد اصابه مس من السحر مثلما اصابني .. هل سبق لك ان احسست بمثل هذا الشعور ؟ هل سبق لك الإحساس بانك اصبحت أسيرة فجاة؟ ".

- " لا ، بالتاكيد لا .. ".

مرت شبه ابتسامة على وجه البحار :

- " انا ايضا لم اصادف مثل ذلك من قبل ، وهل سبق ان رغبت ان يحدث لك ذلك ؟"

نعم . اجابت في داخلها دون ان تنطق . نعم ، الآن مثلا . كانت تريد الجلوس بقربه ، حتى تتعرف على كل ما يجول بخاطره ، ثم ردت اخيراً .

- " احيانا ".

- " وانا كذلك ... ولكنني لم اترك لنفسي العنان إطلاقا ، لتنساق لمثل هذه الأحاسيس . دائما كنت افكر قبل اي تصرف ، كنت احسب كل تصرفاتي وحركاتي . ومع ذلك ، مرة واحدة ، ليس اكثر من مرة واحدة في الحياة كلها ، تلك الضربة المباغتة التي تهدم الحائل ، وتدك الحصون ... اتفهمينني ؟ ".

- " إنك تتحدث بسرعة ، بسرعة كبيرة ... ".

- " نعم ، اعلم ، لكن ها هو ذا ما حدث لي اليوم ، اليس كذلك ؟ ".

- " بلي ، اتعتقد ذلك ؟ ".

- " يجب علينا ان نتلاقى . هل ستذهبين إلى فندق " بوروميو " ؟ هل

يمكن ان نتناول عشاءنا معا ، هذا المساء ؟ ".

كان يسالها والرقة تملأ نبرات صوته ، والخوف يبدو على نظراته . ردت عليه بصوت متهدج :

- " هذا مستحيل ، ساكون بصحبة شخص ما "

كانت تشعر بالأسى ان ترفض طلبه .

- "يا للأسف . اهو حبيبك ؟ يبدو عليك مظهر امراة لها محب عاشق، سعيدة، لا تطيقين صبراً حتى تلقيه . لكن ربما كان ذلك مسلكك الطبيعي ؟ ".

- " ارجوك ، دع القارب يواصل المسير ".

- " اواثقة انت من ذلك ؟ الا يكون من الأفضل ان نلبث ها هنا ابدا، والا تطا اقدامنا الأرض ؟ "

راحت تسرح مع احلامها برهة . تبقى هنا ، بعيدة عن كل شيء ، عن كل الناس ، بعيدا عن مشاكل " سيلينا "، مع هذا الرجل الفاتن ... لكن سرعان ما استعادت نفسها .

- " ولكننا سنموت جوعا ! ".

- " ليس في الأمر كله مشكلة "

أجابها بابتسامة صغيرة :

- " سياتي إلينا الصيادون بما ناكله . سيكون في الأمر مزايا اكثر مما فيه من عيوب ".

- " اية مزايا ؟ "

سالته بصوت متهدج وقلبها يدق بعنف ، يكاد يتحطم .

- " سيكون لنا مطلق الحرية ان نفعل ما نشاء ، سيصبح لدي الوقت لاتعرف إليك ، قبل ان يفسد هذا العالم نقاءك الرائع ".

كان يتحدث إليها بإخلاص شديد ... وشعرت " ليا " بالانجذاب نحوه ! معجزة حقيقية . يخيل إليها انها تعرفه طوال حياتها ، إنها تستطيع البقاء إلى جانبه أبداً . كانا في القارب ، العين في العين ، اتحاد كامل وامتزاج غريب . ومن يكون هو ؟ بحار إيطالي... اي عاطفة غريبة اختزنها لها القدر . هذه المرة ! لكن لا ، اي طيش هذا . إنها فتنة تلك الجزر الساحرة ، وهذه البحيرة المسربلة بالروعة والجمال .

فجاة انسلخت "ليا" من النظر إليه وارخت اهدابها. يجب أن تصد خيالها وعواطفها تلك الرومانسية . العواطف التي - طالما كانت تراودها - تتولد بالاماني لملاقاة الأمير الفاتن الخلاب ...

- " حسنا ، ، ما رايك ؟ "

اخذ يستانف سؤالها . راحت تنظر إلى الماء والحزن يكسو نظراتها. بعض من جذوع الأشجار المقتلعة كانت تطفو حول القارب ، تضرب هيكله وتصطدم به ، فتصدر اصواتا تصم الآذان .

واخرجت " ليا " تنهيدة عميقة .

- " هانت تتوهين مني مع الأفكار ، وترخين تلك الأهداب البديعة ثانية . وانا اهيم بك تعلقا ، وصرت اهتم بامرك ".

- " ولكن لماذا ؟ ".

- " يبدو أن هناك ما يشغل بالك . دعيني اساعدك ، انا على ثقة اني استطيع ان افعل شيئاً ".

- " لا ، إنني لست في حاجة إلى مساعدتك ! ".

- " اتظنين اني لا اكتم السر؟ من الواضح ان راسك مشغول بشيء ما، شيء صعب شاق ينتظرك ، ربما هذا هو الوضع ؟ إنك مشتتة الذهن، تبدين كالبائسة ، إنك حتى لم تلاحظي انني لست بحارا لاحد القوارب الأجرة التي تقوم بالتوصيل ، لم تلاحظي انك قد صعدت إلى قارب خاص ليس للإيجار ".

فوجئت "ليا" ، وفتحت عينيها عن اخرهما .

- " فلتغفر لي ! لم اكن اعلم ... "

هذا هو مايفسر مسلكه الغريب ! .

- " لا تهتمي بالأمر ".

كان يحدثها وهو يقترب منها . وكانت عيناه تلمعان بتعبير جديد .

اخذت " ليا " تتلفت حولها وقد انهلها الموقف . لا اهتم للأمر ... لااهتم لأي امر ؟ ثم راحت تتراجع على مقعدها .

- " لـ ... لماذا ؟ لا ... "

وبدون ان يتعجلها ، وقف في مواجهتها ، ونظراته تقطر عذوبة ورقة . لكن تلك الرقة التي بدت منه لم تزل بعد مخاوفها :

امام كل هذه العذوبة ، كيف تجد القدرة لتصده عنها ؟ راحت تامل الا يتمكن من قراءة ما يدور في خلدها ، الا يفهم تلك الرغبات التي تعتمل في داخلها ... قال لها :

- " لا تترددي ".

اخذت " ليا " تشعر ان فمه يسحرها ويخلب لبها . حاولت ان تجيبه، ولم تستطع ان تنطق بحرف واحد. راحت تنظر إلى اهدابه الطويلة السوداء ، إلى شفتيه المرطبتين شبه المفتوحتين . مرر لسانه بين اسنانه البيضاء ، فاخذت "ليا" تقلده بدون تفكير ، ماخوذة بالسحر المنبعث من هذا الرجل .

غاصت في دوار ناعم لذيذ من عطره الجذاب الذي فاح من جسده . ومع ذلك يجب ان تقاوم ذلك الإحساس فالحياة ليست هكذا ، ليست ابداً مجرد تقابل بين عابري سبيل بلا غد ! الحقيقة الوحيدة هي "سيلينا" التي يجب ان تساعدها، وهي هؤلاء المسنون المسؤولة عنهم . زرت مابين حاجبيها ، وقررت المقاومة . كيف تقاوم ؟ لا يمكنها ان تقفز إلى الماء فتغرق . وفجاة قطع الصمت بحديثه:

- " هل انت مضطربة ؟ ".

- " نعم ، اخشى ان اصل متاخرة إلى الفندق ، انا مرتبطة بموعد ".

صدق اكذوبتها بسهولة . بهذه الطريقة ، ستتجنب ان تجعل من نفسها اضحوكة مع هذا " الروميو " ، الذي اعتاد مثل هذه المغامرات ليحصل على قوته .

أصبحت تشعر فجاة بالإنهاك .

- " لقد هالني ان زلت قدمي وانا اصعد إلى قاربك ، بسهولة كنت تستطيع ان تمنع وقوعي . والآن ، وقد اصطحبتني معك ، فإنه يتحتم عليك ان توصلني إلى البر . لقد اعياني التعب ".

- " ما هذا الخليط العجيب الذي يربكني حقاً . إنك حالمة ومضطربة ، تمتلئين حيوية ونعومة ، على استعداد للتقبيل وفي غاية البراءة ... كل في ان واحد ".

لم يعجبها إطلاقا ذلك التلخيص لشخصيتها ، هي التي كانت تريد ان تبدو في نظره امراة مجربة !.

- " فلتحتفظ بانطباعك لنفسك ، اشكرك ، إنك سخيف . بامانة ، لقد جعلتني اتقزز ! هل اعتقدت انه ستروق لي تلك السخرية ! لابد انك قد اعتدت القيام بتمثيل دور الفاتن الخلاب ، لكنني لست من النوع الذي ينجذب إلى مثل هذا . إنك تضيع علي الوقت ".

كان ابعد ما يكون عن الغضب ، ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهه .

- " ينصحون الناس بالمجيء إلى هنا لينالوا قسطا من التحرر ، فليس في الدنيا ابدع من مثل هذا المكان للحصول على السعادة . البعض يعتقد ان تلك البحيرات تؤدي إلى لم شمل المحبين ، اما العلماء فلهم راي مختلف تماما، إنهم يرون ان الماء يحمل في طياته إيحاء جنسيا . ما رايك ؟ ".

- " ارى انك قد تخطيت حدودك تماما ، وانك تستحق صفعة على وجهك !".

- " وانا لا ارغب في افضل من ذلك ! فاي نوع من الملامسة مع يدك سيكون متعة لي ..".

روحه المداعبة وابتسامته الرقيقة كادتا تزيلان اي اثر لكلام " ليا ". وحتى لاتستسلم لضعفها - الذي تستمتع به - سحبت يدها لتصفع ذلك الخد البرونزي .

ثم اخذت تعتذر عن تصرفها :

- " اوه ! اغفرلي ...".

افقدته الصفعه توازنه ، بيد انه تمالك نفسه من الوقوع مستندا بيده ، وكان لايزال يميل امامها . بدت علامات اصابعها حمراء على وجهه ".

- " انستي المسكينة ، لقد وصلت إلى قمة انفعالك بالفعل ، لك كل الحق ، يجب ان اقلك فورا إلى الفندق . ومن يعلم ، ربما بعد ان تنالي قدرا من الراحة في غرفة تطل على مشهد البحيرة قد تشعرين بتغيير في رايك ورغباتك ، من يدري ؟ " .

وادار المحرك بسرعة ، وحرك عصا القيادة ليزيد سرعة القارب حركة القارب جعلت " ليا " تلتصق بمقعدها . لم يكن ينبغي لها ان

تضربه ، لكنه كان اهلا لذلك ! تبين لها فجاة انها قد قامت باول صفعة في حياتها ...

بدت جزيرة " بسكاتوري" اكثر غرابة من قرب . كانت المنازل اكثر التصاقا، الواحد بجوار الآخر ، بحيث لا يوجد مكان إطلاقا لمنزل اخر يضاف إليها . صف واحد يشغل حيزا كبيرا من افق الجزيرة ، تحت الاشجار، رات " ليا " اكواما عالية من الخشب المقطوع منها . وقوارب صيد مغطاة تبدو راسية في الميناء الصغير ، لا يعكر سكونها سوى اقتراب قاربهما ببطء إلى البر . شعرت " ليا " ان إثارتها تتولد في داخلها من جديد .

بعد لحظات ، كان قاربهما يصطدم - برفق - بحجارة الرصيف . كانت رحلة عبور مشحونة ، ذات عواطف متاججة .

- " كم اجرتك ؟"

اخذت تساله بصوت خفيض ، وقد ضايقها سؤالها هذا .

- " لا شيء ".

- " مستحيل ، يجب ان ادفع لك " .

همس إليها :

- " إذن ، قبلة ".

- " في هذه الحالة لن تحصل على اي شيء ".

بدا كما لو لم يكن يفهم إجابتها .

- " سوف احصل على اجري في وقت لاحق ! ".

- " هذا لن يحدث ابداً ".

لم تبد عليه علامات الرغبة في ذلك ، فهو بالتاكيد قد اعتاد ان يجد من يحل مكانها ! إنها ليست إلا سائحة عليه إغواؤها كاي سائحة غيرها ...

- " ستجدين الفندق في آخر هذا الدرب ، على اليمين . وعندما تكونين في حوض الاستحمام ، تاكدي اني ساكون افكر فيك حينئذ ! ".

كان اسلوبه يوحي بالابتسام ".

- "يبدو انك في غاية الجد والحزم ، كما تشائين لكن... لا تنسي ان تنظري إلى البحيرة ! ".

www.elromancia.com

لقد أسرت عيناه عيني " ليا " . شعرت الفتاة الصغيرة بالرغبة في أن تبقى هنا ، لا تجد القوة للابتعاد عنه . لم تلفت تصرفاتهما الغريبة أنظار الصيادين المحيطين الذين كانوا يقومون بفحص أسماكهم وفرشها .

- " إلى اللقاء قريبا جدا ".

ألقى إليها الرجل بالتحية من قاربه .

- " بالتأكيد لن يحدث ، سأتجنب حدوثه إن استطعت ! "

الضحكة التي انطلقت منه رداً على ملاحظتها ، اختفت تحت هدير المحرك . أخرجت زفيراً عميقاً ، وبدأت " ليا " تتخذ طريقها إلى الفندق.

الفصل الثالث

- " سيلينا " !

وضعت " ليا " حقيبتها على الأرض ، داخل البهو الصغير للفندق . وفتحت ذراعيها لتستقبل بينهما تلك الفتاة الصغيرة الشقراء التي اكتسبت لونا برونزيا، وقد جاءت تجري نحوها . شعرت " ليا " بنوع من الحماية نحو أختها بفضل ذلك القصر الذي تتميز به الأخيرة عنها، احتضنتها :

- " إني أنتظرك بفارغ الصبر ! ".

- " ولكنك قلت لي أن آتي هذا المساء ...".

- " لقد تغير كل شيء . خذي مفتاحك ، سنتحدث في حجرتك ".

ذهبت " ليا " لتثبت بياناتها في الدفتر الخاص بالفندق ، ولبثت تنتظر أن تجد لها عاملة الاستقبال رقم غرفتها ".

- " ألا ينبغي أن تكوني الآن في عملك ؟ "

أخذت تسألها باهتمام بالغ . ترى ، لو حدث ولم ترسل برسالة إلى أختها ، من يدري كم من الديون كانت ستضاف إلى حسابها ؟.

www.elromancia.com

- " لقد اخبرتهم أنني مريضة ، او شيء من هذا القبيل . فقد احسست انني سالقاك ساعة الغداء ، ولكن هانت ذي تصلين متاخرة ! ما الذي اخرك ؟ فالظروف لا تسمح بالتاكيد ان تقومي ببعض الجولات السياحية ، وإنك لتدركين ذلك ".

احست " ليا " بالخجل من نفسها . فرحلة القارب كان من الممكن ان تاخذ نصف هذا الوقت .

ابتسمت بالية إلى عاملة الاستقبال ، التي قدمت لها مفتاح غرفتها ، ثم تابطت ذراع اختها .

- " لم اكن ادري انك تنتظرينني من الآن ، لقد اخبرتني ان لقاءنا سيكون على العشاء ".

- " إنني لا اطيق صبراً . يجب ان يتصرفوا وحدهم . تعالي بسرعة ، فليس امامنا وقت طويل ! ".

ها هي ذي لم تلبث ان تصل حتى يتحتم عليها الإسراع ! لقد وصل إليها نداء اختها في الفجر ، ومنذ ذلك الحين وهي تشعر بالإنهاك والقهر . لكنها لاتستطيع ان تمتنع عن نجدة اختها من تلك المشاكل التي تتسبب فيها دوما ، فتثير السخط من حولها ".

- " استمعي إليّ ، يجب ان تعودي إلى عملك قبل ان يلاحظوا غيابك . وعلى كل حال ، انا الآن في غاية التعب، لنؤجل حديثنا إلى وقت لاحق، فلدي الكثير لافعله ! ".

- " وماذا عني انا ؟ لو تعلمين ما مر بي . إنه يهدد بإلقائي في السجن ! ".

قادت "سيلينا " اختها إلى درجات السلم وهي تصيح - في طريقها- باحد العاملين :

- " كاسين من الشراب كمية مضاعفة".

ثم اخذت تزم حاجبيها الذهبيين :

- " كاسين كبيرتين ، اتفهم ؟ ".

ابتسم العامل إليها محاولا الا تخطئ عيناه النظر إلى الفتحة العريضة على صدر ثوب " سيلينا ".

راحت الفتاة الصغيرة تدفع اختها وهي تلومها .

- " إنها كارثة ، هل تتصورين ما كنت ...".

- " لحظة من فضلك . إني لم اكل شيئا . منذ الصباح . إنني لا اريد شرابا، بل اريد ...".

- " لاعليك ، ساقوم انا بالكاسين . ها هي ذي غرفتك ".

اعطتها " ليا " المفتاح ، ثم تبعت اختها التي سبقتها إلى الداخل . اخرجت نفسا عميقا قبل ان تلقي بنفسها إلى الفراش ، في الظلمة التي تلف الحجرة . اخذت تتحسس قدميها المنهكتين . راحت تحدث نفسها : لو كانت قد استطاعت شراء حذاء اخر قبل الرحيل فقط ، لو استطاعت ان تكون في اي مكان آخر غير هذا المكان ! وراحت " سيلينا " تشركها مرة اخرى في عاصفة مشاكلها دون ان تدع لها فرصة تتنفس فيها .

- "افرغي حقائبك بينما اتحدث إليك ! "

كانت الفتاة الصغيرة تحدثها بلهجة شبه امرة ، بينما راحت تفتح الستائر الخضراء ، لتترك اشعة الشمس تتدفق إلى الحجرة . ولأول مرة ، لا تطيعها "ليا" فقد كانت ماخوذة بتامل المكان حولها .

كان بالحجرة صوان كبير يسع عائلة باكملها ، وفراش لفردين قد طليت قائمته ولونت زخارفها باليد . اخذت تمرر يدها على تلك القائمة التي ترتفع فوق الفراش ، بلونها الازرق الرائع . ياله من طراز عتيق ! كان هناك ايضا مراة يحيطها إطار من الخشب المذهب ، وقد زينت حوافه بقماش الساتان الأصفر الشاحب ، ومقعد وثير ذو ارجل قد زينها بروز من الصلب .

عبر الحجرة امكنها رؤية شرفة مربعة بلون احمر قان ، ومن هذا المكان بدا المشهد البديع للبحيرة وزوج من الجزر .

- " لولو! لا تخرجي ! ".

صاحت فيها " سيلينا " ووضعت ذراعيها امام عينيها ثم قالت بصوت حزين:

- " لا اريد ان اراها بعد الآن ! ".

سالتها " ليا " وهي ماخوذة ".

- " ترين ماذا ؟ ".

- " الجزيرة ! تلك التي بها الأشجار والزهور والقصر الكبير . ففيها مكان عملي ".

خرجت " ليا " إلى الشرفة ، تطا بقدميها الحافيتين البلاط الملتهب . تلك الشرفة البديعة اصبحت لها وحدها ! شعرت كما لو كانت إحدى الأميرات . لاينقص ما يدور بخيالها سوى بعض الإضافات الرومانسية . لقد حجزت لها " سيلينا " هنا حجرة الأحلام . إن مالت قليلا ، فسترى ممشى يؤدي إلى حافة الماء . لقد اصبح لديها الآن مسبح خاص ! ومشهد خلاب على جزيرة رائعة الجمال .

خميلة من النباتات المتسلقة تلف الشرفة كلها وتصل حتى الصفحة الزرقاء للبحيرة . حدائق غناء ! بقع مترامية الأطراف قد كستها الخضرة وتناثرت عليها لمسات من اللون الأحمر والنفسجي هنا وهناك ... وتذكرت "ليا" أن " سيلينا " تنتظرها داخل الحجرة ".

- " كم هي رائعة الجمال ، جزيرتك هذه ! ".

- " جميلة ، لكنها سامة ! ".

- " ما هذا الذي تقولين ؟ ".

- " لا تنظري إليّ هكذا . افعلي شيئا ، افرغي حقائبك ، اشغلي نفسك باي شيء . لا أستطيع التحدث إليك بينما تركزين بصرك علي بهذا الشكل . إنهم يسمونها جزيرة " مازاردي " الرهيبة ! ".

- " حسنا ، هيا احكي لي ".

قالت لها ذلك وهي تعلق في الصوان ثوبها الآخر والقميص والتنورة الجديدين.

- " هل هذا هو كل ما احضرته معك ؟ ".

- " لا تشغلي بالك .. إن كنت تشعرين بالخجل مني ، فبإمكانك عدم رؤيتي مطلقا . ولتتوقفي عن انتقاد ملابسي ! ".

فسالتها " سيلينا " وهي في غاية الاستياء :

- " اليس لديك ملابس اكثر اناقة ؟ ".

- "نعم ليس لدي ملابس انيقة لم اكن مستعدة لتلقي دعوة من "مازاردي" هذا حتى اجهز ثوبا ملكيا . إن ما تنظرين إليه باحتقار هو افضل ما لدي".

توقفت "ليا" برهة لتشاهد اثر كلماتها على اختها ثم راحت تواصل:

- " لا تقولي إنك تلبسين مثل هذه الملابس للذهاب إلى العمل ، فلا يمكن ان تمري بمكان دون لفت جميع الأنظار ! ".

- " لا، هذا ليس صحيحا ! لقد ابدلت ملابسي قبل ان اركب السفينة. لأن زي العمل الذي سلموه لي كان ذا رائحة لا تطاق . لم اعترض ، بقيت ساكنة حتى بلغت الذروة . فما إن اهم بفتح فمي باي كلمة حتى يكشر لي "مازاردي" عن انيابه ...".

- " حسنا ، ما الذي تقومين به في عملك ، غير كل هذا ؟ ".

اخرجت "سيلينا" زفيرا عميقا ثم راحت ترتمي بين ذراعي اختها تحتضنها.

- " لكم انا سعيدة برؤيتك ! إنك تفهمينني على الاقل . الجميع يعاملونني كما لو كنت دمية غبية ".

القت "ليا" نظرة ماكرة على تلك الفتحة العريضة بصدر ثوب اختها.

-"نعم انا اعلم انه رد الفعل الطبيعي امام ذلك الزي الذي ارتديه ".

ثم راحت " سيلينا " تشرح :

- " العمل ... حسناً ، إنه يعجبك بالتاكيد ويناسبك انت . لقد عينت كمرشدة، اقود جولات زيارة قصر " مازاردي " للسياح الإنجليز . إنه لعمل مضجر قاتل... إنك تقدسين مثل هذا النوع من الأعمال . لم اكن لأظل يومين لولا ان قابلت " رونزو " ".

واضطرت " ليا " ان تنتظر بقية الرواية ، فقد دخل عامل الغرف يحمل إليهما الشراب .

قالت له " سيلينا " بصوت قد ملاه الياس :

- " اضف هذا إلى حسابي . اشكرك ".

اغلق الباب ، وابتلعت "سيلينا " دفعة من الشراب . بدا عليها الياس تماما ، وكانت يداها ترتجفان بعض الشيء .

- " هذا الشراب يشعرني بالقوة ! حسناً ، الجزيرة يملكها "مازاردي"، و"رونزو" هو اخوه الأصغر . إنها عائلة قديمة جداً ، تمتد جذورها عميقا . ويبدو ان القصر ومابه من منقولات ومفروشات ، يساوي ثروة لا باس بها ".

- " و " رونزو " ؟ ".

- " إني احبه . لا داعي لهذا الخوف ، اعلم ان الامر يبدو متسرعا بعض الشيء ، لكني أؤكد لك ان خفقة القلب حقيقية " .

بالأمس لم تكن " ليا " لتصدقها . اما اليوم وبعد ان قابلت هذا المجهول في البحيرة ، فقد بدات تتفهم ماتقصده اختها . مدت " سيلينا " يديها إليها برقة.

كان بنصرها يتحلى بخاتم به ماسة كبيرة . اخذت " ليا " تتساءل : كيف لم الاحظ هذا الخاتم البديع من قبل ؟

- " انظري ، لقد اعطاني هذا الخاتم ... ".

- " هل عقدتما الخطبة ؟ إنكما لم تكادا تعرفان بعضكما تمام المعرفة! فكري قليلا يا عزيزتي ، لقد انجرفت لطيشك مرة اخرى ، ويجب ان تعلمي ان الانجذاب اللحظي إليه لايعني وجوب نجاح العشرة بينكما . هل انت واثقة انك تريدين العيش معه إلى الابد ؟ "

- " ارجوك ، لا تسدي إليّ النصائح . ففي قائمة الاعتراضات ايضا اننا نختلف عن بعضنا كلية ، لا تنسي ذلك ! ".

- " الحق معك ، إن كنتما متحابين فعلا ، فلا اعتقد ان يكون لكلامي اي تاثير لكن فكري فيما هو آت واخوه ، ما دوره في كل ذلك ؟ ".

- " إنه وحش جبار ! " ماسيمو " دائما يغار من " رونزو " حبيبتي الصغيرة " لولو " ، إنك انت التي ستساعديننا باساليبك الجميلة وتصرفاتك التي تنم عن فتاة بالغة كاملة العقل ، ستستطيعين إقناعه".

- " إنك دائما ودود " قالتها " ليا " من بين اسنانها . فاومات "سيلينا" براسها ثم اكملت :

- " إنه يكرهني ، يعتبرني فتاة مغامرات . وهو المسيطر على كل ثروة العائلة ، يتحكم في كل شيء . إن عارض الزواج ، لن يجد "رونزو" سنتيما واحداً او مكانا يؤويه لدرجة انني قد عرضت على "رونزو" ان يلوث شرفي ، حتى يجبر اخاه على قبول هذه الزيجة . بيد انه قد صدم بشدة لعرضي هذا إنه يريد لزوجته ان تكون عذراء حتى ليلة الزفاف ! ".

تركت " ليا " الحذاء الذي كانت تقبض عليه في يدها فوقع على

الأرض . كيف يمكنها ان تتخيل " سيلينا " وهي تعيش مثل هذه المواقف وتمارسها ؟ على كل حال فإن سمعتها ليست بالشيء الناصع البياض .

- " حسنا ... لأن ... لـ ... ".

- " إنني في حاجة إلى شيء من التسرية برغم كل شيء ! ولهذا السبب بالذات كابدت عدة مشاكل مع الشبان ، كان رفضي يثير جنونهم . إنني عذراء، وهذا شيء حسن . لكن الآن ، انا و " رونزو " ، إننا نريد الزواج ... باسرع ما يكون ! ".

- " رايي انه يتحتم عليك ان توثقي عرى الصلة بينكما . إن الناس لايتزوجون هكذا بعد ثلاثة ايام. غداً ، سأذهب معك إلى الجزيرة وساتحدث إلى "مازاردي".

- " لا ، إن لم نتزوج على الفور فإن "مازاردي" سينسفني من الوجود، هذا مؤكد ! ".

- " اهدئي يا عزيزتي ، واتركيني اتصرف كما ارى ، إنني اشعر بالاسى لما انت فيه . كما اني لاارى انه يستطيع فعل اي شيء مما تقولين ".

ارتمت " سيلينا " على الفراش وهي تنتحب . ولم تهدأ قليلا إلا عندما جلست " ليا " إلى جوارها ، لتقويها ولتطيب خاطرها .

- " إنه كريه ، لا اخلاق لديه ! إنه يعاملني كانني إحدى العاهرات ! كل ذلك لأنه راني ذات يوم بصحبة بحار من بحارة القوارب كان ياخذني في جولة بارجاء البحيرة . لم يكن خطا مني ان حاول التهجم عليّ ، اليس كذلك يا "لولو"؟ لقد كدت اجن من مضايقته لي ، وبلغ بي الحنق درجة كبيرة بعد ذلك ! لكن "مازاردي" بالتاكيد لم يكن يريد تصديق اي كلمة ادافع بها عن نفسي ".

- " حسنا ، لسوف يستمع إلي انا ! أؤكد لك انه سيغير من لهجته ! إن ظن ان ... ".

- " نعم ، نعم ، وقد تصلين معه إلى نتيجة . ولكن بانتظار ان يتحقق ذلك ، لعلك تفهمين لماذا نحن في حاجة إلى النقود انا و"رونزو". إننا لا نستطيع الفرار لنتزوج ونحن لا نمتلك شيئا . وعندما نعود ، سيكون

"ماسيمو" مجبرا على ان يتقبلني".

-" لا ، إنني لا استريح لهذا الحل ، إنه اسلوب غير امين".

-" ليس لدينا خيار آخر ، إنه مستبد . إنك لا تعلمين معنى ان تتقربي إلى شخص مثله ، او ان تجعليه يتقبلك . إنني اصبحت لا انام".

اخذت "ليا" تضم اختها بين ذراعيها تريد ان تزيل عنها تلك الوصمة الكاذبة التي يريدون إلصاقها بها".

-" هل يمكن ان يكون اخو "رونزو" قد احبك هو ايضا ؟".

-" اتسخرين ؟ إنه بلا قلب . لو رايته كما رايته انا للمرة الأولى ! إنه حتى لم يعر اي التفاتة للغمزة التي غمزت بها له".

-" سيلينا" !.

-" لكن هذا لم يعد له اي اهمية الآن ، اما "رونزو" ، فإنه فتى رقيق وليس من المستغرب ان الجميع يفضلونه . لقد طردت العائلة "ماسيمو" من قبل".

-" حسنا ، فلنلخص كل هذا : لقد طلبت مني الحضور كي اتيك بالنقود التي تلزمك للهرب مع ذلك الإيطالي ، وتريدين ان تلقي بي امام الثعلب للدفاع عنك حيث يجب علي ان اسوي الامور مع هذا الثور الجبار الذي يشهد له الجميع بالسطوة والقسوة".

-" نعم ، إن ضخمنا الأمور ستبدو على هذا النحو".

-" شكراً جزيلاً !".

كان من الواضح ان "سيلينا" لا تنوي العودة إلى العمل اليوم . همت "ليا" ان تاخذ حماماً منعشاً وقد قررت ان تسوي حاجاتها وترتب ملابسها بعد ذلك. وقفت تحت تيار الماء المنهمر عليها ، واخذت تكمل حديثها مع اختها من تحت الدش .

بعد فترة ، كانت ترتدي ثوبا مريحا واسعا ، وجلست بجوار "سيلينا" على الفراش العريض واخذت تحاول ان تلقنها بعض مبادئ الدبلوماسية في التعامل مع الآخرين .

-" حاولي إقناعه ، كوني لطيفة في معاملته ، كوني جذابة . انا على ثقة ان "مازاردي" سينتهي به الامر للإذعان لصوت العقل ، ذلك إن

تحدثت معه بذكاء".

خيل إلى "ليا" انها تكرر نفس الكلام منذ ساعات بلا اي نتيجة . والآن ، لقد جاء الليل ، وهي تكاد تموت جوعا ، لكنهما لن ينهيا مثل هذا الحديث الخاص جدا في صالة الطعام . ردت عليها "سيلينا":

-" إنك لا تفهمين شيئاً . لقد اوضح لي "رونزو" ان "ماسيمو" لا يتاثر ابدا بكلام الآخرين ، إنه يكره ان يضغط عليه احد . إن "رونزو" خائف لأجلي . نحن مجبران على الرحيل سراً".

-" يامسكينة ، يبدو ان هذا الرجل نمر ارقط".

-" إنني لم اصادف في حياتي إنسانا رهيبا مثله".

-" إني اصدقك ، ولكن انتظري ، اصبري فترة اخرى حتى ...".

وقفزت الفتاتان من مكانهما عندما سمعتا طرقا على باب الحجرة . كانت لفافة من اجل "ليا" . اصابتها الدهشة ، وعادت إلى الفراش بعد ان اعادت إغلاق الباب ، واخذت تحل رباط اللفافة . وجدت بداخلها علبة من المخمل .

-" لابد ان في الأمر خطا ما". قالت ذلك وهي تمسك بالبطاقة التي جاءت مع اللفافة .

احمر وجهها وهي تقرا الكلمات التي سطرت عليها . غلب "سيلينا" حب الاستطلاع ، فتناولت البطاقة من يدها لتقرا :

-" يجب ان اراك مرة اخرى ، ساترك نفسي لاقع في الفخ".

في هذه الأثناء كانت "ليا" تفتح العلبة فوجدت بداخلها "بروشا" انيقا من الكهرمان . نظرت إلى اختها بعينين مضطربتين وهي تريه لها . ودق جرس الهاتف فقفزت من مكانها مرة اخرى .

-" رعب".

همست "سيلينا" وواصلت ، "لابد انه "ماسيمو" !".

-" حسنا ، هذا سيحل المسالة ، سيضطر إلى سماعي". رفعت السماعة وردت بصوت متحفز :

-" نعم ؟".

-" هذا رائع . تعجبني النساء اللاتي يجبن حتى قبل ان يوجه إليهن السؤال".

- " اوه ! ... لا ، حسنا ... إني ... ".

- " انا موجود بالطابق السفلي ، لقد حجزت مائدة لشخصين . تعالي لتنضمي إليّ ، إني في انتظارك والشراب معي لتقضي ليلتك الأولى بصحبتي في مشاهدة القمر ، لقد رايته يبدو في عينيك ".

- " لا استطيع ، فإنني لست وحيدة ".

- " فهمت ".

- " إنك لا تفهم اي شيء . ليس الأمر كما تظن . استمع إلي ، إنني لاستطيع ان اقبل هديتك ".

- " تعالي ، لتقولي هذا الكلام في مواجهتي ".

اقتربت " سيلينا " كي تستمع إلى الحوار ، وسالتها باهتمام :

- " ما الأمر ؟ ".

رفعت " ليا " عينيها إلى السماء . هذا هو ما جلبه عليها ضعفها اثناء رحلة بعد الظهيرة .... والآن ، يبدو الـ" دون جوان " واثقا من النصر ! .

- " سانزل لارد لك "البروش" " قالتها بحزم ثم اكملت :

- " ولكنني لن اتناول العشاء معك ".

اقفلت الخط بيد مرتجفة واستدارت جهة اختها :

- " لن اتغيب طويلا ".

ارجعت "البروش" إلى العلبة وقد اعتراها شيء من الندم . كان "البروش" تقليدا رائعا لإحدى الجواهر العتيقة . كان الحجر غاية في النقاء محاطاً بمعدن مذهب ويعلوه نحت يشبه التاج . اقفلت العلبة بحركة حادة ، ثم اخذت تبحث عن حقيبة يدها لتضعه فيها.

- " لا داعي للعجلة ". قالتها " سيلينا " وهي تقترب من اذنها واكملت:

- " فلتتناولي عشاءك مع صديقك الصغير ، إني افضل النوم ، لا استطيع مواصلة الحديث اكثر من ذلك ".

- " ليس الأمر ... "

بدات " ليا " الحديث الذي انقطع على الفور . بدا الأمر مربكا . و"سيلينا " لا تفهم شيئا . فالأمر بالنسبة لها عبارة عن مال سائل . لو كانت في مكانها الآن، لاخذت "البروش" ، ولتناولت العشاء بسرور ، ثم

تلقي بتحية المساء في نهاية الأمسية دون ان تقدم اي شيء في المقابل.

- " هل شاهدت حقيبتي ؟ ".

- " لا " وكفت " ليا " عن البحث .

ليست في حاجة إلى حقيبة يدها ، إنها كبيرة الحجم ، ونظراً لان "سيلينا" في الحجرة ، فلن تخشى منه شيئا . ثم ارتدت من فورها القميص الأبيض ذا الياقة العالية والجيب الزرقاء ".

- " فلتبقي على هدوئك ! كوني رقيقة ، وقبل ان تهبطي اغلقي الستائر واطفئي النور . سيكون من الخير لي ان استريح وحيدة مدة ساعة . إنني في حاجة إلى ترتيب افكاري ".

- " حسنا ، وانا ساتصرف مع هذا الدخيل ، ثم ساكل شيئا من الطعام ، وقد اذهب بعد ذلك لاقوم بجولة قصيرة ".

بدات تلملم جدائل شعرها لتربطه عندما قاطعتها " سيلينا " بتعبير موح :

- " هيا إذن ، يا " لولو " ، لا تتباطئي هكذا ! ".

القت إليها " ليا " بنظرة ذهول . كانت " سيلينا " ترتجف وقد ذهب لونها تماما :

- " عزيزتي ، لا يمكن ان اتركك وانت بهذه الحالة ! ".

- " ارجوك ، إنني في حاجة إلى ان انفرد بنفسي ".

ترددت " ليا " برهة وقد ازداد حنقها ، لكنها بدات تدرك ان اختها قد وصلت إلى قمة الانفعال في التفكير ، وانه من الأفضل فعلا ان تتركها الآن .

اطفات النور ، دون ان تنتظر اكثر من ذلك ، وفتحت باب الحجرة ، فوصلها صوت " سيلينا " مستعطفا متسائلا :

- " هل ستتركينني بلا مساعدة ؟ " .

- " بالتاكيد لا ، ايتها الغبية ، انت تعلمين تماما انه يجب ان تثقي بي كل شيء سيكون على ما يرام . سترين ".

هبطت درجات السلم ببطء ، كانت تحس بثقل كمية الشعر الطويل الذي ينسدل على كتفيها . كان ينتظرها في البهو ، مرتديا قميصا ابيض اللون وقد فتح ازراره الأولى ، مع بنطلون من التيل الأسود ،

بهي الطلعة كانه احد آلهة الأساطير . ما إن ظهرت بالمكان حتى ركز ناظريه في جسد الفتاة الصغيرة، متفرسا كانما ليقارنها بالصورة التي احتفظ بها في ذهنه لها .

التقت عيناه بعيني " ليا " التي توقفت كالمتسمرة . اخذ يسرع الخطوات المتبقية بينهما حتى واجهها ثم مد لها يده. اعطته يدها وقد غشاها إحساس عاطفي عميق ، وتركته يقودها عبر البهو حتى وصلا إلى الصالة التي تطل على الشرفة الكبيرة للفندق . وفجاة افاقت وتذكرت ما كانت تنويه .

- " انتظر قالتها وهي تضع العلبة في يده . لا استطيع ان اقبل هديتك ، ولا اريد ان اتناول العشاء معك ".

تملكته دهشة قوية ، فاخذ منها العلبة دون اعتراض .

- " هل هذا لايعجب عشاقك ؟ ".

ذهلت " ليا ".

- " الا تفكر إلا في هذا ! حاول ان تفهم الوضع ، إني اعالج إحدى المشاكل العائلية مع اختي ".

تناول يدها مرة اخرى بقدر هائل من الرقة كما لو كانت إحدى الاميرات ، يرافقها إلى جناحها . شعرت " ليا " بضغط كبير على اعصابها وهي بجواره، كان قد قادها إلى الشرفة حيث يقدم العشاء في الهواء الطلق . كان الليل دافئا ، وازواج من الفتية والفتيات يجلسون إلى موائد صغيرة على اضواء الشموع .

- " مائدتنا هنا بجوار حاجز الشرفة ، حيث تكون البحيرة تحت قدميك ".

غمرتها السعادة ، تركت نفسها تغوص في مقعدها تحت خميلة تمتلئ بالورد ووجهها على تلك الانعكاسات الخلابة التي تعبث على الصفحة الفضية للبحيرة . قال لها مبتسما :

- " لن اظل اناديك بانستي ، اليس كذلك ؟ ".

- " اسمي " ليا " ".

- " وانا " ماكس " . في نخب عينيك البديعتين يا " ليا " ".

قالها رافعا كاسه . اخذت رشفة ضئيلة من الشراب. إنه لشيء نادر

ان تشرب مثل هذا النوع الفاخر من الشراب ! بدت لها الفخامة والابهة المحيطة بهما ضربا من الخيال . همس إليها :

- " انتبهي ".

- " انتبه لاي شيء ؟ "

سالته بشيء من الخوف .

- " انتبهي فقد تصيبني عيناك الجميلتان ، فلتغلقيهما سريعا قبل ان اذوب في تعبيراتهما الآخاذة ! "

انفجرت ضاحكة .

- " إنك بلا شك مجنون ! ".

- " اعلم ذلك ، لو راني الناس الذين يعرفونني ، لانكروني . إنك قد جمعت كل نجوم السماء في عينيك ".

- " يجب ان اتركك على الفور ".

قالت ذلك ووضعت كاسها . احست بالم ينبعث بداخلها ، ربما كانت تخاف من تلك السعادة التي تشعر بها .

- " يمكنك ان تدعي اختك لتشاركنا ، إن كنت ترغبين في ذلك ".

- " لا ، فهي تريد ان ترتاح " قالتها "ليا " بنوع من السخرية . ثم ندمت على ما قالت : لم يعد لديها الآن اية اعذار اخرى لتتخلص من صحبته . رفع ذقنها بطرف إصبعه ، يجبرها على النظر في عينيه .

- " هل ابدو في نظرك منفرا إلى هذه الدرجة يا " ليا " ؟ ".

هزت راسها بالنفي ، فنادى على الساقي .

-"فلتلقي نظرة على قائمة الطعام. لن تجدي افضل من تلك المكرونة "الإسباجتي" التي يقدمونها هنا ".

وبنظرة سريعة ادركت " ليا " ان الاسعار ايضا فريدة في نوعها . ماذا يفعل ؟ لقد انفق ثروة بالفعل في شراء زجاجة الشراب الفاخر التي ابتاعها ليؤثر فيها . لفتة ساحرة ، ذكية ، ولا جدال فيما سيجنيه بعد ذلك من فائدة .

- " يكفيني احد الأطباق الخفيفة ". بدا " ماكس " سعيدا وفي نفس الحين مقامرا مهذبا .

- " اريد ان تطلبي شيئا اخر. فإنني اليوم احتفل بحادث عارض من

نوع خاص ، لقد ... تركت نقودي جانبا من أجل هذه المناسبة ".

-" هل اليوم هو عيد ميلادك ؟ فإن عيد ميلادي قد اقترب ، ايضا ...".

-" لا ، حسنا ، ربما في الحقيقة انني قد اكتشفت ، او بالأصح اعدت اكتشاف شيء خاص جدا ، ونادر للغاية ".

-" بعض ذكريات العائلة ؟ ".

اخذ " ماكس " يفكر برهة .

-" نعم ، شيء مشابه لذلك ".

-" حسنا "

قالتها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة .

-" في هذه الحالة ..."

وقاطعتها تلك النظرة الملتهبة التي رماها بها . اخذ يمسك بيدها .

-" انستي الناعمة... الم تواتك ابدا الرغبة في الصعود إلى النجوم؟"

خفق قلب " ليا " بشدة. النجوم ؟ بلاشك ، ! إنه فخ قد انفتح امامها ، واي خطوة، خطوة واحدة ، وتقع إلى الهاوية .

-" توقف من فضلك ".

اخذت تتضرع إليه . سحب يده نادما ، وقال بصوته الناعم :

-" للأسف ، إني اعلم تماما ما ابحث عنه ، بينما انت لا تعلمين اقل القليل عما تريدين ...".

-" إنني بلاشك اعلم ما اريد . احد اطباق فاتحات الشهية كبداية ، ثم طبقا من السمك ، على ما اعتقد ". لم يستطع " ماكس" ان يمنع نفسه من الابتسام : لقد نجحت هذه المرة في كسر التعويذة ... وبينما اخذ يامر الساقي بإحضار الطلبات اخذت ترمقه خفية . لو لم يكن وجهه قد اكتسب تلك الرقة من السعادة التي بدت عليه ، ومن خيال ضوء الشمعة الذي يتراقص فوق خطوط هذا الوجه، لبدا ناعما كالساتان .

شعره بنفس لون حاجبيه الكثيفين ، اسود فاحم . يبدو بلا شك على ثقة كبيرة بنفسه . حتى الساقي نفسه انكمش امام نظراته .

ادركت " ليا " - على الفور - انه قد اجتنب ايضا انتباه اصحاب الموائد الأخرى . لكنها لم تمنع نفسها من النظر إليه . فجاة انتشر

صوت مدو عبر البحيرة .

كانت اجراس قصر " مازاردي " تعزف السلام الملائكي . اخذت " ليا " تتامل تلك الجزيرة الصغيرة التي تسبح في الاضواء . اخذت تنصت ماخوذة ، حتى انتهى اللحن الأخير وذاب في ظلمة الليل . ظل "ماكس" يراقبها دون ان يحرك طرفاً واحداً من اطرافه . ثم مال عليها ، وتناول يدها النحيلة يتحسسها. وابقى يدها في يده ، حتى جاءت اطباق الطعام . ترك الساقي حتى رص الأطباق امامهما . احمر وجه " ليا " تماما ، كان ما يشعرها بالأمان ان الضوء المحيط بهما خافت غير كاشف . قالت له :

-" لن تتركني هكذا اموت جوعا ؟ "

سحب يده وقد ارتسمت شبه ابتسامة على وجهه .

-" لابد انك كثيراً ما تقومين بغسل الصحون ".

شهقت شهيقاً طويلاً ، واخذت تنظر إلى يديها وكفيها الخشنتين برغم مداومتها على استعمال المراهم المرطبة للبشرة .

-" نعم ، تلال من الصحون ".

-" اهذا هو عملك ؟ ".

-" إنني مسؤولة عن دار للمسنين ".

ردت عليه " ليا " ، وبكلماتها القليلة كانت تدرك تماما انها قد وضعت حدا واضحا لكل شيء ،

-" إنني اهب حياتي لوالدي ولثماني نسوة مسنات".

-" لكن لايبدو ان والديك قد كبرا في السن إلى هذه الدرجة ".

-" لقد توفي والدي في حادث قطار قبل مولدي ، وتزوجت امي ثانية عندما صار عمري عاما واحداً . وانا احب " ليونيل " للغاية ، إنه زوج امي . كان قد بلغ الخمسين عندما تزوجها ، واليوم اصبح في مرحلة متاخرة من الشيخوخة . اما امي فهي مصابة بالتواء في المفاصل ".

سالها " ماكس " بصوت قد ملاه الاحترام :

-" وبالتاكيد انت واختك مسؤولتان عن كل شيء الآن ؟ ".

-" لا . إنني اقوم بهذا بمفردي ، تعاونني إحدى السيدات في العمل، وإحدى المعوقات تاتيني عدة مرات اسبوعياً ".

- " واستطعت مع ذلك الرحيل ؟ إنها لمسؤولية ثقيلة ... ".

- " معك حق ! ".

قالتها وهي تخرج انفاسها باضطراب .

- " كان علي ان اجد فوراً من تحل محلي ، نظراً لخطورة الموقف ".

- " اتمنى الا يكون الموقف في غاية الخطورة ؟ ".

- " لا .. كنت اريد الرحيل لبضعة ايام فقط ".

كانت تشعر بالثقة نحوه ، لكنها كانت لاتزال مترددة .

- " إني افهمك تماماً . فذلك النوع من العمل لابد ان يكون مرهقاً جداً ، مرهقا للنفس كما هو مرهق للبدن . ولكن لماذا لا تقدم لك اختك يد المساعدة؟ ".

- " إنه عمل لايتوافق معها بالمرة . إنها كالزهرة البضة الخلابة ... اما انا فواحدة من نباتات الحقل ! ".

- " بل انت زهرة برية .... إنك تخفين جمالك الرقيق وراء الظلال ، هل شاهدت يوماً إحدى الأزهار البرية ؟ الساق رفيعة نحيلة ، البراعم تلمع كالاصداف ، والقلب من الذهب الخالص ... ".

- " لن تقول ذلك ، إن رايتني اقوم بتقشير البطاطس ، او بمسح ارضية المطبخ ! ".

- " ولم لا ؟ إن عملك شاق ، وهذا لا يدعو إلى الخجل . إن يديك هاتين رمز لقلبك الكبير . تقولين : إن اختك لا تساعدك ، الم تطلبي منها ان تفعل ذلك ابداً؟

- "نعم ! فهي لم تخلق لذلك . هذا هو كل ما في الأمر ".

- " لكن ، الم ترغبي ابداً في القيام بعمل اخر ؟ ".

طيرت التفاتتها خصلة من شعرها البرونزي في الهواء . فاعادت "ليا" بسرعة إحكام شعرها . واخذ " ماكس " يراقبها باهتمام .

- " بلى ، لقد بدات اتلقى دروساً في علم البساتين . اتعلم شيئاً عن هذا العلم؟ ".

- " نعم ".

- " إنه لشيء غريب حقاً . إنك تبدو كالإيطاليين ، بينما تتحدث الإنجليزية بطلاقة ، لا تشوبها إلا لكنة خفيفة لا تكاد تلاحظ ... ".

- " كما قلت لك ، لقد عدت من الخارج من زمن قصير . لقد عشت في بريطانيا منذ كنت في الثامنة عشرة ".

- " إذن ، فالأمر صحيح ، إنك لست بحاراً ؟ ".

- " وهل يدهشك ذلك ؟ ".

- " لا ، لا يهمني كثيراً هذا الأمر . ولم عدت إلى إيطاليا ؟ ".

- " لأن ابي قد مات ".

وطاطا راسه إلى اسفل ، فغطت اهدابه الطويلة السوداء عينيه ، كان فكه المربع منطبقا . اصابها مظهره هذا في الأعماق . لمست يده برقة . رفع عينيه إليها ، ليتملص من بقية تساؤلاتها واخذ يواصل حديثه .

- " ما الذي منعك من مواصلة دراسة علم البساتين ؟ ".

- " لقد كنت اقوم بالدراسة في مدينة اخرى . وفي احد الايام ، عندما عدت في إجازة دراسية ، علمت ان الألم قد اشتد على امي ، وان داء مفاصلها قد اصبح يقعدها تماما عن الحركة وارتبك المنزل . كانت امي في حاجة إلي ، فبقيت إلى جوارها ".

- " دون اي تردد ؟ ".

- " بالمرة . إنني احب اسرتي . الا ترى انه من الطبيعي جداً ان نهتم باهلنا وان نرعاهم ؟ ".

- " ولكن كان من واجبهم ايضا ان يسمحوا لك ... إنها تضحية كبيرة من جانبك ".

- " لا ، مطلقاً . كان في منزلنا العديد من الغرف ، فواتتني الفكرة بتاسيس دار للمسنين ، حتى تسد حاجتنا . إنني احب جداً نزلاءنا ، وهم كذلك يحبونني إنني ... لاانسجم تماما مع من هم في مثل سني . بعكس اختي . إنها تشبه إحدى المذنبات الصغيرة ... ".

- " انت تملكين شفافية الكهرمان ، ونقاء الذهب . إن الحياة المرفهة الرغدة ، لا تساوي شيئاً . هناك من الرجال من يفضلون صفاتك ... وكمثال رجل يائس من اخطاء الآخرين ، رجل اذهله ما وجده فيك من رقة نادرة لاتتوافر إلا للملائكة ".

احست " ليا " بنشوة لذيذة تخدر اطرافها . ولتقاوم هذا الشعور الغريب الذي اعتراها اخذت ترسم ابتسامة قصيرة على وجهها .

- " هذا الرجل المسكين سيصبح اكثر ياساً عندما يكتشف هؤلاء المسنين العشرة الذين اقوم برعايتهم ".

- " ليس هكذا إن كان يتمسك بك . كما انك قد استطعت تحرير نفسك عندما اردت ان تاتي إلى هنا ".

- " لم اكن لافعل ذلك لاي ظروف اخرى. وترددت " ليا " برهة ، ثم القت بنفسها في اليم. على كل حال ، إنه لم يعد إلى إيطاليا إلا منذ زمن قليل ، فلعله لا يعلم من هو " مازاردي " هكذا اخذت تواصل حديثها :

-لقد جئت إلى هنا بسبب اختي .اختي من امي . إنها هنا منذ اسبوعين . لقد التقت باحد الشبان ، لكن عائلته لا ترغب في ان يتزوجها ".

- " إذن فالامر كذلك ؟ ".

كانت نبراته غريبة بعض الشيء . لاحظت "ليا " ذلك . بدا فجاة كانما يشعر بوخزة الم ، كحيوان قد وقع في الفخ . هو كإيطالي اصيل ، لابد انه يحترم التقاليد العائلية ويقدسها ، وهي دون شك قد صدمته .. ستشرح له الامر إذن .

- " إنها عائلة واسعة الثراء ، تخشى ان تكون اختي لا تسعى إلا وراء المال . لكن " سيلينا " و " رونزو " متحابان للغاية . هي - على الاقل - تخلص له الحب ، إني على ثقة من هذا ".

- " لكنها هنا منذ اسبوعين فقط ؟ " .

كان يسالها في غموض يشوب نبراته . احست " ليا " ان كل كلمة تنطق بها تبعده عنها ، دون ان تدري السبب في ذلك .

- " لا ادري إن كان هذا الحب سيدوم ، ولا استطيع ان اتاكد من ذلك . لكنني ارى ان من حقهما الحصول على فرصة ، سيكون هذا اكثر عدلاً وإنسانية ".

- " ولكن هل اختك اعتادت معرفة الرجال ، حتى تاخذ قرارها بمثل هذه السرعة ؟ ".

- " نعم ، لقد تعرفت بالعديد من الرجال ".

ردت " ليا " عليه بكل براءة :

- " ربما يكون ثراء الرجل هو ماجعلها تشعر بحبه ؟ ".

- " لا اعتقد ذلك . فلقد صادفت رجالاً اكثر ثراء ولكنها كانت تصدهم جميعا".

كان وجه " ماكس " قد اصبح جامداً كالفولاذ ، وبدات " ليا " تتساءل عن سبب ذلك التحول . بدات تغشاها خيبة الامل :

كانت تعتقد انها قد عثرت على طائر نادر ، لكنه كان مثل الآخرين ، انانيا قاسيا قلبه . لو كان كما يتظاهر ، بانه قد انجذب لها ، لحاول على الاقل ان يتفهم مشكلة اختها ، بدلا من ان يصدمها بهذا الشكل دون سبب واضح ! .

- " إنها غارقة في حبه"

اكملت " ليا " وهي تحاول الا تبدو مضطربة :

- " الا تظن ان الحب اقوى من اي شيء ؟ ".

- " لا ، هناك اشياء مهمة اخرى يجب اخذها في الاعتبار ".

بدا فجاة ، كانما قد اصبح بعيدا عنها ، في عالم اخر متجمد من البرودة، خال من الإنسانية ! لم تقو على منع نفسها من الإصرار ، ناسية انها - هي نفسها - قد نصحت اختها بضرورة الصبر والانتظار .

- " إني اعلم ان ذلك لن يكون سهلاً ، وانهما لا ينتميان إلى نفس البيئة والوسط لكنهما يتبادلان الحب ، وفي ايامنا هذه يمكننا التغاضي عما يختلفان فيه !".

- " بلا شك لا يمكن ذلك."

قال ذلك صارخاً وهو يضع كاسه على المائدة :

- " لم اكن ابداً اكثر اقتناعا برايي ، مثل هذه اللحظة بالذات . لا يمكننا ابداً الانتقال هكذا من وسط إلى آخر ، من عالم إلى عالم مختلف تمام الاختلاف ".

لم تفهم " ليا " مغزى كلامه . للحظات ، احست كانما هي تواجه "مازاردي " نفسه . إنها لا تتخيله بصورة مختلفة عما تراه الآن .

- " لم اكن اتصور ان العائلات النبيلة من هذا النوع ، تبدي كل هذه الغيرة وهذا الاهتمام ، لحصر الزيجات فيها في إطار العائلة . إن كانوا لا يريدون لابنائهم ان يكونوا اغبياء ، فعليهم ان يتقبلوا - من

أن إلى آخر - الزواج باخريات من طبقة مختلفة ".

كانت قد غشاها الاحمرار بشدة ، بسبب الشراب ولهيب المناقشة .

- " على الاقل ، سيحفظهم هذا من المغامرين الذين لا يسعون إلا وراء المال".

- " إنك لا تعرف اختي ، ولا اعرف لماذا تتخذ منها مثل هذا الموقف العدائي!. اتمنى الا يكون جميع الإيطاليين مثلك ، يقتلون حرصاً على إرثهم ، عميانا ، ويحكمون على الأمور بلا تبصر ! ".

قامت من مقعدها واطرافها تضطرب بشدة ، ثم قالت بازدراء :

- " سوف اضيف هذا العشاء إلى حسابي. فلا اريد ان تتهمني - انا ايضا- بانني اهتم بك ، سعيا وراء المال ! ".

قام " ماكس " متقدما إليها ، وعيناه باردتان كالثلج .

- " كوميديا لطيفة ! احسنت ! ".

تغلغل معنى تلك الملاحظة إلى اعماق " ليا "، فقررت ان تقول له ما بقلبها :

- " لقد خاب ظني للغاية ، لا يفيد الجدال معك ابدا . على كل حال ، ماذا يفيد ذلك ؟ لقد اخطات في الحكم على اختي ، اما انا ، فسافعل كل شيء لأساعدها ".

قالت هذا ، واعطت ظهرها للمائدة ، ثم اخذت تعبر خلال المطعم مرفوعة الراس ، تزم قبضتيها ، كانت تشعر بالحنق والأسى معاً كيف يتسنى لها ان تخطئ مثل هذا الخطا ؟ وهي التي كانت تظن انها تقابل رجلاً حساساً ذكياً ! لم يكن شيئاً من ذلك . اصبحت تشعر اكثر من اي وقت مضى ، باليأس من ان تعثر ابداً على رجل لا يكون بمثل هذا الغش والمخادعة . جرت في الفندق حتى وصلت إلى درجات السلم، كي تبتعد سريعا عنه . وصلت في ثوان إلى حجرتها اخيراً . كان الباب شبه مفتوح . دفعته وهي ترهف سمعها ، ودخلت إلى الحجرة المظلمة وهي تنادي على اختها بصوت خافت . لم تر في البداية سوى النافذة المفتوحة ، وانعكاس اضواء البحيرة .

قطع الصمت صوت محرك إحدى البواخر ، ثم ابتعد صوتها . لابد ان "سيلينا " نائمة . فهي لم ترد عليها . "

وجدت " ليا " زر النور فاضاءت المصباح . فوجئت بالمنظر الذي بدا عليه المكان . كان كل شيء مبعثرا بطريقة لا تصدق . وقد انتزعت الادراج من اماكنها واخليت مما فيها ، على الأرض كانت زجاجة "الشامبو" الخاصة بها محطمة تماما ، والجريدة التي قد اشترتها لتقراها اثناء الرحلة قد مزقت تماما . بعض قطع النقود قد تبعثرت على الأرض ، تذكرت ان تبحث عن حقيبتها ، فلم تجد إلا جواز سفرها وقد القي في احد الأركان . لقد اختفت الحقيبة . حقيبتها وكل ما بها : تذكرة العودة ، صورها العائلية ، النقود التي احضرتها من اجل "سيلينا " ... كل نقودها ! لم يتبق لها سنتيم واحد ! .

لمحت ايضا ان الصوان قد اخلي تماما . لقد اخذت ثوابها ايضا ! بحركة الية رفعت السجادة من مكانها ، واخذت تجمع كل ما تبعثر على الأرض ، وتحاول تقييم هذه الكارثة التي لحقت بها . في الحمام ، وقفت متجمدة تماما .

لا يمكن أن تكون هذه سرقة عادية ، هذا الامر يبدو كما لو كان اخذاً بالثار .

لقد اخذت كل ادوات زينتها ، حتى قفازها ، معجون الاسنان ، فرشاة اسنانها ! الأشرطة التي تربط شعرها بها ، المشط ... عملية انتقام بلا رحمة . القت بنفسها إلى الفراش ، وقد بهت لونها تماما . من عساه يهتم بحاجاتها المتواضعة ، وادوات الزينة القليلة هذه ؟ فجاة تذكرت غياب اختها المريب ... اعترتها فكرة ان تكون اختها قد اختطفت ، ضربوها ، عذبوها ... اواه ، لماذا كانت لا تصدقها ؟ لقد نفذ " ماسيمو " تهديداته بنسفها من الوجود تماماً....

الفصل الرابع

رأت " ليا " رسالة قد تركت لها بالحجرة . التقطتها بيد ترتعش . هذا خط "سيلينا " .

عاودت قراءتها مرات عديدة ، في البداية لم يسمح لها اضطرابها بالتركيز اثناء القراءة ، بعد ذلك لم تفهم ما تعنيه اختها في الرسالة . كتبت "سيلينا " : إنني لم اخبرك بكل شيء ، فالأمر اخطر من ان ادعك تعرفينه . انتظري اتصالا هاتفياً مني . انا التي اخذت ملابسك وحاجاتك ، لا تتصلي بالشرطة ، ولا تحيطي إدارة الفندق علما بما حدث . إن رأيت " مازاردي "، فلا تقولي اي شيء له . لا تتحركي من عندك وإلا سادخل السجن مباشرة . ثقي بي . "سيلينا " .

اثق بها ؟ هذا في غاية الصعوبة . ادركت " ليا " ان اختها قد بدات تتخذ اساليب قوية عنيفة . اما هي ، فلم يبق شيء . لم يعد لديها سنتيم واحد ، لم يبق سوى ملابسها التي ترتديها ! راحت ترتب الحجرة لتشغل نفسها ، وقد اصابها الرعب من الموقف الذي وضعتها "سيلينا " فيه . إن كانت اختها قد رحلت فعلا مع " رونزو "، فإنه لا

يتبقى لها إلا مواجهة " مازاردي " وحيدة تماما . صورة رهيبة ... صحيح انه لا دخل لها بالموضوع وانها غير مسؤولة عن اي شيء ، لكن ان تخاطر بما قد يؤدي بها إلى السجن فهذا غير معقول ! .

إنها تطلب منها التصرف في حين انها لا تتكلم كلمة واحدة باللغة الإيطالية ..

اخيرا ، رن الهاتف ، كادت " ليا " تتجمد بسبب هبوط الليل . انزلقت من تحت اغطية الفراش لترد على المكالمة . سمعت صوت " سيلينا " :

- " آه ! انت هنا ، الحمد لله ! ".

- " إنك لمجنونة ... ".

- " انتظري ، ساشرح لك . لم يكن لدي من الوقت لأكتب لك المزيد ، كان يجب ان يتم كل شيء بسرعة ، كان الموقف في غاية الخطورة . لم يعد امامي اي خيار آخر . لم يكن بمقدوري مغادرة الجزيرة في سرية ومعي ملابسي وحاجاتي، كان يتحتم عليّ ان آخذ ما جئت به معك ".

- " سيلينا ... ".

- " ارجوك ! كان يتحتم تضييق الوقت على" مازاردي " قبل ان يهرع لمطاردتنا . يجب ان نغادر البلدة كلها . إني اتضرع إليك يا " لولو "، اعدك بان تكون هذه آخر خدمة اطلبها منك ، اذهبي إلى الجزيرة ، وخذي مكاني . لن يكلفك الأمر سوى البقاء في حجرتي ، تغلقين بابها عليك مدعية انك مريضة ".

- " ماذا ؟ لكنهم سيكتشفون تلك الخدعة على الفور ! ".

كانت خطة " سيلينا " هذه ، أسوأ من كل ما تخيلته .

- " لا ، لن يكتشفوا شيئا . اغلقي الستائر ، ابقي في الظلام ، يتحتم عليك الذهاب . استقلي قاربا حتى القصر . ستدخلين من الباب الصغير الأصفر الموجود بالجهة الجانبية . حجرتي بالدور العلوي ، في مخزن الغلال . إنها تشبه حجرة الفئران ".

- " ولكن .... ".

- " سيكون الأمر سهلاً . اتفهمين ، لقد اعتاد " رونزو " على السفر عدة ايام من آن إلى آخر لكن " ماسيمو " إن رأى انني قد رحلت انا ايضا، فسوف يدرك حقيقة الأمر كله. لو تعلمين كم انا خائفة يا"ليا"...

كان على "رونزو" أن ياخذ النقود التي بالخزانة المصفحة الموجودة بمكتب "مازاردي"، .. فابوه لم يترك له ما يكفي من المال ، وبالتاكيد لن يحصل على اي اموال بعد الآن من " ماسيمو ". هو بالتاكيد لم يعرف بعد أن الخزانة قد أصبحت خاوية ، وسيحاول بالقطع البحث عني والإمساك بي . سنختفي بضعة ايام ، سامحينا ، لكنه قد ادخل في قلب كل منا الرعب والهلع ! ".

-" هل كان المبلغ كبيرا ؟ ".

-" مهول . ضربة العمر . ارحمني يارب ! ".

قطعت " سيلينا " الخط . اول شيء اتجه إليه تفكيرها كان امها وزوجها . لو علم " ليونيل " بهذا ، لمات من فوره ، لم يكن ذا قلب قوي ابداً .. لايمكن ان يصدقا مثل هذا على " سيلينا "، طفلة جميلة ، ذهبية الشعر، ضاحكة السن ، في مثل سنها تقع في مثل هذه الورطة . لم يكن امام " ليا " اي خيار . ستذهب إلى هناك مضحية بنفسها ، لم يبق إلا ان تبحث عن ملابس اخرى . اخذت تحسب بسرعة قيمة قطع النقود التي وجدتها متناثرة على الأرض :

-" الف ومائة ليرة ."

املت ان يكون هذا المبلغ كافياً لدفع اجرة القارب ... هبطت بسرعة إلى بهو الفندق ، تاركة مفتاحها بمكتب الاستقبال ، ثم اخذت تسير في الدرب الضيق المؤدي إلى مرسى القوارب .

-" مازاردي "

قالت ذلك وهي تقدم النقود للموظف الجالس امام الشباك الصغير ،

-" الجزيرة التي هناك ". رد بالإيطالية :

-" ذهاب ؟ ".

-" عذراً ؟ ".

فقال الموظف بإنجليزية ركيكة :

-" ذهاب فقط ، بلا عودة ؟"

كان الموظف قد اعتاد التعامل مع السائحين ، فكتب لها قيمة تعريفة الركوب على قطعة من الورق . لم تكن الالف والمائة ليرة بكافية لتدفع العودة ايضا ... اخذت تذكرتها ، آملة ان تكون "سيلينا " قد تركت

بعض النقود في حجرتها لم يبق من الكوارث إلا ان تلبث حبيسة في تلك الجزيرة !

افاقت " ليا " من نومها - فزعة - من صيحات احد مغني الأوبرا. أطاحت حركة يدها جدائل شعرها الطويل، اعتدلت جالسة في الفراش، باحثة عن مصدر هذا الصوت .

بعد بضع ترنيمات ، اكتشفت مذياعا مفتوحا على المائدة ، خافت ان يكون الغناء قد ايقظ كل من بالدار ، حاولت إقفاله . كان من المستحيل ان تجد الزر المختص بالإقفال ! اخذت تضغط على اسنانها عندما رات ان كل التعليمات المكتوبة على المذياع قد كتبت بالإيطالية . انتشر الصوت الحاد لمغني "التينور" فملأ الحجرة الصغيرة ، وكاد يصيبها بالصمم . راحت " ليا " تضغط في ياس على كل الأزرار دون ان تصل إلى نتيجة . اخذت كلمات اغنية الحب الحزينة تنساب ، مصرة على السخرية منها .

انبطحت على الفراش ، تغطي اذنيها ، جافاها النعاس وقد ظل قلبها يخفق بشدة .

اخذت تفكر : لابد ان " سيلينا " قد اشترت هذا المذياع ليوقظها ، وسيلة تمنعها من النوم ، و تؤدي كل مايطلب منها إلا ان تتوقف عن العمل .

فـ"سيلينا" تقوم من نومها في الصباح بشق النفس ، لانها اعتادت النوم في ساعة متاخرة من الليل . لا تغادر فراشها إلا بعد المناداة عليها عشرات المرات المتواصلة حتى تفيق . نظرت " ليا " إلى الساعة : السابعة والربع . في مثل هذه الساعة لن تكون قد نامت ، إن كانت في دارها فجدول مواعيدها يمتد إلى ساعة اخرى . اخذت تتساءل : كم من المرات تاخرت " سيلينا " عن عملها ، إلى ان قررت شراء وسيلة الإزعاج هذه ؟ ثم شعرت - لبرهة من الوقت - بشيء من الرثاء لأجل "مازاردي":

كان على المسكين ان ينتظر قدوم " سيلينا " الصغيرة ! الله يعلم انها قد تصبح احيانا اختا لا تطاق ، لكن كموظفة ، لابد انها كانت غير محتملة ... هل يصعد إليها بنفسه ثائرا ليجذبها من الفراش ؟ اخذت " ليا " تتساءل . لا ، كان سيبعث إليها بإحدى الخادمات الإيطاليات

نوات الصوت الرنان ! ابتسمت وهي تتخيل امراة ترتدي زي النوم ، تهرع صاعدة درجات السلم ، لتخرج " سيلينا " من تحت الأغطية ... اندمج مغني الأوبرا ، ومع ذلك يبدو ان صوته لم يوقظ احداً . لم يدق احد على الجدار ، او يركل الباب بقدمه . لابد ان ساكني المكان يتمتعون بنوع من النوم العميق ، او ان الحجرة بعيدة بحيث إن الصوت لم يزعج احداً منهم . كانت الحجرة متناهية الصغر ، كل شيء فيها يدل على شدة الإهمال وانعدام الذوق . كان من الواضح ان "مازاردي" لا يهتم كثيرا براحة موظفيه ! لكن " سيلينا " لم تعتد هذا القدر من انعدام وسائل الراحة . وكانت هي نفسها مهملة بطبعها ، لذلك لم تحاول ان تفعل شيئا لتجعل الحجرة تبدو اكثر جمالا وترتيبا. ملابس مبعثرة في كل مكان ، ازواج من الأحذية البالية ملقاة في كل ركن ، ادراج امتلات بقطع من الملابس الداخلية ، مكومة بلا ترتيب . امام مراة صغيرة ، كانت ادوات تجميلها مصففة : قوارير مستحضرات لم تحكم إغلاقها ، انابيب معاجين نصف جافة ، علبة بودرة قد غطاها التراب ، لم تستطع " ليا " ان تحدد بالضبط ما تشعربه :أكان تمردا ، ام تاثير الظرف عليها . ثم تذكرت انها مجبرة على استخدام تلك الحاجات ، الله وحده يعلم كيف سيكون ذلك ، لابد من هذا حتى تعود اختها من بريطانيا .

لبثت مكانها مغلقة عليها الحجرة يوماً كاملاً داخل هذا المخزن . على كل حال، كانت قد قررت إعادة ترتيب المكان . تانت بشدة لمنظر الطلاء المتاكل ، والجدران المتشققة ، وهذا المذياع المفتوح على الدوام... على الأقل ، هو يبث الآن ، اغنية عاطفية رقيقة . قررت فتح النوافذ لحظات . إن اتى اي شخص فستغلقها على الفور ، لتختفي داخل هذا الجو الذي يبعث على المرض . عموما، قد لا يراها من يمر باسفل للظلمة الدامسة التي تشمل هذا المكان كله. ارتدت احد اثواب النوم الخاصة باختها ، كان من الساتان الأسود ، شعرت بالسعادة لملامسة هذا الثوب بشرتها . لم تالف ذلك الملمس ، إنه بالغ النعومة... فتحت تلك النوافذ كي تدخل اشعة الشمس الحارة وتملأ المكان . كان لون السماء ازرق صافيا . اخذت تطل من النافذة ، تتفقد مدخل الدار .

بالأسفل ، تحت جذوع اشجار النخيل الباسقة حيث تغوص الاقدام في الخضرة المزينة بالورود والأزاهير ، رات مجموعة من الموائد قد صفت بإحدى البقع الخضراء ، حيث يتناول بعض الناس وجبة الفطور . لم تر من موقعها العالي إلا قمم رؤوسهم ، وايديهم التي تتناول الشطائر .

كانت " ليا " تكاد تموت جوعا . جال منظر اختها في خيالها ، لم تكن تامل إلا شيئا واحداً: ان تتزوج باسرع مايكون ، بهذا الذي تحكي عنه، حتى لاتكون مسؤولة اكثر من ذلك عن هذا الراس المتخشب ذي العقلية الغريبة . استعادت رباطة جاشها وطبيعتها الخيرة، لابد ان ما تفكر فيه الآن ، سببه الاضطراب الذي تحسه في معدتها ، بالإضافة إلى الخوف من دخول السجن .

فجاة لمحت من النافذة رجلا انيقا يرتدي اللون الأسود . دفع مقعده واتجه صوب الدار . ادخلت " ليا " راسها من النافذة حتى لا ترى . عانت الكثير طيلة اليوم : لم يكن هناك - بالتاكيد - كتاب واحد بالحجرة ، او اي شيء يصلح للقراءة . قبل ان تشرع في ترتيب المكان، صممت على جمع كل حاجات "سيلينا " وملابسها :

كان عليها ان تنتقي بعناية ما يناسب ما تنويه من مواجهة "مازاردي"... كان القميص والجيب اللذان اتت بهما بالأمس قد اتسخا، ولسوء الحظ ، كان عليها لكي تدخل المكان في الليل ان تحتك - مجبرة - بجذوع الأشجار ، وان تسير وثيابها تحتك بالحوائط المشبعة بالتراب . وبطرف إصبعها رفعت ثوبا رائع الألوان كان ملقى تحت احد المقاعد . لا ، هذا بالتاكيد لن يؤدي الغرض ، قالتها لنفسها وابتسامة ترتسم على وجهها . فجاة سمعت طرقات شديدة تدق على الباب . ها قد بدانا ! لقد اتوا للبحث عن " سيلينا ". هرعت لإغلاق النوافذ ، ثم قفزت إلى الفراش ، اخفت نفسها تحت الأغطية ولبثت تنتظر ، حتى تسمع صوتا ينادي :" سيلينا !" . اخذت " ليا " تنكمش تحت الأغطية وقد اصابها الخوف من هذا الصوت الرجالي ، لابد ان " مازاردي " قد بعث احد رجاله الأشداء ! لمحت مرعوبة تلك القبضة التي تلوح . سمعت صوت الباب يغلق بخفة . اصابها الجنون لما تبينت انها لم تحكم إغلاق النوافذ ، فتسلل الضوء من خلالها ، لم يكن المكان مسلما

بالدرجة التي تمنع اي قادم من الدخول . "سيلينا " - لابد - كانت ستفكر بنفس الطريقة ! لم تحرك طرفا واحداً من اطرافها . إن لم تحدث اقل صوت ، سينتهي الأمر بهذا الزائر إلى الانصراف.

لا تسمع اي صوت ! ارتفع صوت المذياع فجاة بإحدى كوميديات "فيردي" مما منعها من سماع من يصيح مناديا إياها، من خارج الباب. لم تكن لتتصور - ابداً - انه لايوجد احد معها بالحجرة . وبان مذياع التنبيه هذا قد انطلق آليا من تلقاء نفسه ، وانه لا يزال يعمل بلا توقف . اما ان ينغلق الباب ثانية - من الداخل- دون ان يغلقه احد...!! اخيراً واتتها فكرة إغلاق المذياع : كان يتحتم إيجاد حل لتلك المشكلة ! فصلت الكهرباء عنه ، فساد الصمت في المكان.

- " ما الأمر ؟ لم اتمكن من سماعك جيدا ".

تكلمت محاولة ان تقلد صوت "سيلينا ". تسلل إليها صوت من الخارج".

- افتحي هذا الباب ، وإلا ساحطمه !

- لكنني لم ارتد ملابسي بعد !

- " افتحي في الحال ! ".

- " لماذا ؟ ".

- " لا تتصنعي السذاجة ! ".

- " شعرت " ليا " فجاة بالخوف ، احست في هذا الصوت بالريبة والعنف. ربما يكون هذا هو البحار الذي حدثتها " سيلينا " عنه ! انتاب "ليا" وهي في ثوب النوم الساتان الأسود شعور بالحرج والمهانة. اخذت تبحث بعينيها عن شيء تحتمي خلفه ، تحسست بيديها فعثرت على المذياع ثم اتجهت صوب النافذة طالبة النجدة . لم يعد هناك اي شخص بالحديقة .. لن يفيدها إذن ان تستغيث .. يجب عليها ان تدافع عن نفسها بنفسها . اخذ قلبها يدق بعنف عندما سمعت طرقا يصم الآذان :

اخذ الرجل يرتمي بجسده على الباب محاولا فتحه بالقوة . بدا الخشب القديم المتاكل يتحطم . وقفت تحتمي خلف حامل المذياع ، كان المذياع فوق راسها تماما ، على وشك السقوط عليها . لقد نالها

مايكفي من هؤلاء الرجال القساة ، الذين يسعون بلا هوادة خلف اختها المسكينة .

سيدفع هذا الرجل الثمن عن نفسه وعن الآخرين . ومع آخر دفعة قوية ، انفتح الباب. ما إن لمحت " ليا " ذلك الراس ذا الشعر الفاحم ، حتى قذفته بالمذياع بكل قوة .

سقط الرجل على الأرض بلا حراك ، وقد انكفا وجهه على الأرضية الخشبية للحجرة . رفعت المذياع من فوقه ، وهي تتحفز ان تعيد ضربه به إن تحرك ، لبثت تنتظر وقد زمت شفتيها .

لكنه كان فاقدا الوعي ، وقد انساب الدم بين خصلات شعره السوداء، وفجاة باغتتها تلك الحركة التي انبعثت منه ، فقذفت بالمذياع على الفراش . ما الذي حدث له ، ياإلهي ؟ ربما تكون قد قتلته ؟ جرت كالمجنونة إلى الحمام ، حيث تناولت المنشفة فغمستها في الماء البارد.

عندما عادت وجدته جالسا على الأرض ، وقد مالت رقبته إلى اسفل. تجمدت من الرعب . إنه هو ! كان يواجهها ، ووجهه مطاطئ إلى اسفل. في البداية ، تركزت عيناه نواتا الاهداب الكثيفة على قدمي الفتاة الصغيرة الحافيتين ، ثم صعدتا بطول جسمها الذي غطاه ذلك الثوب من الساتان الأسود فالتصق به تماما ، ومرتا بذلك الانحناء الناعم لبطنها لتصلا إلى الصدر الأبيض الذي انكشف نصفه وتغطى نصفه الآخر ، وكان يضطرب صعودا وهبوطا . ثم اخيرا راى وجهها . التمعت عيناه بالدهشة ، فاغلق جفنيه كانما قد اصابه الهذيان ، واخرج زفرة الم . كانت هنا ، ساكنة لاتتحرك ، امامه ، ومعها منشفتها المبتلة تتساقط منها بهدوء قطرات من الماء على الأرضية الخشبية . اعاد فتح عينيه . همس " ماكس " :

- " ليا " ؟ ".

احست بالماء على قدميها . كانت ماخوذة من الصدمة ، خفضت راسها ، لتشاهد بركة الماء التي تتكون تحت قدميها ، وذلك الوضع الغريب الذي تقف فيه . انتابها شعور عميق بالاستياء ، راحت تبحث بعينيها عن شيء تغطي نفسها به ، فلم تجد في متناول يدها سوى ملاءة الفراش ، فجذبتها بسرعة وسترت بها جسدها . كان " ماكس " لا

يزال ماخوذا . راحت تسائل نفسها. لقد كدت اقتله . جلست على ركبتيها بجواره ، ثم قالت له بصوت رقيق:

-" سوف اعالجك ".

-" لقد اصبت بشدة ..."

اخذت " ليا " تغسل الجرح بحذر ، محاولة الا يغلبها ذلك الشعور الذي اعتراها . وجهها الفاتن ، انفها الدقيق ، اهدابها الطويلة السوداء ، كل ذلك حرك مشاعره . في تلك اللحظة ، كانت تشعر انه طفل ، بشعره الأشعث ، وهيئته ... تمنت ان تضمه بين ذراعيها .

-" ليس الامر في غاية الخطورة ، جروح فروة الراس دائما تشفى بسرعة . لقد نجوت من الهلاك بمعجزة ".

قالتها وهي تخلل اصابعها في شعره بحنان . اخذت تتحسس برقة باحثة عن مكان الجرح بين خصلات شعره ، باصابع مرتجفة . عندما لامست اصابعها موقع الألم افلتت منه صرخة قصيرة ، واحاط خصرها بذراعيه . فاحست بانفاسه تلفح رقبتها . اسندته بإحدى كتفيها وهي تمد ركبتها بمواجهته ، فانزلقت اصابعه بطول رقبتها من الخلف ، ولم يستطع انتزاع يده من هذه الحرارة البضة الناعمة . احست كانها غابت عن الدنيا وما فيها .

تسارعت انفاس "ماكس" . رات اذنيه المستديرتين ، وشعره القصير ، وطابع الحسن على جلده ... هو ايضا اشبع نفسه برؤيتها ، وادركت هي ما كان يفتنه ويخلب لبه :

كان صدرها الذي يعلو ويهبط من شدة الانفعال تحت تلك الملاءة البيضاء التي غطته بها .... كان يرتجف ، واخذت " ليا " تتنهد بخفة . كان كلاهما ضائع في عالم من الأحاسيس النابضة . كانت " ليا " تدلي راسها إلى الخلف ، لم تعد تستطيع السيطرة على امواج الرغبة التي اصبحت تعتمل بداخلها . همس إليها :

-" ليا !"

رفعت راسها ببطء ، واخذت تغوص بعينيها في ملامح "ماكس" القوية . راح ظما كل منهما للآخر يتجاوب مع الغريزة الازلية ، يتقلب، يتغلب على كل ماعداه . اشتدت رغبة " ليا " ان ياخذها بين ذراعيه ، ان

يقبلها . اخذت عيناه الداكنتان الكبيرتان تلتهمانها التهاماً . ارخت جفنيها ، احمرت وجنتاها ، التهبتا ، ارتعشت شفتاها ، جذبت نفسها مبتعدة عنه ، اخيراً اصبحت تمتلك جسدها وتتحكم فيه تسائل نفسها كيف تركت هذا الجسد يبذل ويبتذل ؟. قامت ، وقفت على قدميها ، بدت كانما هي خارجة لتوها من ملحمة نارية ، فاعادت الملاءة على جسدها ، ولفتها عليه بقوة :

-" إنك تثير اشمئزازي . لقد كنت تستحق فعلا تلك الضربة على راسك ، انا لست نادمة على ذلك . اتمنى ان تترك هذه الإصابة علامة لاتزول ، حتى تتذكر ذلك دائما ! اخرج من هنا وإلا صرخت ! "

وقف بسرعة على قدميه . وقال بدهشة :

-" اي هراء هذا ؟ اتقولين إنك انت التي ستلقي بي إلى الخارج ؟ " .

-" ماذا تظن إذن ؟ "

كانت تصرخ فبدا صوتها مدوياً .

-" هذا حسن جداً ، اي تحول هذا من الامس إلى اليوم ... لقد تغيرت اساليبك وملابسك تماما . اين إذن قد ذهبت الأنسة الصغيرة المهذبة ؟ ".

-" قد اكون تجاوبت معك برقة . ولكني لا اترك نفسي بهذه السهولة. استطيع ان اكون قوية عند اللزوم ".

-" انستي إذن كانت سراباً . قالها بابتسامة ساخرة ، سرابا اجمل من ان يكون حقيقة ، كاي سراب . اما في اعماقك ، فإنك مثل اختك تماما ، شيء ضئيل بلا اخلاق ! ".

-" لقد اصبحت تهذي تماماً ".

كانت " ليا " تغلي غضبا ، بيد انها كانت تتساءل في اعماق اعماقها عما فعلته " سيلينا " مع هذا الرجل حتى تولدت فيه تلك الكراهية والحقد . ومع ذلك، فإن اختها لم تفعل شيئاً اكثر مما فعلته هي نفسها بكل سلامة نية .

احمر لونها .. لم تكن ابداً سليمة النية اكثر مما هي الآن :

-" على الاقل فإن"سيلينا " تلعب على المكشوف . اما انت فلا تستحقين سوى صفعة على تمثيل دور البراءة والقداسة . مع "سيلينا"

نعلم تماما ما نتعامل معه ، اما تمنعك وتصنعك فهو بلا شك اكثر غدرا وامكر خيانة ...".

اخذ يتقدم تجاهها ، جاعلاً إياها تتقهقر حتى الحائط . الآن ، لم يكن يبتعد عنها سوى خطوة واحدة ... انتابها الرعب فجاة : ان ينتقم .

كان وجهه متحجرا ، قد انتابته ثورة من الهياج ، لكن كل جزء من جسده ينتفض بالرغبة. هي نفسها احست بذلك النداء الحيواني يصرخ بداخلها ، فقدت ذلك المظهر المحموم الذي كان باديا عليها ، ورفعت راسها نحوه . انحنى عليها ، امتدت ذراعه تلف خصرها ، ثم احنى راسها إلى الوراء بشدة . ولما استجابت له ، اخذ يخنق تنهداتها وصيحاتها بقبله .

- " وحش كاسر ! " صرخت به حين خلصها اخيراً بحركة مباغتة :

- "إن لمستني مرة اخرى فساجعلك تندم ان رايت هذا اليوم ابدا ! ".

اخذ يبتسم بمرارة وهو يضع يديه على خدي " ليا " وهي ملتصقة بالحائط .

- " لقد فات الأوان يا انستي ، إني نادم فعلا على ذلك ، هيا ، اخبريني ماذا تفعلين هنا في هذه الحجرة ؟ ".

- " وانت ؟ ماذا تفعل هنا ؟ ".

- " لدي اسبابي الخاصة ".

- " نعم ، لقد رايت ذلك بوضوح ! ".

- " لا داعي لأن تسيئي فهمي . فلدينا ما يكفينا من الوقت ، وإنك الآن في قبضتي وتحت سيطرتي . لدي فكرة لعبة صغيرة تجعلك تتكلمين في الحال ... ".

- " ماالذي تريد ان تعرفه ؟ ".

- " ما تفعلينه هنا ؟ "

قالها وهو يتفحصها من اعلى لأسفل .

- " لقد خاب ظنك حين لم تجد " سيلينا " هنا ! ".

- " نعم ، بكل تاكيد ".

صدم هذا الرد القصير " ليا " بشدة . ها هو ذا يعترف بكل إيجاز انه كان ينوي اغتصاب اختها !.

- " لقد خرجت " سيلينا " ! .

- "إني ارى ذلك بوضوح ! إلى اين ذهبت ؟ " .

- " ليست لدي ادنى فكرة ".

رفعت ساعدها كانما لتحمي به نفسها منه ، لكنه قيد حركتها ضاغطا على اصابعها بشدة .

- " لا تلعبي لعبة القط والفار معي . إنك انت الاسيرة الآن . لا تنسي هذا ".

نظر إليها نظرة قاسية افزعتها . كان كل مافيه ينتفض غضباً ، صوته ، تقلص عضلاته .

- " إنكما مبتدئتان ، لااكثر . اخبريني اين هي ؟ ".

- " سبق ان قلت لك ، لا اعلم شيئاً . هل كنت تعتزم التهجم عليها كما فعلت معي ؟"

اصيب بدهشة كبيرة .

- " لا ، لكنني اريدها ان تحضر إلى عملها في الموعد المحدد ، ولو مرة واحدة".

- " هذا هو الأمر إذن ؟ وما دخلك انت بذلك ؟ ".

- " إنك تعلمين جيداً انها تعمل لدي ".

- " تعمل لديك ؟ هل تلعب دور المدير الكبير في الوقت الحاضر ؟ لا اعلم إن كان هذا سيروق للسيد " مازاردي ".

- " مضحك جداً ، إنك ممثلة كوميدية بارعة ".

اخذت " ليا " تنظر إليه باهتمام . كان يرتدي حلة في غاية الأناقة ، ولاحظت ساعة من الذهب في معصمه . لم يبق احد من البحارة بلباسه الذي كان يرتديه عندما قابلته بالقارب. لا ، إنه غالباً رجل اعمال مرموق من تراه الآن امامها ، كان اكثر انسجاماً مع ملبسه الذي يرتديه حالياً . لابد انه الذراع اليمنى لـ "مازاردي ". وهي التي روت له بعض الشيء من قصتها وقصة اختها وكانت توليه شيئا من ثقتها ! لكم كان يسخر منها !

- " بالأمس لم يبد عليك ابداً ، انك ترتدي اخر صيحات الموضة ! ".

- " الناس لايقومون بإصلاح محركات القوارب ، وهم يضعون رباط

عنق . وعلى العشاء ، خشيت أن تتحاشي الجلوس معي إن ارتديت حلة انيقة ".

-" كم انت إنسان ودود محب . لكني قد سبق لي رؤية رجال يرتدون حللاً...".

-" بحلة او بدون ، لقد اصبحت مقتنعا تماماً . كان يتكلم بمرارة - لقد اجاد كل منا تمثيل دوره . عندما افكر في ملابسك الاخرى الاكثر جدية التي كنت اراك بها ، وبحديثك الفياض عن مسؤولياتك الادبية الجسيمة بدار المسنين !". مسحت " ليا " بيدها على وجهها ، لم تستطع فهم حديثه او مغزاه ، كانت تشعر الا ناقة لها ولا جمل في كل ما يقول .

-" ارتدي ملابسك "

قالها امراً .

-" إذن ، اخرج من الحجرة ". ظل ثابتاً في مكانه كالصخرة ، كانه احد الاسياد يقف في قصره .

-"إن لم ترتدي ملابسك على الفور ، فساقوم بإلباسك إياها بنفسي ، الخيار لك".

-" حسنا ، انتظرني بالخارج ".

-" لن تغيبي عن عيني لحظة واحدة ، لا تشكي في ذلك . إنك لست بصحبتي الآن ، كصديقة . إنك اسيرتي ".

لاحظ انها لا تتحرك من مكانها ، فانتابه الضيق ، التقط من فوق الأرض قميصا داخليا ابيض من الدانتيل ، وتقدم نحوها .

-" لا تلمسني "

-"حسنا ، لقد فزت ".

قذف إليها بالرداء بكل ازدراء ، التقطته " ليا " ولبثت برهة ماخوذة . حقا ، لن تطيع اختها ابداً ! كيف تقف مثل هذا الموقف ؟ بإشارة من "ماكس" راحت تبادر بالإسراع . اخذت ترتديه بسرعة وهي تحتمي بالملاءة ، وقد انتابها الارتباك ، واحمر وجهها خجلاً ، لم تعثر بالقرب من مكانها إلا على حمالة صدر ، وبنطلون قصير ، وفستان احمر قان مفتوح الظهر له رباط يربط خلف الرقبة . لم تجد مفراً من ان تستدير

له ليربطه لها . لكنه شعر بسعادة غامرة ، ولم يضيع تلك الفرصة ليلامسها مرة اخرى . اخذت تحاول ضبط الثوب على جسدها حتى لايبدو مثير الشكل .

-" دعي عنك كل هذا ، لا تحاولي إضاعة الوقت ".

من نبرة صوته ، التي زادت بحتها ، فهمت ان الفستان - برغم كل محاولاتها - لم يتغير مظهره المثير. انحنت لترتدي حذاءها ، الذي كان بالقرب من مكانها لحسن الحظ ، لم يدر بخلدها ان شعرها الغزير عندما سقط امامها اجتذب ناظريه بشدة فتركزت على صدرها ، وقد تساقطت عليه تلك الجدائل . التقط " ماكس " انفاسه بصعوبة ، وجذبها بسرعة لأعلى .

-" صغيرتي الفاتنة ، إنك تبحثين حقا عن المتاعب ! ".

-" دعني ، إني لا احاول ان اثير فتنتك ! ".

انفجر بضحكة ذات مغزى .

-" هيا ، تقدمي ، لنهبط إلى اسفل ".

-" انتظر ، ساربط شعري ".

قالتها وهي ترفع ذراعيها لتضم شعرها ، كي تعقفه خلف رقبتها كما اعتادت . امسك بذراعيها وانزلهما بعنف .

-" لا تعاودي ذلك ، لن اشاركك في هذه اللعبة الصغيرة ! "

حاولت " ليا " التخلص من قبضته الحديدية .

-" إنك تؤلمني ، ايها الحيوان . ثم ، إنك تغالط جداً ".

-" اغالط ... لقد ادركت اخيراً انه لا ينبغي لي الثقة باي مخلوق . فلتدعي شعرك ينساب على كتفيك ، ايتها الحسناء " وقفت " ليا " بثبات امامه ، وقد راحت تتخلص من ثورتها ، وتحاول استعادة رباطة جاشها .

-" استمع إلي جيدا ، لدي شيء او شيئان صغيران لاخبرك بهما ، وعندما انتهي ، ساتوجه مباشرة إلى الشرطة للإبلاغ عن تهجمك وعنفك ! "

تملك الحنق "ماكس"، لكن "ليا" ادركت انها قد بدات تؤثر عليه بعض الشيء ، وبانه خلف ذلك المظهر القاسي الذي يبدو عليه ، قد بدأ يفقد

جزءا من شجاعته ، ودون أن يترك لها وقتا للحديث ، فتح باب الحجرة وأومأ لها أن تتبعه . أطاعت " ليا " ، لابد أنه سيأخذها إلى "مازاردي"... كان الأمر هكذا أفضل على أية حال من تلك اللحظات السابقة ، لحظات الالتصاق المحموم . لم يتجها من ناحية المدخل الخلفي ، بل اتجها إلى السلم الرئيسي ، الذي كان يقود إلى قاعة طويلة ، قد تزينت بالصور والرسومات . وبعد أن مرا بعدة أبواب من خشب الأرو ، وصلا أخيراً إلى ردهة تؤدي إلى بهو رائع . من هنا ، بدأ رحلة الهبوط عبر درجات سلم عريض ، قد فرشت بالسجاد الأحمر القاني ، ثم عبرا صالة ذات أرضية رخامية ، حيث تتدلى ثريا هائلة تعكس أشعة الشمس . شعرت "ليا" بعظمة الأماكن التي تراها ، وتأثرت بذلك .

- " هل تقتادني لرؤية " مازاردي " ؟

سألته بصوت حرصت أن يكون خفيضاً. ولما لم يجبها راحت تكمل:

- " هل هو يتكلم الإنجليزية ؟ " .

رفع لها " ماكس " كتفيه ، وهو يفتح باباً ويدفعها داخل مكتب فسيح .

- " لا تثيريني أكثر من ذلك ، فقد وصلت إلى قمة غضبي :

- " النكات القصيرة أفضل ، "

قالها وهو يصفق الباب من ورائهما .

- " لقد نجحت في أن تجعليني أفقد صبري مرات عديدة ، فلا تواصلي الاعيبك الشيطانية أكثر من ذلك ، يمكنني أن أصبح في غاية القسوة . لسوف نتكلم بجدية " .

- " أفضل الانتظار حتى تستعيد هدوءك " كانت تتكلم كأنها تشجع فيه ذلك الحال المتميز بالغضب " على كل حال ، أنا أفضل التعامل مع صاحب المكان بنفسه ، أعتقد أنه سيكون أكثر منك أدباً . أين هو إذن "ماسيمو مازاردي" ؟ إنه هو الذي أريد رؤيته " .

- " ستعيدين الكرة ثانياً ! " صرخ " ماكس " رغما عنه " دعي عنك تلك البراءة المصطنعة ، لقد ضقت ذرعاً ! إنك تدركين تماماً أن " مازاردي " ، هو أنا ! " .

الفصل الخامس

التمعت عينا " ليا " بالدهشة . جف حلقها ، راحت تستعيد بذاكرتها كل الملابسات ، التي منعتها من أن تفهم الحقيقة مبكرة، نعم ، إنها تراه الآن ، ذلك الرجل القاسي العنيف ، الذي كانت أختها تصفه لها ! لقد صارت - حقاً - في موقف مستحيل .

- " لا تحاولي إقناعي بأنك لم ترتابي في أي شيء . إني أعلم تماماً أنكما قد رتبتما كل شيء معاً ، أنت و " سيلينا " . لقد كانت - حقاً - أقل غباء مما كنت أعتقد . فقد نصبت لي الفخ الذي لم أتوقعه ، بأن تلقي أمامي بفتاة ساذجة ، ترتدي ثياباً عادية ، في غاية البراءة ، ضربة معلم بحق ! ووقعت في الفخ كالأحمق ، أنا الذي اعتدت اللعب بقلوب الحسان . أما مع تلك الفتاة الباهرة ، المخلصة ، المتواضعة ، التي لاتشوبها أي شائبة نفاق ، من يداخله أي شك ؟ " .

- " اخرس ! " ، صرخت " ليا " في يأس ، " أقسم لك ، إني لم أكن أعلم من تكون . لقد كنت أظنك بحارا عاديا كالآخرين ... " .

- " نعم ! أي نوع من المصادفة ، إنه من دون كل القوارب التي كانت

www.elromancia.com

ترسو على الرصيف ، اخترت قاربي بالذات ، ذلك القارب الفخم ، ابعد القوارب حينئذ عن مكانك الذي كنت تقفين به . ايتها الكاذبة ! ".

لما رأى ذهول " ليا "، اخذ يحاول تقليدها متحدثاً بلكنة ساخرة

- " اوه ! . " ماكس "، لقد اصيبت امي بالتواء في المفاصل ! إن المسنين يحبونني حباً جماً! لم اعتد التعامل مع من هم في مثل سني ، إنني زهرة من ازهار الحقل! ".

اخذت تسد اذنيها بيديها، فاقترب منها وراح يجذب يديها بقسوة، كي يجبرها على الاستماع إليه :

- " من كان يظن ان الأمر سيكون على هذا القدر من السخرية ! لقد رأيت ما كنت اتوق دوماً لتصديقه ، امراة تختلف عن كل الاخريات ، رقيقة ، لا غرض لها ... لكن لا ، لقد تقابلت اخيراً مع من تطابقني تماماً ، من تمتلك القسوة وعدم الرحمة تحت قناع ملاك ".

انسابت الدموع من عيني " ليا "، وقالت بصوت خفيض يشبه الهمس :

- " إنك مخطئ ، إني لا استحق اتهاماتك هذه . انت الذي كذبت عليّ إنك لا تدعى " ماكس " ، بل " ماسيمو مازاردي ".

- " إن كل اصدقائي ينادونني "ماكس"، ليس عائلتي ، ولا من يعملون معي ، إنما اصدقائي المقربون. عندنا في " إيطاليا "، نحب استخدام الأسماء المختصرة ". راحت تتساءل : لديه إذن اصدقاء ، عجيب . لابد انه لا يحتفظ بهم طويلا ، إن كان يعاملهم كما يعامل اخاه ، او اخته ، او كما عاملها هي نفسها ... اي رجل مرعب هذا ، باسلوبه المتجمد الذي يحسب كل شيء ! بل الأدهى من ذلك ، انه يتخيل انهم يحاولون المساس بكرامته ، وهو ما لايستهان به في "إيطاليا" ، ولا يرضاه الإيطاليون لاي سبب كان . إنه لرجل خطير ذلك الذي يواجهها ، رجل امتلأ بالرغبة في الانتقام .

- " فكر كما تشاء " قالتها بصوت هادئ " لكن ، صدقني عندما اقول لك ، إنه عند وصولي إلى " إستريزا " ، لم اكن اهتم إلا " بـ" سيلينا " . لقد ارتكبت خطأ باختياري لقاربك ، وهو خطأ مثقل بالعواقب الوخيمة ! وإنني - في الوقت الحاضر - لنادمة اشد الندم على ما

ارتكبته ".

- " لن تبدئي ثانية ! اعلم تمام العلم اني قد اخلصت لك مشاعري الدفينة ... واني قد صرت ابدو كالاحمق الأخرق . وهذا هو مالن اسامحك عليه ابداً ". كيف تستطيع "ليا " ان تشرح له انه مخطئ ؟ إنه معتد بنفسه للغاية مصمم على الا يستمع إليها ! حاولت ان تكرر له ، بصوت حاولت ان يبدو اكثر إقناعا .

- " كل ما قلته لك حقيقي ، وما عليك إلا ان تتاكد بنفسك من ذلك . وسوف تستعيد الثقة بي ".

لبث يتاملها زمناً طويلاً ، مقطبا حاجبيه ، وقد بدا مشهده يبعث على الهلع . لكنها ظلت ثابتة امامه ، تحتمل نظرته تلك ، كانما تعطيه الحق في تقطيبه وتامله .

وانتهى به الأمر بان استدارت عيناه . ربما قد صدقها اخيراً ؟ بعد ما راته منه - الآن - من ضعف ، بدا في استكانة اعصابه التي كانت تلتهب اضطراباً منذ برهة وجيزة . وبالرغم من كل ما بذلته من مقاومة واحتمال ، فإنه يتحتم عليها ان تدفع ثمن ضعفها خلال اليومين المنقضيين .

اخذت قدماها تضعفان عن حملها ، وكان عليها ان تتكئ على المكتب حتى لاتقع .

- " اتحاولين استمالتي وإضعاف عزمي ؟ ".

- " لا ، ولكني لم اتناول اي طعام ".

لم تكن تريد ان تساله شيئاً ، اذهله اعتدادها بنفسها ، حتى وهي بلا مال... امتلات عيناها بالدموع وكان عليها ان تجلس على احد المقاعد ، تمتلئ خوفاً امام جسده ، الذي يرتجف تماماً مثلما يرتجف جسدها . تناول " ماكس مازاردي " سماعة التليفون ، وراح يلقي ببعض الأوامر بلهجة موجزة ، ثم راح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً . كان احياناً يقترب من مجلسها ، فتسمع انفاسه المثقلة .

كل هذه الثورة لسبب ضعيف كهذا ؟ هل يتحتم عليه هذا التمسك بالشرف ! رفعت عينيها المتعبتين لتنظر حولها . كانت الجدران مغطاة برفوف من الكتب العتيقة ، كتبت اسماؤها بحروف مضغوطة على

أغلفة جلدية فاخرة . وعلى سقف الغرفة نقشت رسوم لآلهة وحوريات تشبه الأساطير . ادارت رأسها بالسليقة ، لتلتقي بنظرات " ماكس " ، الذي كان يمعن النظر إليها .

أخذ يحاكي نظراتها التي تتحقق من كل شيء .

-" هل يبحث في أمري ؟ هل يتم التحقيق للتثبت من انني رجل صالح ؟ "

لم يكن كلامه هذا يستحق رداً ، بقيت " ليا" صامتة ، وواصلت تطلعها في أرجاء الغرفة، بأثاثها العتيق الأنيق ، وتلك المقاعد الوثيرة، وقد انسجم هذا الأثاث مع الديكور في اتساق يريح النظر . قاطعهما شاب صغير السن يرتدي بنطلوناً من الجينز الأسود ، كان يحمل صينية عليها أقداح القهوة والشطائر الدافئة ، والعسل ، وبعض الفاكهة . بعد أن تبادل التحية مع " مازاردي "، وضع مائدة قصيرة أمام " ليا "، حيث ترك الصينية فوقها ، ثم خرج من الحجرة وقد رسم ابتسامة مهذبة على وجهه للفتاة الصغيرة .

-" تناولي طعامك ، "

أمرها " ماكس " ثم أضاف :

-" سوف تتحدثين بعد ذلك، ستدلين باعترافات كاملة ".

جلس قبالة الفتاة المنكسة الرأس ، ثم واصل بنبرة منتصرة وهو يرفع رأس المرأة الشابة إليه :

-" لكن أثناء تناولك الطعام ، فكري جيداً . إنك أسيرتي . وستظلين سجينتي هنا في الجزيرة حتى تعود "سيلينا" . نعم ، سجينتي يا "ليا" وإن كنت تظنين انني كنت قاسياً معك ، فسوف تدركين سريعاً أن هذا لا شيء إذا ما قورن بما ينتظرك الآن ، إنك تستحقين عقاب الاشتراك في النصب ، عقاب قطاع الطرق ، عقابا بغير رحمة . سوف تدفعين ثمن فعلة أختك ، وثمن كل الآلام التي تسببتما فيها لعائلة " مازاردي ".

أخذت " ليا " تحاول تشجيع نفسها ، تحاول ألا تتأثر بهذه التهديدات التي تلقى إليها . واصلت تناول شطيرتها ، تضع عليها طبقة من الزبد ثم تغمسها في العسل .

-" لا يمكن إبقاء إنسان في الأسر ، دون حارس مسلح على الأقل .

مع انه صعب جداً الهروب من الجزيرة . هل تستمعين إليّ ؟ ".

-" بلا شك ، لكنك لا تخيفني ياسيد " مازاردي ". إنها ليست المرة الأولى التي أرى فيها أشخاصا من أمثالك ".

-" صحيح ؟ " .

-" إني أحفظ عن ظهر قلب تلك العينة عينة ، هؤلاء البيروقراطيين الصغار الذين ما إن ولدوا حتى جدوا أنفسهم يتحكمون في كل شيء ، يصدرون التعليمات الرنانة ، ويحررون الأوامر الكتابية كأنما يحكمون العالم . تلك التحف المريعة ، نعم ، أعرف تلك العينة تماماً ".

-" أرى أنك تبالغين قليلاً ، كفتاة شابة أصابها الغرور ".

-" وهل لاحظت ذلك ؟ عموماً جميع البلاد تتشابه ، نصادف أشخاصاً صالحين ثم ...".

وقطعت حديثها لتلقي إليه بنظرة عن قرب ثم راحت تكمل :

-" ثم نصادف آخرين يشبهون الثيران الغاشمة التي لا تعرف سوى القوة العمياء . والآن ، هل يمكنك أن تفسر لي ، كيف أن رجلا في مثل ثرائك ، يهين نفسه بملابس البحارة الرثة ، كي يقوم بإصلاح محرك قاربه ؟ ألا يوجد عندك بعض العمال ليساعدوك ؟ ربما تكون فقدت السوط الذي تقوم بتعذيبهم به ؟ "

التمعت عينا " ماكس " بالسخرية لحديثها :

-" إني لم أعد أستعمل سوطي ، فقد تقطع ! الآن هم يطيعونني لأنهم يحترمونني . ثم إن لي الحق في أن أستريح من آن إلى آخر . كان الجو بديعا، والبحيرة زرقاء ، وكنت في حاجة إلى أن أغادر مكتبي ، وأبتعد عن رنين الهاتف الذي لا ينقطع . حتى القساة يحتاجون إلى الراحة ".

تناولت "ليا " شطيرة أخرى .

-" على الأقل ، ما زلت تستطيع الحكم على المواقف . إن بذلت مزيدا من المحاولة ، فقد تستطيع استعادة إنسانيتك ".

لم تعلم " ليا "، لماذا لا تستطيع البقاء ساكنة دون أن ترد على كل كلمة يقولها. لكن حبها لأختها كان يقويها ويشجعها :

-"إن أساء إلى أي فرد من عائلتي ، فساحارب بكل ما أوتيت من قوة للدفاع عن هذا الفرد .

أخذ " ماكس " يطلق ضحكة قصيرة ساخرة .

- " اشعر ان مهنة حارس السجن ستروقني للغاية ... ".

بدت " ليا " كانما اعتراها امتعاض مفاجئ : إن مقاومتها كانت تبعث في نفسه السعادة ! هل ما تحاوله سياتي بنتيجة معاكسة لما كانت تود ؟ من الانسب إذن اتباع اسلوب جديد . صبت لنفسها فنجانا ثانياً من القهوة ، ثم راحت تساله بهدوء :

- " إنك لم تعرفني بنفسك بالأمس . كنت تستطيع إخباري بانني قد اخطات ، حين سالتك ان استقل قاربك ".

- " إنني نادم - الآن - اني لم افعل ذلك ".

- " لكنك كنت تبدين كالضائعة المحطمة ! لم يكن قلبي ليدعني ان اطردك من القارب ".

- " ودود للغاية ... ".

- " الا تصدقينني ".

- "وهل كانت احاسيسك المرهفة هذه هي التي جعلتك تغازلني ايضا؟" سالته وقلبها يخفق بشدة :

- " هل يجوز أن تكون قد اعتقدت ، انني سيخيب ظني إن لم تحاول افتتاني؟".

لم يجبها . واخذت " ليا " تراقبه بطرف عينها . بدا عليه الاضطراب، بدا بلا دفاع . وبعد برهة استعاد تلك النظرة الباردة وراح يجيبها بقسوة :

- " نعم ، هذا بالضبط هو ما حدث " .

كانت " ليا " تشك في ذلك ، لكنها الآن تاكدت بعد ان سمعتها منه .لم يكن الأمر إذن مصادفة ، وليس لقاء عابراً . لقد كان باختصار يتصرف بطبيعته ، كانما الأمر كله لهو ، كان يريد ان يتاكد من قدرته فقط ، ان يستميلها إليه باقصى سرعة ... كيف كانت من الحماقة ، بحيث تنقاد إليه ، وتتركه يواعدها؟

- " لم يكن هناك داع ، لان تدعوني إلى العشاء ، في هذه الحالة ". قالتها بصوت خفيض يشبه الهمس " هل كنت تخشى ان تقضي الليل وحيداً ؟ اكنت واثقا من انك ستفوز بي بمثل هذه السهولة ؟

- " لم يكن لدي شيء آخر لافعله ، افضل من ذلك ".

- " إنك لوقح للغاية ".

- " ليا .... "

هب من مكانه واتجه صوب النافذة . ولما استدار ثانية ، كان وجهه هائجاً:

- " هانذا اضيع الوقت لاجيب عن اسئلتك ، إنك تعمدين إلى إضاعة وقتي ".

- " لا افهم شيئاً ".

- " إن اختك قد اختفت . اخبريني اين هي ، وبسرعة . من اجل صالح "رونزو" وصالحها هي نفسها ، يجب ان نعيدهما قبل ان يرتكبا اية حماقة ".

- " كان يتزوجا ، مثلاً ؟ ".

شحب لونه، ثم استعاده ، اخذ يقرب احد المقاعد وجلس بجوارها .

- " اسمعيني ، زواجهما لن يكون إلا مصيبة ... ".

- " لقد اوضحت لي " سيلينا " انك متكبر عنيد ".

- " إنك لا تعلمين شيئاً ".

صرخ وهو يضرب المائدة بقبضته :

- " لقد اخبرتني ايضا انك شخصية مريضة ".

- "إنك تثيرين جنوني بهدوئك هذا . إني امنحك فرصة اخيرة ، ثم ساستدعي الشرطة . لن ادع اخي يتزوج من لصة ... "

رمقه "ليا " بنظرة نارية .

- " اختي ليست لصة ! ".

- "لقد استولت على محتويات الخزانة ".

- " لم تكن هي - بالقطع - التي فعلت ذلك ".

- " جميع الموظفين اتوا إلى العمل هذا الصباح ، إنهم يعملون لدينا منذ سنوات عديدة ، لم تحدث اية سرقة قبل وصول اختك . واليوم ، إنها عشرات الملايين من الفرنكات قد اختفت ".

- " ليس لديك اي دليل ضد " سيلينا " . لماذا تتهمها بسرقة نقودك ؟ بالإضافة إلى ذلك ، كيف تتمكن هي من فتح خزانتك ؟ ".

- " رونزو " لديه المفتاح . لقد تمكنت من إقناعه بمساعدتها . إنها قد سحبت بالفعل سلفة كبيرة من مرتبها . جميع متاجر " استريزا " تعرفها جيداً ، إنها تصرف بلا حساب ".

- " وهل تظن أن " رونزو" ليس بقادر على الاستيلاء على النقود بمفرده ؟ إنه لم يفعل سوى استرداد حقوقه . إنه خطؤك ، كان يجب عليك الا تقطع عنه المال الذي ينفق على حياته منه . كنت تريد اكتناز كل شيء لنفسك ...".

- " أهذا ما قالته لك ؟ ".

- " بالتاكيد ! ".

- " لقد اخذ "رونزو" اكثر من مستحقاته، التي تقولين عنها ، لقد افرغ الخزانة تماماً. وهل تستطيعين إخباري بما حدث لجواهر جدتي؟"

فوجئت "ليا " .

- " إنك تكذب ! ".

- " هل تريدين سؤاله بنفسك ؟ فترين ارتباكه واضطرابه ؟ لعلها اخبرتك إنهما يعتزمان ان يجعلا منك السيدة الأولى هنا ، سيدة جزيرة "مازاردي " . إن اختك تسخر منك . إنها تستغلك ، كما فعلت مع " رونزو " ، حتى تكون ثروة طائلة ".

- " لا ، إنك مخطئ ..."

قالتها "ليا " بصوت يائس . إنها تعلم ان " سيلينا " . كثيرا ما ارتكبت حماقات ، لكنها ليست بمثل هذه الخسة والدناءة .

- " انظري إليّ جيداً ".

كان يتكلم وهو يمسك بذقنها .

- " إنك تنظرين الآن إلى رجل قد اعمته ثورة الغضب . إنها قد هزئت من ثقتي بها ، بدات بقيادة المجموعات السياحية بلا اي ضمير مهني او وازع اخلاقي . ثم القت بشباكها حول اخي ، الذي كان ضعيفاً ، فادت به إلى ارتكاب خطا لايمكن غفرانه . إنني لن انسى محاولتها معي انا نفسي ، في بادئ الأمر . اتعلمين شيئاً عن ذلك ؟ والآن . اجيبيني . اين هي ؟ ".

- " اقسم لك ، إني لا اعلم اين هي الآن ".

- " لا بد ان لديك ولو فكرة محدودة ، أخذ يحاول الضغط عليها ، " لقد وضعت حراسة من قوات الشرطة على كل المنطقة المحيطة بالبحيرة، منذ بضعة ايام ، لكن لم تختف اي من قواربي . و " رونزو " قد رحل منذ مساء الأمس ، في اللحظة التي كانت فيها " سيلينا " - طبقاً لاقوالك - موجودة في حجرتك .

لا بد انك قد ساعدتهما على الهرب . قد تكونين انت ، تلك السائحة الإنجليزية التي ترتدي ملابس عادية ، وراحت تستاجر قارباً لترفه عن نفسها ، دافعة الأجرة بالجنيهات الاسترلينية ؟ غالباً لم يكن شعرها بنيا ، لقد سالت هذا السؤال للبحار الذي يملك ذلك القارب المعني ".

انتابت " ليا " لفتة خفيفة ، لاحظها على الفور .

- " إنك تعلمين شيئاً . تكلمي ! "

اصبحت " ليا " الآن ترى كل شيء بوضوح . "سيلينا " ، تربط شعرها ، وترتدي ملابس اختها دون اي مساحيق تجميل ، تمكنت من الفرار على الرغم من رقابة رجال " مازاردي " . لهذا إذن استدعتها اختها للحضور : حتى تستغلها ! لم يكن نداء الاستغاثة الذي بعثت به إليها سوى وسيلة لاجتذابها ، كي تستخدمها كساتر لها . غاية في الوقاحة ، غاية في حساب كل خطوة من الوسائل الهابطة الرخيصة . حتى ، لو لم تختر هي نفسها ان تتناول العشاء مع " ماكس "، كانت "سيلينا" ستجد فرصة اخرى كي تلحق بصاحبها . هذا إذن يفسر ذلك المظهر الإجرامي الذي بدا عليها عندما ايقظتها من غفوتها ... " ليا " إذن قد خدعت . قال "ماكس " :

- " إن وجهك يتحدث بالنيابة عنك ، لقد بدات تفهمين انك قد وقعت في الخدعة التي نصبها لك هذان الماكران الخبيثان . اي نوع من النساء تكون إذن، اختك هذه ، التي تدعك تدفعين ثمن اخطائها وحماقاتها ! كان لابد لها ان تتوقع غضبي وثورتي عليك انت ايضا ، عندما ادرك انك قد ساعدتها فيما فعلت ".

- " لكنني لم اساعدها، لقد وافقت على المجيء إلى هنا ، لاحاول إقناعك أن تدعهما يجربان حظهما وينالان فرصتهما . كنت قد نويت ايضا ان اقنعهما بالانتظار حتى يتاكد كلاهما من شعوره نحو الآخر".

- " احقاً ؟ سبق ان اخبرتني بانك لا ترغبين إلا في مساعدة "سيلينا". ثم كيف اتفق ان اجدك في حجرتها هذا الصباح ؟ ".

وقعت " ليا " في الفخ . إن اعترفت له الآن ، بان " سيلينا " كانت تفر حينما تناولت هي العشاء معه ، وقد اخذت معها كل ملابسها ونقودها ، سيكون رايه اكثر سوءاً عن اختها ، ولا داعي لتعقيد الامور اكثر من ذلك . كما انه ، إن كان " رونزو " و " سيلينا " قد قررا الزواج فعلاً ، فإنه يجب حمايتهما . ولم ترد عليه إلا بان رفعت كتفيها . فقال لها وقد خاب ظنه .

- " فهمت ".

كانت "ليا " ماخوذة : لكم تحب ان تخبره بالحقيقة !

الآن ، ادركت سبب ثورته . حتى إن كان يسعى للتفرقة بين حبيبين، فعليه ان يقر بان "رونزو " و " سيلينا " لم يفعلا ما فعلا بالاسلوب الصحيح ، السرقة ، النهب ، وخاصة سرقة جواهر امراة مسنة ، هذا هو ما يصعب غفرانه . إن كان "ماكس " قد عاملها بقسوة في مخزن الغلال ، فذلك لانه يعتقد انها مشتركة معهما فيما فعلاه ، عن عمد واتفاق . اي راي قبيح لابد انه يعتقده عنها...".

- " إنني لا اصدقك " راح يتكلم بعد فترة صمت " تضمنت لعبتك ايضا ان تحاولي إغوائي حتى انسى امرهما . لكنك لم تكوني تلك البريئة التي ركبت معي في القارب ، لقد تجلت شخصيتك الحقيقية في هذا الثوب الذي كنت ترتدينه ، ذلك الرداء العاري من الساتان الأسود ...".

صمتت " ليا " تماما ، لايمكن ان تدافع عن نفسها ، وإلا سيتعرف على بقية التمثيلية الرائعة التي نفذتها "سيلينا ". التزم " ماكس" الصمت في انتظار ان تعترف بالحقيقة .

- " إذن ، لقد كنت تعلمين من اكون ، مساء الأمس . وتناولت العشاء معي حتى تشغليني ، بينما تتسلل " سيلينا " لتفرغ محتويات الخزانة وكان عليك ان تعيدي محاولاتك لغوايتي صباح اليوم ، كي لا اعود إلى التفكير في شانهما . ولقد كنت - حقيقة - على اتم استعداد لقضاء ايام بطولها إلى جوارك في الفراش ، حيث تغرقينني في الرقة

المتناهية التي تنبعث من عينيك ، وانسى كل ما عداك".

اتكا على احد المقاعد وقد امتلأ حنقاً ، ثم راح يضغط على زر الهاتف .

فدخل الشاب الذي يرتدي الچينز قائلاً :

- " تحت امرك ياسيدي ".

اشار له " ماكس " كي يتناول الصينية ، ثم اضاف وهو يمسك راسه بكلتا يديه:

- " اشعر بالم في راسي يا "باولو " ، اريد مسكنا للالم ".

كان يتحدث بالإيطالية ، فلم تفهم "ليا" شيئا مما يقال ، بيد ان إشاراته بدت واضحة ".

- " إنني حقيقة اشعر بالاسف لانني تسببت في جرح راسك ".

- " هل هي حيلة اخرى لكسب الوقت ؟ ".

- " لا ، لقد ظننت انك تريد دخول الحجرة لـ ... لتغتصب " سيلينا " . بسبب نبراتك العنيفة ومحاولتك تحطيم الباب ...".

- " في الساعة السابعة والنصف صباحاً ؟ ".

- " وهل هناك موعد محدد لمثل هذه الاشياء ؟ يقال : إنه لا موعد محدد " قالها بابتسامة صغيرة ، تسخر منها.

- " هذا ما كنت اعتقده! لقد اعتادت "سيلينا"، على ان يتحرش بها رجال من امثالك، ممن يظنون انها ستكون طوع رغباتهم كما لو كانت...".

قاطعهما دخول "باولو" - الخادم - يحمل لـ " ماكس " محلولاً طبياً .

صاح فيها " ماكس " وهو يحمل القدح :

-"هيا ، قوليها ! كما لو كانت امراة للبيع . هذا ما كنت ستقولين اليس كذلك؟".

- " تلك تهمة لا يلقى بها بلا دليل ".

- " إذن ، انت تتظاهرين بانها لم تخبرك ، بما عليك عمله ، عندما اصعد لارى لماذا لم تحضر إلى العمل ؟ ".

- " بالتاكيد ، لم تكن تتصور - حتى - انك ستاتي بنفسك . هل تستطيع ان تثبت ان نواياك كانت بريئة ؟ ".

- " اختك كانت تعلم تماماً بانني ساتي . في المرات السابقة كنت ابعث إليها بإحدى الخادمات ، اما اليوم ! فحاولي تصور الموقف قليلاً : الخزانة فارغة تماماً ، و"رونزو" قد اختفى ، إذن كان هناك احتمال اكيد ان اصعد إليها بنفسي ! "

ها هو ذا ما كان يصعب فهمه ، قد وضح تماماً . إذن ، " سيلينا " لم تضعها - بنية سليمة - في هذا الوضع المستحيل ... .

- " هل تتصورين اني اصعد كل تلك السلالم ، لهتك عرضها بكل هدوء ، بعد انتهائي من وجبة الفطور ؟ هذا سخف . بل الواقع ، اني لا ادع نفسي تنساق ابداً وراء غرائزي ".

- " اتفعل ذلك حقاً ؟ لم يكن هذا هو انطباعي عنك ".

- " إنك في حاجة إلى درس جيد ".

- " اتريد ان تريني كيف تكون قسوة الرجال ؟. وانا الذي كنت اظنك ذات خجل وحياء ! ".

- " إني ادافع دائماً عن عائلتي بكل ضراوة ".

اخذ يتفرس في وجهها .برهة :

- " إنك صادقة ، لا استطيع ان اقول عكس ذلك . سوف نرى كم من الوقت ، ستتحملين في الدفاع عن عائلتك . ستبقين هنا حتى تعود اختك ".

نظرت إليه "ليا" بعجز . إنها لا تستطيع ان تعود إلى انجلترا ! وفجاة تذكرت ان تذكرة الطائرة قد اختفت مع نقودها : على اية حال ، لقد اصبحت حبيسة هنا ... وبهت لونها تماماً .

- " إنك ستقومين بعملها . لقد رحلت فجاة ، ويجب ان تحلي مكانها".

- " لا تستطيع ان تجبرني ، على اية حال ! ".

- " لا ، ولكن باستطاعتي استدعاء الشرطة . اختك مهددة بالسجن لمدة خمسة عشر عاما . هل تعتقدين انها فكرة سديدة ؟ "

ردت عليه بصوت خفيض :

- " لا ، معك كل الحق فيما تقول ".

من المؤكد ان " سيلينا " ليست هي التي استولت على النقود ، لكنها ستدان بالاشتراك في السرقة . لو لم تكن هي و" رونزو " قد غادرا البلد

بالفعل ، سيقبض عليهما ، وسيحاول "ماكس" ما في وسعه ليدين اختها . ليس لديها خيار : يجب الامتثال لما يقول .

- " حسناً ، سافعل ما تريد ".

فرسم ابتسامة صفراء على وجهه ، وقد بدا كانما يفكر فيما هو ابعد مما تقول .

- " إني اعني العمل ، العمل فقط ".

اسرعت تضيف بصوت جاف :

- " لن تقترب مني او تمسني ابداً "

- " خسارة ، تلك المجازفة الرهيبة بتحمل قوتي. شيء ما فيك يجتنبني بشدة، لابد انه مظهر الأنسة الفاجرة الذي طالما اعجبني فيك".

قال تلك الكلمات بصوت حساس مزق نياط قلب " ليا ". ماهي تلك القدرة الغريبة التي يمتلكها فيتحكم فيها : حتى وهو يسبها ، لايزال يجعلها تضطرب تماماً .

- " لا تمن نفسك بانك ستلمسني : فلقد رايت بنفسك كيف اني لا اخشى مواجهة الآخرين بل ومهاجمتهم ! "

ضحك بطريقته الساخرة ، ثم استعاد جديته ، واخذ يملي عليها جدول عملها.

- " ستعملين من العاشرة حتى السادسة ، سبعة ايام في الأسبوع . ستحصلين على ساعة لتناول الغداء . ايام الأحاد ، تستطيعين الذهاب إلى الكنيسة الملحقة بالقصر ، إن كنت ترغبين في ذلك ".

اية قسوة ! هذا هو ما يفسر كراهية " سيلينا " للعمل لديه . لكن "ليا" قد اعتادت على العمل بقسوة فدار المسنين تاخذ ساعات اطول من وقتها في العمل . ستريه مقدرتها على الاحتمال . برغم كل ما بدا منه من قسوة ، فلن يفل عزمها شيء . وعموماً ، هي لن تظل هنا طويلاً . فـ"سيلينا" لابد انها ستعود بسرعة .

- " هل تذهبين إلى الكنيسة ، في بلدك ؟ " اخذ يصر على استجوابها، عندما لم ترد عليه بشيء .

- " نعم ، يوم الأحد . ادفع امامي السيدة " باكر " في كرسيها

المتحرك، ثم...".

- " اخرسي ! " قاطعها بجفاف " لم اكن اعتقد انك مؤمنة ...".

- " بالتاكيد".

قالتها بصوت خفيض جريح .

- "حسناً ".

انطلق بسعادة ليلتقط كتاباً كبير الحجم من فوق احد الرفوف .

- " ستقسمين على الكتاب المقدس انك لن تخرجي من الجزر . اذهبي إلى "بسكاتوري" إن رغبت ، او إن توفر لك الوقت ، ولكن لا تذهبي ابعد من ذلك ".

- " إنك في غاية الذكاء . الفخ في غاية الحذق . وماذا عن مرتبي ؟ ".

- " المرتب جيد . ولكني ساحتجزه عندي ".

- " تحتجز مرتبي ، لكن هذا عبودية ! "

انطفات كل امالها في ان تدخر مالاً لشراء تذكرة العودة .

- " لقد سرق مني مال كثير . إنك ضماني الوحيد ".

- " ولكني لن استطيع ابداً ان ارد لك كل ما ضاع ! حياتي كلها لن تكفي ".

- " الفكرة ، هي انك ستجعلين اختك تعود بسرعة . اعدك بالحرية لكليكما فور عودتها ، على شرط ان تترك " رونزو " لحاله ".

- " ولكني قد اخبرتك مراراً وتكراراً ، اني لا اعلم اين ذهبت ! ".

- " هذا جائز ، ولكنها لن تتركك هنا طويلاً دون ان تطلعك على اخبارها على الاقل ".

لم تعلم " ليا " المزيد ، لم تعد تعلم اي شيء ، سوى انها قد اصبحت يائسة من كل شيء . ممزقة بين الخوف من ان تتسبب في دخول اختها السجن ، وما سيترتب على ذلك من صدمة عنيفة تصيب زوج امها ، وبين ان تترك نزلاء الدار دون رعاية خاصة منها شخصياً لمدة اطول من هذا ، فلم تستطع ان تكبح دموعها ، إذن ، يجب عليها الاختيار بين امرين ، احلاهما مر. فمكتب الخدمة الاجتماعية لن يترك المسنين المسؤولين منها بلا رعاية . والمراة التي تعمل مكانها ، حتى وإن كانت اقل كفاءة ، فهي موجودة معهم على الاقل.

في نفس الوقت لا تستطيع " ليا " التخلي عن اختها . مدت - إذن - يداً مضطربة إلى الكتاب المقدس الممدود إليها ، والدموع تملا مقلتيها .

- " قولي : اقسم على ذلك ".

- " اقسم على ذلك " .

قالتها وهي تنتحب. وسمعت "ماكس" يضع الكتاب الكبير باحترام، ثم يبتعد تجاه الباب .

- " كفي عن البكاء "

كان يامرها بجفاء .

- " لا استطيع ...".

- " سادعك حتى تهدئي . وعندما تجف دموعك ، تعالي إلي في الشرفة . سابحث لك عن زي للعمل . ستبدئين العمل فوراً . ستدخلين في دورة تدريبية".

سمعت " ليا " الباب يغلق وراءه ، فغاصت في احد المقاعد . انهمرت بحار من الدموع على خديها ، كما لم تلق مثل هذا الهوان . يجب ان تقنع "مازاردي" تماماً بمدى امانتها ، لايمكن ان يدوم هذا الوضع الرهيب مدة طويلة .

في داخل اعماقها ، اخذت تحاول ان تجد ظروفاً مخففة لما فعلته "سيلينا" . لابد ان " مازاردي " كان عاملا حاسما في جعل تلك الفتاة الشابة ، تعدم كل امل ووسيلة ، لتحقق ما تصبو إليه . فاثر عليها ، وضغط على اعصابها بقسوة، واخذ يدفعها دفعاً لما اقدمت عليه وفجاة ، واتتها فكرة تتفق مع ما يدور بخلدها . ربما قد اصطحبت "سيلينا" معها "رونزو " إلى انجلترا ؟ . يجب التاكد من ذلك فوراً : ستقنع " مازاردي " ان يتركها تقوم بالاتصال بذويها لتتاكد من انهم بخير . إن كانت هناك ، ستخبرها امها بذلك ، هدات قليلاً ، واخذت تمسح دموعها بظهر يدها ، ثم نهضت وفتحت باب الشرفة ، وخرجت إلى الشمس .

اخذ "ماكس " يرقبها بعينيه الداكنتين ، ثم استدار بسرعة . تباطات "ليا" قليلاً ، هل يجب ان تكون خائفة ، حتى ينظر إليها ؟!

- زي العمل الخاص بك موجود على المقعد " قالها وهو يعطيها ظهره ". اذهبي لترتديه . أريد أن تكوني هنا في ظرف ربع الساعة منتعشة وفي قمة لياقتك".

أطاعت " ليا " . دون أن تنطق بكلمة ، وتناولت الملابس ثم عادت إلى المكتب.

- لا ، اذهبي عن طريق سلم الخدم ، إنه من هذه الناحية ، يجب أن تسلكي نفس طريق التسلل المسائي ".

- أسفة ، ياسيدي ". قالتها بنبرة خالصة النية " . إنني لم أعتد فعل مثل هذه الأشياء ، إنها المرة الأولى ... إن كنت تفهم ما أعنيه "

تلك الطريقة التي تتحدث بها ، تذكره بطريقة حديثها إليه في القارب ، لم يستطع أن ينساها ...

- لا تلقي إليّ بتلك النكتة السخيفة ! "

كان يتوعدها وهو على وشك أن يعود إلى ثورته .

- أسفة ، ياسيدي . ساكون اكثر موظفيك تواضعاً ، طالما تريد هذا..." كانت تنظر إلى عينيه مباشرة ، بقوة ، ثم أضافت :

- إنك تحتجزني هنا ، مهدداً إياي بالفضيحة ، لكنك لن تستطيع أن تحطمني ! "

وابتعدت مسرعة ، وعيناها جافتان ، قوية ، تفخر بنفسها . كانت خصلات شعرها البني الرائع تنسدل على ظهرها ، وهي تمشي بخطوات واثقة ، دون أن يدور بذهنها ، أن ثوبها الفاتن يضفي على مشيتها شيئاً من السحر .

راح " ماكس مازاردي " يتابعها بعينيه - ماخوذاً - حتى اختفت عند زاوية المبنى .

تلك الفتاة هائلة ، يبدو عليها الإخلاص ! استطاعت إقناعه بامانتها برهة من الوقت لكنه لم يكن يريد أن ينقاد لأي شيء . لقد تعامل معها كالمحترف العتيد:

فهي لن تدخله إلى الجنة !.

الفصل السادس

زي العمل ، كان لونه رماديا فاتحا يميل إلى الزرقة ، فكان منسجما مع شعرها البني تماماً .

(الچيب) انيقة تقفل بحزام عريض ، والقميص بكمين قصيرين وبلا ياقة ، فكان متسقا مع (الچيب) .

كان الزي من قماش خفيف ، اشعرها بالراحة وهي ترتديه في مخزن الغلال، حيث الحرارة المرتفعة برغم النافذة المفتوحة . لم يكن في الحجرة سوى تلك المراة الصغيرة ، حيث لم تستطع " ليا " أن تبلغها لتضبط هندامها ، إلا على اطراف اصابعها .. لما ارتدت زيها شعرت بالهدوء والقوة .

لم تشعر باي امتعاض مما كانت تحدثها " سيلينا " عنه ! أخذت "ليا" تبتسم وهي تتصورها ، وربطت شعرها إلى الخلف بقطعة من القماش الحريري وجدتها في قاع احد الأدراج .

يجب أن تسرع ، فـ"مازاردي" ينتظرها بالأسفل ، وفترة ربع الساعة اوشكت على الانتهاء . هبطت درجات السلم ، وكلها ثقة أن "سيلينا"

www.elromancia.com

كانت تعاني الشقاء في تلك الحجرة البائسة ، ذات السقف المائل ، وذلك السلم الطويل المؤدي إليها . ما إن بلغت جدار القصر ، حتى رات "ماكس" . كان غارقاً في افكار غامضة ، قاتمة ، يسير بخطوات واسعة، وقد وضع يديه في جيبيه . بدا في نظراته الكدر الشديد . قبضتاه مضمومتان بشدة ، فبرزتا من قماش البنطلون الأنيق ، وكعباه يدقان مع كل خطوة يخطوها . اقتربت " ليا " بنشاط بالغ ، تحاول أن تزيح عنه ذلك الكدر الذي اعتراه . ترى ما قدر النشاط والتفاؤل الذي يلزمها حتى تتمكن من ذلك ؟!

- " الزي جميل جداً ، لديك ذوق رائع " .

قالتها محاولة استرضاءه . كانت تعلم أن هذا النوع من الرجال نادراً ما يقاومون الإطراء .

- " إنه أبي الذي اختار هذا الزي " .

كان يرد عليها بذهن شبه مشتت .

- " هل عدت إلى هنا لحضور جنازته ؟ "

سالته وقد تذكرت حديثهما بالقارب .

- " لم يخبروني في حينه . لم يستدعوني إلا عندما اصبح "رونزو" غير قادر على إدارة اعمالنا . هيا بنا، لنبدأ ، فامامي الكثير من العمل " .

وجعل بقية مشيهما بخطوات سريعة ، مارين بحجرة بعد اخرى ، دون أن يترك لـ"ليا" الوقت لتعتاد المكان . فادركت سريعاً ، انه بسرعتهما تلك ، لن تستطيع فهم كل ما يقول .

- " قف ! لا أعلم إن كنت تفعل ذلك عن عمد ، ولكني لن افهم شيئاً هكذا . فليس لدي ذاكرة حديدية . لكي استوعب كل ما تقول يجب أن يكون معي شيء ادون به بعض الملاحظات ، او ان تقرضني جهاز تسجيل " .

- " لا عليك . إنني لا اتوقع الحصول على مساعدة لي افضل من الأولى . إنني في الوقت الحالي احيطك - فقط - علماً بالمكان ، بعد ذلك سوف تتابعينني في الجولات الحقيقية مع السياح . وسوف ترين كيف يكون التعامل معهم ، وكيف تمنعين الأطفال عن ان يلمسوا كل مكان باصابعهم المتسخة . تاريخ القصر كله تم إعداد نسخ مصورة

منه ، تستطيعين دراسته اثناء ساعة راحتك " .

- " حسناً ، ساحصل إذن على ساعة للراحة ؟ " .

- " على الا تكون ساعة كل منا مع الآخر " .

قالها وقد ارتسمت ابتسامة على جانب فمه .

- " بلا شك ! اثناء ساعة الغداء ، بإمكانك التوجه إلى " بسكاتوري " ، لتحضري ملابسك وحاجاتك من الفندق " .

واصل حديثه وهو يقودها إلى الحجرة التالية من حجرات القصر " .

- " ملابسي وحاجاتي ؟ " سالته بدهشة ، ثم تذكرت انه لا يعلم شيئاً عن تلك الفعلة التي قامت بها " سيلينا " ، فواصلت :

- " حسناً ، إنها فكرة جيدة " .

- " ادفعي حساب الفندق ، واحضري حقائبك إلى هنا ، بحيث تلحقين بجولات فترة ما بعد الظهيرة . لدينا هنا مرشد آخر ، إنجليزي . يتناول وجبته بعدك . لا تجعليه ينتظرك كثيراً ، كما كانت تفعل اختك دائماً باسلوبها السخيف . وتستطيعين التعرف إلى اصدقائك الشبان والتودد إليهم بعد مواعيد العمل " .

استمعت " ليا " بالم إلى ملاحظته الأخيرة . لم تكن تفكر إلا في شيء واحد : حساب الفندق ! لم تعد تملك سنتيماً . كانت تتخيل أن بإمكانها العثور على اي عمل في الخفاء ، بحيث تستطيع تغطية نفقاتها ، وتبتاع تذكرة العودة، لكن هذا اصبح مستحيلا في الوقت الحاضر . بدا الوضع ميؤوسا منه.

- " لا تتباطئي ! إنني في عجلة من أمري ، وانت تعلمين ذلك " .

- " انا ... انا ... "

اخذت تعض على شفتها حتى لا تبكي .

- " ما الذي يحدث ؟ "

سالها بصوت بدا اكثر هدوءًا ، شبه رقيق . نظرت إليه وهي لا تزال تبتعد عنه بضع خطوات ، وعيناها غارقتان في الدموع .

- " إنني اجاهد حتى امنع نفسي عن البكاء " انفجرت تحدثه ، "هذا لن يفيد بشيء ، انا اعلم ذلك ! " .

- " قد يفيد بعض الشيء " .

قالها وهو يتنهد ، ممسكاً بكتفيها يحاول تهدئتها . رفعت عينيها إليه دهشة . بدا عليه اضطراب البال ، مثلها تماماً .

- " إني لم أعد أعرف ماذا أفعل ، ولم يعد لي أي شخص ألجأ إليه " همست إليه :

- " أنت ترفض أن تصدقني ، ولقد أصدرت قرارك بوضعي في هذا الموقف الرهيب . بالأمس ، لم أتمكن من الاتصال بأهلي ، ولا أعلم حتى إن كان كل شيء بخير عندهم . وبالتأكيد ، لا يختلف الأمر عندك إن علمت أن هؤلاء المسنات يشعرن بالضياع بدوني ، وأن والديّ سيقلقان أشد القلق؟ " .

ولفرط دهشة " ليا " ، مال إلى شيء من الرحمة " .

- "سامحيني" . قالها ببعض الصعوبة ، اتصلي بهم فوراً .

- " فوراً ، لكن الاتصال في هذه الساعة ، تعريفته باهظة الثمن ! " .

- " قلت لك : اتصلي بهم فوراً ، قبل أن أغير رأيي ! "

قالها وهو يديرها للاتجاه المعاكس ، ويدفعها إلى مكتب صغير يطل على البهو . ظل " ماكس " - لسوء الحظ - مع " ليا " طوال وقت المكالمة الهاتفية .

أسند ظهره إلى الحائط ، وقد شبك ذراعيه على صدره ، وقف ليستمع بإمعان إلى كل كلمة تتفوه بها .

- " إن حاولت أن تمثلي إحدى تمثيلياتك عليّ ، وإن كذبت ، فسوف تندمين على ذلك ! " .

قال ذلك بينما كانت تبحث عن (الكود) الدولي للاتصال ، وقد ارتاحت أنه لم يأت لمساعدتها بذلك .

كان " ليونيل " هو من رد عليها . استمعت إلى صوته فغمرتها البهجة . بعد التحيات الحارة ، سألته باهتمام عن حال ساكني الدار المسنين . أدارت ظهرها إلى " ماكس " حتى تنسى وجوده ، فلا يتشتت ذهنها . كانت مستاءة للغاية من وجوده هذا ، ذكرت بضيق لزوج أمها أنها ترغب في إطالة مدة رحلتها عدة أيام أخر . فاستمع إلى النبأ دون أن يضايقه ذلك ، لكنه أخذ يؤكد عليها ، أن تحيطهم علماً إن قررت أي زيادة أخرى في المدة التي سيحرمون فيها من كعكاتها بالشيكولاتة

التي تصنعها لهم ، فلم ترد عليه بشيء . أخذ يصف لها حال النزلاء ، وقد سلحوا أنفسهم بأدوات المطبخ ، ليقودوا تمرداً عارماً احتجاجاً على تغيبها ، فانتزع ابتسامتها ، برغم كل الأحاسيس الأخرى التي تعتمل بداخلها .

- " إذن الأمر حقيقي ، إنك مسؤولة عن دار للمسنين "

علق " ماكس " بعد أن أنهت المكالمة .

- " بالتأكيد " .

ردت عليه بذهن غائب . كانت ترد بتحفظ على " ليونيل " عندما سألها عن أخبار " سيلينا " ، وقد سرت عندما قالت له : إنها متألقة كعادتها . كان " ماكس " ملاصقاً لها ، وأنفاسه الملتهبة تزيدها اضطراباً . فانفعالاتها في وجود " ماكس " دائماً ما تكون في قمة الغليان .

- " يبدو عليك انشغال البال ... " .

- " بالتأكيد . يجب أن تفهم السبب أكثر من أي شخص آخر :أنت أيضا ، قد سبق لك أن تركت شؤونك في أيدي الآخرين ، عندما كنت في انجلترا . إنني لست بالابنة المدللة ، فأهلي هناك يعتمدون كلية على وجودي معهم . أرى بوضوح أن غياب " رونزو " ، قد أفقدك السيطرة على أعمالك هنا ، بينما عوقك عن العودة إلى انجلترا لمتابعة شؤون حياتك بها ، لكن هذا ليس بسببي . يجب أن تفهم جيداً ، أنه يتحتم علي الرحيل في غضون ستة أيام . فالمرأة التي تعمل مكاني هناك ، قد ارتبطت بأعمال أخرى مع نهاية الأسبوع " .

رسم " ماكس " ابتسامة ساخرة على شفتيه .

- "ها نحن الاثنان ، ها هنا ، في أجمل بقعة في العالم ، مع شمس مشرقة ، وحدائق غناء ، وعلى الرغم من ذلك لا ننقطع عن التفكير في انجلترا المكفهرة المطيرة ! " .

- " نعم ، هذا سخف ، " ردت عليه بابتسامة قصيرة "ولكن هل تفهمني؟ " .

- " نعم ، ربما أكون قد أسأت الحكم عليك . فمن الجائز أنك غير مذنبة ، إلا ذنبا واحدا : هو عدم الفطنة . الأحداث ستثبت لنا ذلك ،

على اية حال . وبانتظار ذلك ، فقد حان الوقت لبدء الجولة السياحية الأولى لك".

اثناء ذلك الصباح ، اكتشفت " ليا " في " ماكس " جوانب لم تكن تعلمها . كان يقود السائحين ويجول بهم داخل قصره ، باسلوب شيق حاذق . يعاملهم بامانة وجدية يجيب عن اسئلتهم حول تاريخ عائلة "مازاردي" ، ينزل الأطفال إن تسلقوا سور الشرفة المطلة على البحيرة ، ويصادر منهم قطع الحلوى باسلوب لطيف ، حتى يجعلهم يعتذرون عما بدر منهم .

يتحلى بصبر ملائكي وهو يرد على الأسئلة التي يمطرونه بها . لم تستطع ابداً ، ان تتعرف فيه على ذلك الرجل القاسي عديم القلب ، الذي رأته هذا الصباح . الآن ، ترى رجلاً يحب العمل ويحاول بإخلاص ان يتفانى في تعامله مع هؤلاء الأجانب ، بينما هو في غاية القسوة والعنف في علاقاته الشخصية . بذلت " ليا " جهداً كبيراً كي تحسن الاستماع لكل ما يقال ، ووضعت تحت الاختبار عدة مرات ، فاثبتت انها قد وعت كل ما قيل امامها . احياناً ، كان يصعب عليه التركيز فيما يقول ، عندما يشعر انها تقترب منه ، تجتاحه جاذبيتها التي لا تقاوم .

في مثل هذه اللحظات ، كان يعمد إلى الإفاضة في الحديث بحرارة ، يحكي ويكرر كل ما يعرفه عن العائلة ، حتى يتغلب على ما يشعر به ، فلا تتعثر كلماته. فتصدر عنه لفتات واستطرادات قوية ، وينفعل في سرد حكايات العائلة، جرائمهم ، قصص الحب بينهم ، مصطحباً المجموعات معه إلى المواقع الرائعة في جنبات قصره .

- " إنه حقاً فاتن جذاب ! "

تنهدت فتاة في عمر " ليا " لم تستطع " ليا " ان تمنع الابتسامة التي ارتسمت على وجهها ، لكن وجهها احمر بشدة ، عندما علا صوت تلك الفتاة فجاة لتكمل حديثها :

- " اي طاقة ، اي حيوية وصبر ، اراهن ان هذا الرجل له شان اخر، شان عظيم ، في امور اخرى ! "

وبدون ان تشعر باي حرج ، القت بابتسامة مبتذلة إلى " ماكس " ،

الذي نظر نحو " ليا " نظرة ، كانما هي نكاية بها . بعد تلك العبارات العارضة ، افاضت جموع السائحين ، في اسئلتهم وتعليقاتهم . فانهكوه تماماً ، برغم مقدرته وتمكنه ، حتى انتهت الزيارة . وعندما تركا الزوار يقومون بجولة حرة في الحدائق ، اخرج زفرة من التعب .

- " قهوة ؟ " عارضاً على " ليا " .

- " بكل سرور ! ".

اخذ يحرك العقارب الورقية على الجدول المعلق ، الذي يحدد موعد الزيارة التالية ، ثم اخذ يقودها في المسير عبر درب واسع يتوسط صفين من الاشجار الباسقة . وجدت " ليا " تلك الاستراحة القصيرة في غاية الروعة . كانت تشعر بإنهاك ممثلة انتهت لتوها من تادية احد ادوارها المسرحية . كان الاحتكاك بالجمهور مجهدا بحق .

- " لا شك عندي ان المشاهدين يستمتعون جداً بهذا العرض ! "

قالتها وهي تجلس مستريحة على الكرسي الخيزران .

- " نعم ، فالأمر اكثر من مجرد قيادة مجموعة من السائحين ، إنه عرض كبير! لكن دعينا الا نفيض في الحديث ، فلن نبقى هنا طويلاً . حسنا ، اخبريني ما الذي حفظته . منذ متى شغلت عائلة "مازاردي" تلك الجزيرة؟".

- " منذ عام ١٥٤٧ "

ردت بينما امتلأ فمها بقطعة من البسكويت .

- " ومنذ متى فتح القصر لزيارة الجمهور ؟ "

اخذ يواصل دون ان يضيع لحظة واحدة . تنهدت " ليا " : حسن ، من الواضح انه لن يدعها حتى تخرج انفاسها :

- " بدا اجدادك يسمحون بفتح القصر للزيارة في ... لقد نسيت التاريخ . جدتك كانت هي المسؤولة عن الحدائق . اخذت تعتني بتشييد النافورات التي اضفت مظهرا رائعاً على الأمكنة التي وضعت بها ، حيث تفصل بين البقع المختلفة ، وتداعب برذاذها جموع السائحين الذين يجولون ببراءة وحبور حول القصر. فيتحتم عليهم الالتجاء إلى البيوت الزجاجية للنباتات ، حتى يجففوا انفسهم من هذا الرذاذ . كما يتحتم بذل المحاولة لإ قناع جدتك بنقل تلك النافورات إلى اماكن لا

تصيب الزائرين فيها بمائها ".

-" نعم"

علق بابتسامة تسترجع الذكريات .

-" لقد كانت متصلبة الراي ".

-" هل هي ما زالت على قيد الحياة ؟ ".

سالت " ليا " بشيء من حب الاستطلاع :

-" اوه ، بالتاكيد ! وصلبة كانها الصخر . إنها تحيط بنا جميعاً ".

وعلى البعد ، كان هناك رجل يلقي بحبوب على الخضرة التي تنحدر نحو الماء . حيث ، اخذت مجموعة من الببغاوات ذات الألوان الرائعة الخلابة تتدافع نحوها من كل مكان ، تطلق شقشقاتها الحادة . كانت "ليا" قد استمعت - هذا الصباح - لاصوات تلك الطيور ، على اغصان الأشجار العالية .

ادارت عينيها نحو " ماكس "، الذي كان ماخوذا ، مشغولا بالابتسام، وهو يتامل تلك الطيور المتدافعة .

-" كم هذا جميل ".

قالتها " ليا " بصوت رقيق " لا افهم كيف استطعت الرحيل عن هذا المكان".

-" لم اكن لارحل ، لولا اني كنت مجبراً على ذلك ".

-" وانت لا تزال في الثامنة عشرة من العمر ؟ "

فكر " ماكس " قليلاً قبل ان يجيب .

-" كنا انا وابي كثيرا ما نتجادل بشان " رونزو ". اخذت اراؤنا تتباعد ، حتى وصلنا إلى المرحلة التي لا يمكن التراجع فيها ابداً . كنا نتشابه في اشياء كثيرة : دون صبر ، حادي الطباع ، متسلطين ، نعتد بارائنا ".

-" حسن ، وما الذي حدث ؟ "

سالت " ليا " بتاثير واضح .

-" لقد فهمت انني صرت غير مرغوب فيّ هنا. بدا اخي يتعداني في كل الأمور ، ولم يستمع احد إليّ . اخذت مدخراتي ، وركبت اول طائرة إلى "إنجلترا ". كنت اتحدث الإنجليزية بطلاقة ، وكنت افهم في انواع

الشراب . حملت معي فني وصنعتي . كنت اشعر بالوحدة في بادئ الأمر ، بدا كل شيء حولي غريبا ، لكني كنت مصمما على الفوز ، ولقد حققته . في الوقت الحاضر، تقوم مؤسستي بتصدير الشراب إلى جميع انحاء العالم ! ولم اعد إلى "إيطاليا" إلا مرة واحدة عندما ماتت امي في حادث باخرة : اصطدم مقدمها ببعض جنوع الأشجار في الماء، وغرقت . ولكني رحلت سريعاً : فحياتي اصبحت في" إنجلترا "...".

ادركت " ليا " الآن لماذا اصبح بهذه القسوة . كان عليه ان يناضل وحيداً ، في بلد غريب، دون ان يكون هناك احد إلى جواره ليعينه ويساعده .

-" من المسؤول عن مؤسستك وعن إدارتها ، في الوقت الراهن ؟ ".

-" انا . إني احاول ان انجز كل اعمالي من هنا ، بالتليفون ، ولكني اؤكد لك ان هذا ليس بالأمر السهل الهين .، يعلم الله كم يستغرق هذا من وقت ... اكثر حتى مما استغرقه مع المجموعات السياحية هنا ، لانه ينقصنا الاشخاص الاكفاء . وقد كنت اريد ان اركز جهدي في اعمال المحاسبة . ومن ثم يجب علي ان افحص اوراق والدي بدقة ، قبل ان اتمكن من الرحيل".

-" وبالتاكيد ، بما ان " رونزو " ليس هنا ، فقد تحتم عليك القيام بكل شيء...".

-" نعم ، فقد ادركت انه ما إن تنتظم حساباتي ، حتى استطيع معاودة إدارة كل شيء بتمكن ومقدرة . ولكن بانتظار ان يحدث هذا ، فإني مضطر للانغماس هنا لمتابعة العاملين ، والحفاظ على ممتلكاتنا. في الوقت الحاضر ، ينبغي علي ايضا متابعة الاتصال والإشراف على المحاسبين لدينا ، والمكوث حتى تعود النقود المسلوبة . اما مؤسستي القوية ذات السمعة القوية التي جاهدت في بنائها وعانيت طوال عشرة اعوام ، فيجب عليها ان تنتظر طوال فترة ابتعادي عنها...".

-" اواه يا " ماكس " ، سافعل ما بوسعي حتى يعودا ، هذا وعد مني. ما إن تبعث لي " سيلينا " برسالة ، حتى اخطرك على الفور . سنجد حتماً طريقة لحل جميع المشاكل ".

- " غريب ما اراه من إخلاصك هذا ... ".

- " لكني مخلصة فعلا ! ".

- " سيكون ذلك خيرا للجميع . والآن ، اكملي فنجانك . فالمجموعة القادمة ، على وشك الحضور بعد دقائق قليلة ".

ومد ساقيه الطويلتين ثم راح يواصل :

- " اتفقنا إذن. وكما بدانا نتصارع : فسيكون شيئاً حسناً ان نوقفه".

بدا على " ليا " شيء من الحماس .

- " فلننتظر حتى نرى من سيحضر في سيارات فترة بعد الظهيرة ، فعندنا هنا ، لا ينبغي كتم الأسرار طويلا ! "

قالها ساخراً من تلك الأسرار التي تخفيها عنه .

- " يجب أن اقر ان تهديدك سافر . لكن ليس من طبيعتي ان ابيع اسراري ، او ان ابوح بها تحت اي ضغط ، كما تفعل انت .... وارجو الا تسيء فهم كلامي ".

- " فهمت " . رد عليها بابتسامة واثقة " . تريدين ان تقولي : إنه ليس من طبعك ان تكشفي نفسك على الملأ . وإنك تفضلين الاختباء ، وإنك مختلفة عن الآخرين : جادة ، عاقلة ، سانجة ...".

- " اشكرك على هذا الإطراء ! ".

- " هذا حقيقي غالباً . فانا اعتقد انك لا تفهمين شيئا بالمرة ، عن الرجال الذين تقل اعمارهم عن الستين عاماً ! ".

- " وافضل الا اغير من طبيعتي هذه ، بعد ما رايته هنا ! ".

- " ولكن ما الذي رايته هنا إذن ؟ ".

سالها برقة .

- " رجلا منعوه من ان يودع اباه قبل ان يموت ، رجلا يحمل على كاهله عبء إدارة عملين مختلفين كل الاختلاف ، يفصل بينهما مئات الكيلو مترات . رجلا يتحتم عليه ان ينال من جدته العنيدة ، وفي نفس الوقت يكتشف ان اخاه قد فر مع عشيقته الأجنبية بعد ان سلب جواهر العائلة .

- إنك التقيت بهذا الرجل في لحظة صعبة متميزة في حياته يا "ليا". يجب ان تضعي هذا في حسبانك ... ".

هل كان من الصعب عليها ، ان تمنع نفسها من إصدار حكم مسبق عليه ! في هذه اللحظة ، اثار في " ليا " عاطفة انستها الأسر الذي هي فيه ... لكن يجب الا تترك نفسها تنزلق بمثل هذه السهولة إلى الفخ ! يجب ان تتذكر انه ممثل بارع .

- " لقد حان وقت العودة "

قالتها ببرود وهي تنهض من مجلسها .

- " ليا " ... "

كان يتكلم وهو يتناول يدها . فتخلصت منه ، ونظرت إليه غاضبة

- " لقد طلبت منك الا تلمسني ! ".

- " هذا صحيح ". كان يهمس إليها . فقد اسلوبه المتميز ، ولم تجد المجموعات التالية ، ذلك النشاط الذي كان يشتعل به . كانوا - لايزالون- يجدونه فاتناً ، لكنه كان يقوم بشرحه لهم بفتور واضح ، وبعناية اقل . اخذت " ليا " تتساءل : إن كانت قد فهمت - ابداً - ذلك التعقيد الذي بدا على " ماكس ". لقد كان محقاً عندما اخبرها انها لا تعلم شيئاً عن الرجال . احياناً كان يبدو لها كوحش مخيف، لكن ، في احيان اخرى، كانت تشعر بالانجذاب نحوه . كانما هناك رباط خفي يربط بينهما . كانا قد بلغا احد تلك الصالونات الرائعة ، وكانت ترقبه بطرف عينها ، غاضبة، بينما هو يوضح للمشاهدين ملامح إحدى قطع السجاد من القرن السادس عشر . حتى وهو يتحدث عن فن صناعة السجاد في العصر " الفلامنكي "، بدا صوته حساساً مؤثراً ، تلك الحساسية المحببة إلى قلبها بوضوح .

- " يتاتى للسيدات ملاحظة ذلك البساط "

قالها بصوته الدافئ .

- " الرسوم التي تطرزه تصور بعضا من رذائل الرجال . اما السادة الرجال فيمكنهم مشاهدة ذلك البساط بجوار النافذة ، وهذا يصور بعض الرذائل النسائية ، كما لا يفوتني ان اذكر ، انه بالجهة الأخرى من الصالون توجد بعض القطع الأخرى من الأبسطة التي تصور رسومها الفضائل الإنسانية ، لكني اعتقد انها لن تحظى بعظيم اهتمامكم ... ".

وانفجرت موجة من الضحك على ملاحظته .

- " هل يمكنك ان تشرح لي ما الذي يفعلونه هنا ؟ "

سالته إحدى الزائرات وهي تشير إلى احد اركان قطعة البساط المعلقة امامها. اقترب "ماكس"، وقد احاطت به مجموعة من السيدات، راحت تمطره باسئلتها . كانت هذه هي آخر امكنة الزيارة ، وفجاة احست " ليا " انها لا تستطيع المواصلة اكثر من ذلك . غمرتها ثورة هائجة ، فعرفت انها في حاجة إلى الخروج من المكان . لم تعد تحتمل اجتذابه لا هتمام هؤلاء السيدات المتجمعات من حوله اكثر من ذلك .

لم تستطع تفسير ذلك الشعور العارم الذي اعتراها ، لكن رؤيتها له وهو يتحدث إلى كل واحدة منهن ، ويستدير إليها ، ويعيرها انتباهه كان يمزقها . اتكات على ذلك الجدار الاحمر ، الذي اذفاته اشعة الشمس ، واغلقت عينيها ، لم تكن تريد ، ولا ينبغي لها ، ان تقع في حبه . لكنها لم تستطع ان تقتلع هذا الشعور من داخلها : إنه يخفي قلبا جامدا كالحجر ، تحت طيات ذلك المظهر الحساس الذي يخلب الالباب . عموماً ، لقد اوضح لها الامر تماماً : إنه من السذاجة ، بحيث لايمكنها التعامل مع من هم مثله من الرجال . تنهدت بعمق . ايام قليلة اخرى ، وستعاود حياتها الهادئة ، لكن هل ستجد صفاءها مرة اخرى ، بعد ان قابلته ؟ لانها اصبحت تدرك - الآن - انها لن تعود كما كانت ابداً ، شعرت بحاجتها إلى ان تهرب من امامه باي ثمن ، الآن ، في هذه اللحظة بالذات ، لذلك لجات إلى هنا ، لذلك هربت من المكان الذي يقف فيه .

- " اتشعرين بالتعب ؟ "

فتحت عينيها فوجدت وجه " ماكس " قريبا جداً من وجهها . للحظة، اعتقدت انه قد لامس خدها بشفتيه ، لكنها طردت تلك الفكرة ، عندما راته يتباعد عنها بابتسامة حديدية .

- " هل حان وقت الغداء ؟ "

سالته وهي تطلق زفرة حارة .

- " نعم . اسرعي بالذهاب إلى " بسكاتوري " ، لتنهي شؤونك المعلقة هناك .

يجب ان تجدي وقتاً لتاكلي شيئاً عند عودتك. لدينا : بيتزا ، وشطائر، واطباق من عجائن " اللازانيا " المخبوزة في الفرن ، وفواكه ومثلجات ، هنا حيث تناولنا القهوة . وحيث ستجدين الفرصة لرؤية بقية زملائك من المرشدين السياحيين ".

- " و ...وانت ؟ "

- " انا لدي اعمال مؤجلة . اتمنى ان يتذكر احد ، ويحضر لي شيئاً لاتناوله اليوم . فبالامس ، فاتت ساعة الغداء ، دون ان يعملوا حساباً لي بالمرة . على كل حال ، تذكري جيداً : لا تتاخري ! موعدك طبقاً للجدول سيكون في الساعة الثانية . إن لم اكن هنا ، فابدئي العمل بدوني ".

- " لا استطيع ذلك ابداً ! ".

- " لا عليك ، إنه ليس بالموعد الذي انساه ابداً . هيا ، ارحلي فوراً ، فلن اجيب عن المزيد من الاسئلة ! " .

اسرعت " ليا " بإطاعته ، وقد تابعها " ماكس " بابتسامته القصيرة إلى ان ابتعدت . ثم ، استدارت فجاة ، وناداته بصوت حاد " ماكس " .

انطلق يعدو إليها كالسهم ، وقد ارتسمت ابتسامة منتصرة على شفتيه . شعرت " ليا " ان قدميها لا تقويان على حملها ، من فرط انفعالاتها . لقد ارادت ان تعترف إليه بكل ما لديها ، لكنها لم تستطع ان تنطق بشيء، كانما قد احتبس صوتها عن الخروج .

- " ليا "

همس إليها وهو يجتذبها نحوه بهدوء . ورفع راسها إليه بحنان . الرسالة التي قراتها في عينيه ، كانت تمتلئ بالحنان الدافئ . وخطوة خطوة ، اقتربت شفاههما ، لم تستطع " ليا " - السجينة - الابتعاد عنه . ومع آخر مجهود بذلته ، استطاعت ان تخبره - اخيراً - بسبب ندائها له .

- " ليس معي اية نقود ! " .

دهش " ماكس " .

- " لا وقت امامي لاصعد إلى حجرتي مرة اخرى " شارحة له " هل يمكن ان تقرضني بعض المال ، لابتاع تذكرة الذهاب والعودة ؟ "

خفق قلبها بشدة، لما رأت عينيه وهما تلمعان بالغضب والثورة . لقد تمادت فيما هي فيه حقاً ! في نفس اللحظة التي كان يهم فيها باحتضانها ، وهو ما كانت ترغب فيه بشدة ، تطفئ كل تلك النشوة بطلبها هذا - المحجوج - للنقود ! على الأقل، فإن ما فعلته ، قد منعه أن يرتكب حماقة .

وضع يديه أسفل ظهرها ، وضغط الفتاة الشابة إليه ، وقد امتلأ بالرغبة. اشتعل جسدها كله لملامسته .

- " وما الذي ستعطينني بالمقابل ؟ "

رفعت عينيها إليه ، وقد امتلأتا بالدهشة .

- " هذا يساوى قبلة . لا داعي أن تبدو عليك آثار الصدمة ، فهذا هو الثمن الذي عرضته أختك علي - في أحد الأيام - مقابل نفس الطلب ".

لم تملك " ليا " سوى الهمهمة بكلمات لا معنى لها .

- " هيا إذن ، " قالها ساخراً ، " فالوقت ضيق . هل تفضلين صعود كل تلك الدرجات من السلم ، لتبحثي عن حافظة نقودك ، أم أن تمنحيني قبلة ؟ أريد أن أرى ، أي تضحية أنت مستعدة لتقديمها ، لتحافظي على طهارتك ، التي تتظاهرين بالحفاظ عليها ، يا " ليا " ".

- " إنك رجل فاسد " ، قالتها وهي تخرج زفرة ألم " كل ماتسعى إليه هو الحصول على قبلة ... ".

- " لكني أفوز دائماً "

قالها بابتسامة صفراء خبيثة .

ثم انحنى برأسه ذي الشعر الفاحم ، نحو وجه الفتاة الشابة ..

الفصل السابع

- " خذي النقود ".

تكلم "ماكس" بصوت فيه بحة ، أبعدها عنه ، ومد لها يده ببعض المال .

- " خذي ، ارحلي الآن ! ".

فرت من أمامه ، وهى تمتلئ نحيباً ، تأكدت أنها فقدت الآن ، كل احترامه . وهي التي كادت تقنعه ببراءتها ، ها هي ذي تطالبه بالنقود وتتركه يعانقها ! لقد قال الصدق ، إنها لا تعلم شيئاً عن الرجال . ومع ذلك كانت تريد أن تتعلم كل شيء منه هو نفسه ، مجازفة بأن يتحطم قلبها تماماً . آواه ! كم هي ظالمة هذه الحياة ! على أية حال ، يجب ألا يتكرر هذا المشهد ، ذلك إن كانت تريد إقناعه باستقامتها . وإلا فلن يثق بها أبداً ، لا هي ولا " سيلينا ". فهي لن تفوز بشيء ، بالوقوع بين ذراعيه كل دقيقة . لا ، من المؤكد أن " ماكس " ليس بالرجل الذي يناسبها ، ولا بالرجل الذي تستحقه. أقرت بذلك مع نفسها - مرة واحدة - وهي تستقل القارب . كما أنها لاتنتمي بالتأكيد ، للنموذج

www.elromancia.com

الذي هو في حاجة إليه . " سيلينا " ، هي التي كانت تمتلك من الجراة والشجاعة ، ذلك القدر الذي مكنها ، ان تلقي بنفسها في هذا الوسط ، المختلف بكل تاكيد عن وسطها . لكن " ليا " ، ليست هي التي تقدر على أي من هذا . لقد تخيلت خطا : ان " ماكس " سيتكيف مع اعتياد وجودها معه ، وانه سيسعد بقضاء امسية هادئة في " بلفيو " ، حيث يحتسي الشوكولاتة الساخنة . وانه لن يضيق ابداً ، بدفعه مقعد- السيدة " باكر " - المتحرك ، يصطحبها إلى القرية ، لتشاهد مباراة للكرة ، ولن يضيق كذلك بسماع تعليقاتها المبالغة ، التي تلقي بها في كل مناسبة . ابتسمت " ليا " ، لهذه الصورة التي راحت تتخيلها ، وكانت تلك هي نهاية كل احلامها المستحيلة. يوماً ما ، ربما ، ستخبر " سيلينا " ان " ماكس " قد هز قلبها ، وسوف تتضاحكان معا لهذه القصة . لكن لا ، لن تستطيع ابداً الحديث عن هذه المغامرة . وكسا الحزن عينيها . فقد كانت تجربة مهينة بعض الشيء ، ستحتفظ بها - دائماً - سراً . لكن ، اواه ، إن استطاع " رونزو " و" سيلينا " الزواج ، فستتحتم تلك الظروف البغيضة، حيث ستلتقي بـ" ماكس " انطلق صوت عبر إحدى السماعات : "جزيرة بسكاتوري" . قفزت " ليا " من مكانها . وراحت تعبر القنطرة التي مدت من القارب إلى اليابسة ، مرت خلال جموع السائحين الذين وقفوا تحت اشعة الشمس . ويممت شطر فندق " بوروميو " .

- " نهارك سعيد ، يا انسة " ليا " ! "

القى موظف الفندق التحية بابتسامة واسعة، لما راها تدخل البهو :

- " لقد ظننا انك رحلت : فلم نجد ايا من حاجاتك ، لا ملابس ، ولا ادوات زينة ... "

تمالكت " ليا " نفسها ، مدركة ان غرابة الموقف الذي هي فيه ، لا يصح ان تتسرب إلى عاملات الغرف . فاسرعت تفسر له الامر .

- " إني اعمل لدى السيد " مازاردي " . ولقد استطعت الانتقال إلى هناك منذ مساء الامس " . إن هذا يكاد يكون الحقيقة بعينها ! ثم اضافت :

- " إن جاءتني اية رسائل او مكالمات هاتفية ، هل بإمكانك إرسالها

لي او إخباري بها ، في جزيرة "مازاردي" ؟ " .

تعرف الموظف على الزي الذي ترتديه ، فصدقها ، ولم يرتب في اقوالها .

- " نعم ، حسن ، حسن ، "

اخذ يرد عليها :

- " هل اعد الفاتورة ؟ " .

- " لا .. حسنا ، اعني ... " .

لم تستدن " ليا " مرة واحدة طوال حياتها . لم تعرف ما الذي ينبغي فعله كي تستمهل احد الدائنين . احمرت خجلاً ، وقالت له :

- " لا أستطيع أ ن ادفع لك الآن ، فليس معي نقود " .

غابت تلك الابتسامة من وجه الموظف .

- " يجب ان تدفعي الآن " .

هزت " ليا " راسها بالموافقة وهي تشعر بالحنق على " سيلينا " .

- " نعم ، بالتاكيد ، يجب ان تثق بي ، كل ما في الامر .. ان النقود التي انتظر وصولها ، لم تصل بعد " .

قالت تلك العبارة ، وقد اعتراها الارتباك والخجل . فاخذ موظف الفندق يتفرس فيها ، محاولاً ان يسبر غورها . وفي النهاية اوما لها :

- " سائق بكلامك . إن هذا لجنون ، لكني اشعر انك صادقة ، هذه يدي ممدودة إليك ، شدي عليها ، وليكن هذا عهدا بيننا ، اتفقنا ؟ " .

وضعت "ليا" يدها في يده ، وقد اعتراها الحياء . اعجبتها شهامة هذا الرجل الإيطالي ، الذي وثق بها ، دون ان يعرفها . عليك اللعنة يا"سيلينا"!. لن تثق بها ابداً بعد ذلك .....

- " يمكنني ان ارد لك النقود بطريقة اسرع ، هل من الممكن ان ترتب لي عملاً معكم بالفندق ؟ "

كانت تقترح على الرجل الإيطالي .

- " استطيع العمل فترة المساء ، مثلاً . هل لديكم اي عمل تعرضونه عليّ؟ ".

للاسف ، هز الموظف راسه بالنفي .

- " لا ، ليس لدينا شيء . لكن يمكنك الذهاب إلى هناك ، حيث توجد

المقاهي على ضفاف البحيرة ".

اشار لها إلى درب صغير يمر بجوار صفحة المياه ، ثم قاطعه جرس الهاتف ، اخذ يرد على المحادثة، وهو يشير إليها برأسه مشجعاً إياها.

ولم يكن امام " ليا " سوى الذهاب ، لتجرب حظها بجوار الرصيف الممتد امام الماء ، حيث ترسو القوارب ، وجدت العديد منها صغيرة الحجم ، خلابة المنظر ، تتيح لزبائنها رؤية مشهد رائع لصفحة الماء ، وقد انعكست صورة الجبال على سطحه . لم يبق الآن امامها سوى مطعمين فقط، حيث يمكنها السؤال عن عمل . كل المطاعم والمقاهي الاخرى رفضتها ، فكانت تحس بخيبة الأمل . أما الوقت، فكان يمر سريعاً ، واصبحت لا تطيق حرارة الجو . ثم حدثت المعجزة ، والحقت بعمل في اخر مطعم . كان عليها خدمة الزبائن وغسل الصحون . لم يهتموا انها تتحدث الإيطالية بصعوبة ، ربما لأن السائحين وهم اغلب زبائن المطعم ، يتحدثون بلغات مختلفة ، كما ان قائمة اطباق المطعم نفسها قد كتبت بثلاث لغات . هكذا ، إن عملت إلى وقت متاخر ، بالإضافة إلى ما قد تتلقاه من إكراميات من الزبائن ، يمكنها دفع فاتورة الفندق بسرعة . ولكن حتى تعود للديار ، كان يتحتم عليها انتظار ان تظهر "سيلينا": فمواردها هذه اضعف من ان تغطى قيمة تذكرة الطائرة .

عندما صارت بالقارب الذي يقلها إلى قصر " مازاردي " ، حاولت بشدة ان تمنع نفسها من التفكير ، في تلك المواقف الجبارة التي تعيشها هناك . ينتهي يوم عملها كمرشدة ، ثم عليها ان تعمل طوال المساء وجزءاً من الليل بالمطعم .

كم كانت شابة صغيرة تستطيع مقاومة كل شيء ، كانت تجد الوقت بلا حساب ، لكن العملين الجديدين لم يتركا لها دقيقة واحدة تستريح فيها . في دارها - بالتاكيد - كانت تستيقظ - احياناً - في الليل ، لترى واحدة او اخرى من النزيلات ، لكنها في معظم الأحوال كانت تنام مبكرة ، وكانت تجد الوقت لتنام بعمق ، وحتى في الليالي النادرة التي تضطر ان تصحو فيها لتلبية نداء ، فإنها كانت تعود لتعاود النوم ملء جفنيها . اخذت تتوسل وهي تنظر إلى السماء ، راغبة الا

تدوم تلك الحياة الكئيبة طويلاً! رجاؤها الوحيد كان "سيلينا"، ان تشعر بالضمير ولو مرة واحدة ، فتفكر في حالها قليلاً ، وتقرر ان ترسل لها نقوداً ..

ساعة الغداء كانت قد انقضت منذ زمن طويل . استطاعت ان تجد عملاً، لكن بحثها عنه استغرق وقتاً اطول مما كانت تتصور . قضت الفترة التي عبر فيها القارب إلى الجزيرة الاخرى ، في الراحة والاسترخاء بمقدم القارب، اخذت نسمات الهواء تضرب صفحة وجهها ، وقد احمرت ذراعاها العاريتان من اشعة الشمس . كان الزي يلتصق بجسدها ، وقد اخذت تفرد رقبته محاولة ان تدع الهواء يتسلل إلى جسدها . ما إن وصلت إلى الجزيرة ، حتى اخذت تسرع الخطا ، صاعدة بين الحدائق المترامية ، حتى الشرفة ، إلى ان وصلت إلى نقطة بداية الجولة السياحية التالية . لكن اولى مجموعات ما بعد الظهيرة ، كانت - للأسف - قد غادرت المكان ، لتبدا جولتها بالفعل .. وما إن رآها "ماكس"، حتى رماها بنظرة اتهام وادار لها ظهره بضيق ، ليقود المجموعة إلى المكان التالي . وطوال الساعة التي اخذت تتابعه فيها ، حاولت جاهدة الإنصات لكل ما يقال ، لكن شعوره بالسخط عليها كان يؤلمها : إن " ماكس " يتجاهلها متعمداً ، يتحاشى النظر إليها . اخيراً ، تفرقت المجموعة في الحدائق ، واصبحت ، وحدها معه في البقعة الخضراء ، انتظرت ان يقطع الصمت . فادار لها ظهره بعناد ، ثم قال لها اخيراً بصوت جاف :

-" إني انتظر منك تفسيرا ! ".

-"انا اسفة ".

اجابته بهدوء . استدار بغتة إليها وقد امتلا وجهه بالغضب .

-" انا مدرك تماماً انها ليست مهنتك ، وانك لا تهتمين مطلقاً بإتقان عملك - تماماً - مثل اختك . ولكني احذرك ، إن تاخرت مرة اخرى ، فسوف امنعك - حتى - من الذهاب إلى " بسكاتوري " .

-" لا ! هذا مستحيل " .

صاحت فجاة كالمجنونة .

-" ولكني لا ارى طريقة اخرى لحملك على احترام ارتباطاتك هنا .

لقد اصبحت اشد اقتناعاً ، بانك لا تكنين اي احترام لالتزاماتك ومسؤولياتك ".

- " أؤكد لك ان الحق هو ماتقول ، نعم معك كل الحق . لكن ما حدث اليوم هو عارض طارئ ، وأؤكد لك انني لم اتمكن من إنجاز ما ورائي هناك قبل ذلك ".

- " هذا العذر الذي تشرحينه الآن ، كانت اختك إخصائية في عرضه وسرده. كانت تكرره لي دائما ، مع اصطناع شيء من البراءة والسذاجة ".

انزلت " ليا " راسها إلى اسفل . لقد افسدت كل شيء بالتاكيد ، في الوقت الذي كان قد بدأ يلطف من معاملته لها ... ثم قالت له بنبرة مختلفة كل الاختلاف :

- " حسناً ، اتركني إذن ، على الاقل ساجد حريتي السليبة ".

اختلج جسده لسماع هذه الكلمات ، فاحست " ليا " بالسعادة لذلك . لقد آن الأوان ليعرف انها لن تتركه يتحكم فيها ويتسلط عليها . ان الأوان ليجد امراة واحدة على الاقل في حياته كلها ، تعيده إلى الصواب .

- " لا لن ادعك تذهبين ، إنني لم اسمح - حتى - لـ " سيلينا " بالرحيل ، وهذا هو فصل الخطاب ".

- " نعم ، لقد تساءلت كثيراً عن السبب .. مع انه يبدو عليك ، انك تتشدد في أن يتم عملك بكفاءة وإتقان ! ".

- " اتركها تذهب فيتمسك بها " رونزو " ؟ إنني لست بمثل هذا الغباء . لقد اردت أن ادفعها لترحل من نفسها ، لقد جعلت حياتها هنا مستحيلة ".

- " حتى استطاعت ان تنجو بنفسها اخيراً ".

- " ما لم اعمل له حساباً ، هو أن تحرض " رونزو " على اللحاق بها . لكنك في قبضتي الآن ، لن ادعك تهربين . فلتحذري ، وإلا فساسند إليك المزيد من العمل الذي لا ينتهي ، حتى تقعي من الإنهاك في آخر الليل . ولا تستطيعين فعل شيء سوى الإخلاد إلى النوم . وأؤكد لك ، انك لن تجدي القدرة ، لعمل مزيد من السخافات في " بسكاتوري " ".

- " إنك تغالط تماماً ! ".

- " من منا اكثر مغالطة ، إنك إن حاولت الظهور بمظهر الباكية البائسة امامي من جديد، فسيسعدني أن اعالجك من هذا الداء بنفسي. هذا الزي الذي ترتدينه ، لم يعد لكي تذهبي به للاسترخاء تحت اشعة الشمس . إنك لاتستحقين إلا أن اعاملك بإحدى طرقنا الإيطالية لعقاب الفتيات الحمقاوات، حيث آخذك إلى الحمام ، لأعطيك حماماً جيداً بنفسي ، ثم اقوم بقص شعرك هذا الاشعث المنكوش ! ".

- " لن تجرؤ على هذا ! ".

وراحت " ليا " - وقد غطاها الخجل - تلملم خصلات شعرها التي افلتت من رباطها ، فجمعته من جديد ، لتعقفه كما تفعل .

- " اتراهنين ؟ ".

اخذ يتفرس فيها بإصرار ، واثقا من نفسه . مد يده نحو رقبة قميصها ، واعاد ربط الزر الذي كان مفتوحاً. تباطات اصابعه ، بوقاحة ، فوق ثوبها ، واضطرت إلى أن تتقهقر خطوة إلى الخلف لتتخلص منه . فنظر إليها بعينين مشتعلتين .

- " ساكسب الرهان بكل سهولة ".

اخذ يواصل بصوت هامس متوعد .

- " هيا بنا ، لنعد إلى العمل ، واستمعي إلي جيداً : غداً ستقودين المجموعات وحدك ، وساتابعك طوال اليوم ، لاتاكد من انك قد حفظت درسك جيداً ".

احست " ليا " برجفة شديدة ، عندما لامستها يده .

- " ايها المتوحش "

قالت ذلك هامسة إليه .

- إنك مخطئة ، فانا على النقيض تماماً ، من الأفضل لك الا تخالفي اوامري . فانا - إذا اردت - يمكنني أن اجعل حياتك اكثر صعوبة ".

وجهت إليه نظرة تنقد شرراً :

- " كان لدي اعتقاد جازم سابقاً ، ان القوي يجب عليه أن يحمي الضعيف. وانا ، للاسف ، قد وقعت تحت رحمتك ، دون إرادتي . فما كان منك إلا أن اطلقت سهامك المسمومة المريضة . إنك حقاً ، شخص

منحط للغاية !".

أصيبت "ليا" بالدهشة عندما رات ان "ماكس" قد بدا متاثراً بكلامها .

-" إنك لا تفهمينني ...".

-"انتظر تفسيراً !".

-" ليس لدينا وقت ".

-" وقت ! الا تفكر إلا في هذا ، يقال : إنك لا تهتم إلا بدقة المواعيد ، وليس باي شيء آخر !".

-" هذا لا يحتاج إلى ذكاء من نوع خاص . يجب وضع الجمهور في الاعتبار، قبل اي شيء آخر . عندما نقول إن موعد الزيارة سيكون في الساعة الثالثة ، لا يصح ان نجعل الناس ينتظرون ، ثم ، إن حدث وغادرت إحدى المجموعات متاخرة عن موعدها ، ولو لبضع دقائق ، فإن هذا سيربك المواعيد بقية اليوم . لقد تبقى لنا اليوم ، لفترة ما بعد الظهيرة ، زيارتان باللغة الإنجليزية ، وزيارتان بالالمانية ، وزيارتان بالإيطالية ، يجب ان تتم كلها ، دون ان تتضارب مواعيدها . وفوق كل ذلك إنني لا اعتزم ان انهي عملي متاخراً . انت ، ليس لديك ما تفعلينه في فترة الليل ، اما انا فلدي ما اقوم به . هنا ، كل شيء بميقات ، مفهوم ؟".

كانت "ليا" قد اعتادت العمل ، وفقاً لجدول زمني مضغوط ، كان يتحتم عليها إدارة شؤون دار المسنين بكل مشقاتها ، بحيث يحصل كل فرد على خدماته في الوقت المناسب ، التغذية ، الاغتسال .. المراة التي كانت تاتي لمساعدتها ، بهتت لأول وهلة من حجم العمل الملقى على عاتقها . وكان على "ليا" ان تشرح لها كل الظروف ، حتى تفهم اهمية إتقان عملها ، وإنجازه في الوقت المحدد . لم يكن هناك من يعلم مثلها اهمية الإتقان ، واحترام الوقت.

-" سامحني ، معك حق ، لقد اخطات ... كل ما في الأمر .. انك قد اربكتني تماماً...".

-" انت ايضا ، قد اربكتني تماماً ..".

القت إليه بابتسامة بائسة ، لكنه رد عليها بنظرة غامضة :

-" هانت ذي تحاولين إغوائي ثانية ! ".

-" لا ، ابداً ".

وثبتت عليه عينيها اللوزيتين الواسعتين ، تحاول ان تثبت له بنظراتها الصامتة براءتها . وقست فجاة تعبيرات "ماكس" التي كانت قد اصبحت اكثر نعومة ، فاحست "ليا" باليأس . ها هو ذا يجنح ثانية إلى خلاعته المعتادة .

-" ادرسي جيداً المذكرة التي اعطيتها لك ، امامك كل الوقت المتبقي من اليوم . ابحثي عن مكان هادئ في الحدائق ... او الأفضل ، ان تذهبي إلى الحديقة الخاصة ، لقد اشرت لك على مكانها . يجب ان تحلي مكاني من الغد ، لدي اعمال مؤجلة لا نهاية لها . احفظي كل شيء عن ظهر قلب ، لقد رايت اليوم ما يكفي لأن تجيدي التصرف وحدك غداً".

وانصرف من امامها في الحال ، ليلحق ببقية الزيارات . القت "ليا" نظرة على تلك الأوراق المصورة التي بيدها ، واتجهت إلى الحديقة الخاصة . كانت تدخلها للمرة الأولى .

شغلها ذلك الحال الذي رات "ماكس" عليه ، بسببها . إنه مشتت بين قوى كثيرة ، اشخاص كثيرون يعتمدون عليه ، عليه وحده : موظفوه بانجلترا ، عائلته، موظفو قصر "مازاردي" .... إنها مسؤولية طاحنة ، بالإضافة إلى الخوف من حدوث فضيحة عائلية ، مما زاد الموقف صعوبة وتعقيداً . وبمرور الوقت استسلمت لذلك الجمال وهذا الهدوء بالحديقة . صفوف متراصة من الأشجار الباسقة ، تشابكت اغصانها ، تحيط بتلك البقعة الساحرة ، فتعزلها تماماً عن بقية المكان . راحت تسير في طرقاتها، تتعرف على اشجار الليمون والبرتقال التي ازهرت ، وتلك النبات الرشيق ،الذي لم تستطع ان تستحضر اسمه في ذاكرتها .. ارتسمت ابتسامة رقيقة على شفتيها ، عندما هداها سيرها ، إلى بحيرة صغيرة ، تطفو على سطحها النباتات المائية بازهارها ذات اللون الصدفي .

رات في هذا المكان ، زوجين من الطاووس ذوي ريش ابيض خلاب، يقفان بجوار اريكة ، حيث تقف سيدة مسنة ، تمد لهما يدها بالطعام

وبجوارها حقيبة بلاستيكية بها بقايا غدائها ، حيث تطعم الطيور منه . رأت " ليا " أن من الأفضل أن تعينها ، فتوصلها إلى حيث هي ذاهبة .

- " صباح الخير " قالتها وهي تبتسم " إنك تجلسين الآن في حديقة خاصة ، ينبغي عدم المكوث فيها " .

- " معذرة ؟ "

سألتها السيدة العجوز باللغة الإنجليزية . سر " ليا " أن تتحدث بلغتها الأصلية، وأمسكت ذراعها برفق .

- " إنها حديقة خاصة " .

- " أعلم ، إنها في غاية الروعة ، أليس كذلك ؟ "

لم تستطع " ليا " أن تمنع نفسها من الابتسام : هذه المرأة تشبه السيدة " باكر " .

- " تعالي ، ساصطحبك إلى مكان آخر " .

- " ولكن ، لماذا ؟ هل السماء ستمطر ؟ من أنت ؟ "

- " ليا " إنني إحدى المرشدات بالقصر " .

- ساعديني . إذن عليّ الجلوس هنا ، فساقاي لا تقويان على حملي مدة كبيرة " .

راحت " ليا " تفكر : بإمكان هذه المرأة المسنة المكوث برهة من الوقت فهي لن تزعج أحداً، ويبدو عليها بوضوح أن ساقيها لا تحتملان الوقوف مدة أطول.

جلستا متجاورتين على الأريكة ، ولبثتا برهة تتأملان الخضرة ، وقد ارتسمت ابتسامة سعيدة على شفتيهما . كانت الحديقة الفاتنة تخلب كلا منهما .

- " المكان في غاية الروعة " . قالتها " ليا " وهي تتنهد . فيما عدا الأوراق الذابلة التي تملأ المكان ، هذا إهمال من البستاني . ألا يرى كل هذا ؟ . مدت يدها لتلتقط بعض أوراق شجر السنط ، وراقبتها " ليا " وهي تكسر تلك الأوراق الذابلة بيدها . كانت دائما تحاول خلال تجوالها ، ألا تطأ سوى الأوراق اللينة التي لا تحدث مثل هذا الصوت .

- " يجب عليّ أن أبدأ بقراءة المذكرات . فإنه يتحتم أن أحفظ تاريخ

عائلة " مازاردي " ، عن ظهر قلب " .

- " آه ، العائلة ! ذلك التاريخ الذي يمتلئ بالسعادة ، كما يمتلئ بالآلام... "

ثم أضافت بحزن :

- " لقد فقدت طفلي " .

- " إني آسفة لسماع هذا .. "

امتلأت " ليا " بالشفقة نحو المرأة المسنة، أخذت تحدثها عن حديقتها في " انجلترا " ، حتى تغير مجرى الحديث . ودون أن تشعر وهي تجيب عن أسئلتها ، راحت تروي لها كل شيء عن " ليونيل " ، وعن أمها ، وعن عملها . قاطعهما مجيء أحد الخدم وهو يمشي بخطوات سريعة عبر ممر ضيق . كانت " ليا " - أثناء تلك اللحظات العابرة - قد نسيت تماماً أين هي الآن . كانت تشعر كما لو كانت في دارها ، يحيط بها هؤلاء الذين طالما أحبوها . شعرت أن الأمر الذي أصدره " ماكس " ، كأنما قد أسقطها أرضاً . أحنى الخادم رأسه باحترام ، وتقدم نحو المرأة المسنة :

- " السيد " مازاردي " ، يسألك المجيء للانضمام إليه في الصالون " .

تنهدت " ليا " ، واستدارت نحوها وقد ارتسمت ابتسامة على وجهها.

- " لا تهتمي . إنه مالك المكان ، لابد أنه رآك تدخلين إلى الحديقة الخاصة، وأني قد تركتك تفعلين ذلك ، لا تخشي شيئاً ، إنه لن يجرؤ على معاملتك بطريقة غير لائقة " .

- " إنك رقيقة للغاية " .

اصطحبها الخادم ، حاملاً تلك الحقيبة البلاستيكية ، التي كانت المرأة العجوز تعلقها على كتفها . مرا خلال العديد من الأبواب ، حتى وصلا إلى حجرة صغيرة رائعة الجمال لم تطأها أقدام " ليا " أبداً ، وبدخولهم ، وقف " ماكس " ، الذي كان يجلس على مقعد وثير من الديباج المذهب ، أسرعت " ليا "، لتشرح له الموقف ، دون أن تدع له الفرصة ليفتح فمه .

- " استمع إليّ يا " ماكس " ، اعلم جيداً أنه كان من واجبي أن أدرس تلك المذكرة ، وأن تلك السيدة ليس من حقها دخول الحديقة ، ولكنها

كانت لا تقوى على مواصلة السير . إنه خطئي انا ، فدع هذا الامر يمر بسلام دون ان تضايقها ".

- " فتاة شابة رائعة تماماً ".

قالتها المراة المسنة وهي تربت على ذراع " ليا ". ثم استدارت جهة "ماكس" وقالت له :

- " الطاووس بصحة جيدة للغاية ".

انقطعت انفاس " ليا " لم تكن الفتاة المسكينة تفهم شيئا مما يدور امامها . شبك " ماكس " ذراعيه فوق صدره ورد بجفاف :

- " هذا لا يدهشني ، طالما تعطينه كل ما تبقى من خبزك ...".

- " انا افعل ما يروق لي ".

كانت " ليا " في ذهول ، بينما اقتربت المراة المسنة من إحدى الارائك، وجلست وهي تخرج زفرة الم قصيرة .

- " كن لطيفاً معها ، ارجوك "

كانت تهمس إليه باطراف شفتيها .

- " إنها لا تستحق ذلك ، لقد جعلت الطاووس بديناً . حسناً ، لم يتبق امامي إلا ان اقدم لها الشاي ".

نظرت إليه " ليا " بدهشة . هل يعتزم حقاً، دعوة تلك المراة المسنة التي بدا يغيب عقلها ، إلى قدح من الشاي ؟ ليس هذا من طبعه دون شك ! همست إليه :

- " لا تسخر منها ".

- " لن اجرؤ على هذا "

اجابها بنفس نبرتها الهامسة. فقاطعتهما الضيفة الغريبة وقد فقدت صبرها:

- " بماذا تتهامسان إذن ؟ اخشى ان يكون شيئاً شريراً ".

ورفعت راسها لتلقي بنظرة نحو " ليا "، بينما دخلت إحدى العاملات ، تدفع عربة متحركة .

- " رائع !" كان واضحاً انها تتحدث إلى "ليا "، بينما تتجاهل "ماكس"، إني لا املأ معدتي بالطعام عن آخرها وقت الظهر . لكني لا ارى اي شراب هنا، صبي لي قدحاً صغيراً ، إنك لملاك ".

نظرت "ليا " نحو " ماكس " ، فاسكتها بإشارة من يده . ثم هز رأسه بالنفي للعاملة ، فانصرفت .

- " الشاي افضل لصحتك . إنك تعلمين تماماً ان الطبيب منعك من الكحوليات ياجدتي ".

قفزت " ليا " من مكانها ، هل نطق " ماكس " بهذه التسمية ليسخر من المراة العجوز ، ام ان هذا هو الواقع .. إن هذا يفسر ما بدت عليه من انها تتصرف بحرية ... ابتسم " ماكس " لما راى الحالة التي بدت فيها ، وكانها شبه ضائعة، تائهة.

- " ارى اني لم اقم بعد بتقديم كلتيكما إلى الاخرى . جدتي ، اقدم لك "ليا باريش" . "ليا" ، اقدم لك الكونتيسة " دافني مازاردي .

شدت " ليا " على يد الكونتيسة ، وقد احمر وجهها من شدة الارتباك. ها هي ذي تبدو كعادتها في غاية الحماقة ، كان بمقدور " ماكس "، ان يزيل كل لبس في الموقف ، بطريقة اسرع ، على اية حال ".

- " باريش " قالت الكونتيسة " . هل انت إحدى قريبات " سيلينا باريش " الفاتنة ؟ " .

- " إنها اختي ".

احست " ليا " ان المراة المسنة تميل إليهما .

- " إنك تشبهينها ".

- " لا ، انا بالتاكيد اقل جمالاً "

- " خطا يا عزيزتي ، إنك انت اجمل شيء في العائلة . فلك ابتسامة لا تقاوم. لقد جعلتني اتذكر صغيري " رونزو " .. صغيري المفضل إنه نسخة من زوجي، رجل رائع جذاب . لقد اعطيناه نفس اسم ابيه ".

كانت تتكلم كانما " ماكس " ليس حاضراً معهما ، فصدم ذلك " ليا " صدمة عميقة : لما لاحظت لمسة الاسى التي غشيته ، وهو يستمع إلى تلك الكلمات . ثم قال لجدته ببرود ".

- " اشربي إذن الشاي ".

- " ارفض ان يامرني احد بشيء . اظن ان ميعاد قيامك بالجولة التالية قد حان ، اليس كذلك ؟ اتمنى ان تقوم بعملك بصورة طيبة . مادمت قد اجبرت صغيري " رونزو " على الرحيل مع " سيلينا "، فلا بد

أن تضطلع بمسؤوليات القصر ، إلى أن تجد من يحل محله ".

أحست " ليا " بما كان " ماكس " يبذله من مجهود ، ليحتفظ بهدوئه . لقد رأت الكثير هنا ، ولم تعد بقادرة على رؤية هذا المشهد الذي يحدث أمامها الآن .

- " إنك تكرهينني دائما ، لاعتقادك اني لا اهتم بك أبداً ؛ لقد عرض " جيد " أن يحل مكاني هنا ، لقد واتته تلك الفكرة أثناء فترة الغداء ، وهو يستمع إلى ما تقولينه عني . إنني مهما فعلت هنا ، فلن يروق عملي لك ، منذ أن عدت ، وانت تصرين على إبعادي عنك ".

- " منذ أن كنت صغيراً ، لم تسبب لنا سوى المتاعب والآلام . أما " رونزو " ، فهو مختلف تماماً . لقد كان دائما ... ".

- " حسناً ، أعلم ذلك . سنتحدث في وقت آخر ، بعد إذنك بالتأكيد ! "

قامت الكونتيسة بإباء ، وقد امتلأت عظمة ، حتى انست الناظر إليها ، تلك الملابس العادية التي ترتديها ، وشعرها الأشعث .

- " هذا الشاي لا طعم له ، والصحبة لا تبعث على السرور أو البهجة . فلتعثر على ابني الصغير ، ولتعتذر له ، هذا هو كل ماأسالك . ستحاول اتهامه بالهروب بجواهري . لكن هيهات ، إنه لا يفعل مثل هذه الفعلة ، يجب أن تعلم ذلك ، وارجو أن ترحل بمجرد عودته ، أيها الجاحد! ".

واستدارت جهة " ليا " ، التي امتلأت بالخوف من المشهد الماثل أمامها .

- " احترسي منه ، فلا قلب له . صدقيني ، إني أدرك تماماً ما أقول ".

ثم غادرت الحجرة ، تاركة وراءها صمتا ثقيلا . " ماكس " ، كان من الواجب الترفق به ، لقد كان وقع كلمات جدته في نفسه اليماً موجعاً . حاول إخفاء مشاعره ، لكن عندما أخذ يصب لنفسه الشاي ، رأت " ليا " يديه ترتعشان .

- " إن جدتي لا تدري ما تقول عندما تتحدث ، إن كلامها لجارح ".

- " إن النساء المسنات غالبا ما يتحدثن صراحة وبلا مناورة ، تخرج الكلمات من أفواههن قبل أن يفكرن فيها . يعتقدن أن كلامهن لن يفهم إلا إذا أخرجنه موحياً مصوراً لكل شيء بدقة ".

- " ما معنى كلامك ؟ " .

- " أرى - من وجهة نظري - أن لك عندها منزلة كبيرة ، منذ بداية حديثها ، كانت تريد باختصار أن تعبر لك عن عدم رضائها . أما في أعماقها ، فلا تملك سوى الإعجاب بك ".

- " لا بالتأكيد . إنها لم تغفر لي أبداً ، أن رفضت إدارة الأملاك هنا ، لقد كان حلم زوجها العزيز ، أن يفتح الحدائق لزيارة الجمهور ، ولم تحتمل أن أرفض حمل العبء وتحمله . إنها إنجليزية الأصل ، لا شيء عندها أفضل من حديقة جميلة . لم تفهم أبداً ، ولم تحاول أن تفهم ، أسباب رحيلي ".

- " لا يمكن أن يكون هذا هو التفسير الوحيد لتحاملها عليك ".

- " لا ، الحق معك ، في الحقيقة ، أنا المخطئ إلى حد ما . كل الأسرة كانت تفضل " رونزو " . عندما كان صغيراً ، كان طفلاً مدللاً ، أبقوه بالمنزل مع مربية ترعاه ، بينما أنا أكاد أموت ضجراً ووحدة في إحدى المدارس الداخلية . وعندما أعود ، لا استطيع أن أفعل شيئاً لألفت نظرهم إليّ قليلاً . لم يكونوا يرون سوى " رونزو " : يداه باردتان ، لونه شاحب ، كل أحواله كانت تحت المراقبة والملاحظة . وبرغم كل محاولاتي ، بقيت في الظل ، منبوذاً ، مهملاً .

انتهى بي الأمر إلى الدخول في مشادة مع والدي ، حيث أخبرته أنه سيفسد أخي بمعاملته تلك له ، كما لو كان طفلاً مدللاً لن يكبر أبداً . وفي نهاية المطاف ، قمت بقطع جميع الجسور ، وبنيت حياة خاصة بي في الخارج ".

- " أولم يقوموا بإعداد " رونزو " ليرعى نجاحهم ويحافظ على ثروتهم؟ ".

- " نعم ، لم يقدر أبي على تنمية قدراته . ولم يكن " رونزو " - عملياً - على علم بأي شيء . ففضل أن يقضي أغلب وقته مع أصدقائه ، عن أن يعمل ".

- " إنه لشيء محزن .. إذن ، عندما حانت اللحظة الحاسمة ، لم يستطع مواجهة الأمور ؟ ".

- " لقد كانت مسؤولية كبيرة جداً بالنسبة له ، فامتلأ . المسكين

خوفاً ، ينبغي القول إنه هو الضحية . فحتى عندما أراد الاضطلاع بشؤون العائلة ، لم يدعه ابونا يفعل ذلك . لقد تم تدليله بشدة ، ولم يكن ذلك خطاه ، لكن ها هي ذي النتيجة ".

-"هذا الأمر مشابه لما هو حادث لدينا. فلقد كانت "سيلينا" دائما هي الابنة المختارة المتميزة ، الكنز الصغير المدلل ، الشقراء الجميلة الرقيقة، التي لا تحتمل ان تتسخ يداها. لقد عملوا معها كل شيء، حتى حولوها إلى إنسان غير مسؤول. ومع ذلك فإن بداخلها اشياء اخرى...".

-" إنك لفي غاية الكرم . لقد رحلت "سيلينا" إلى المغامرة ، اخذت تلقي بالأموال وتبعثرها هنا وهناك ، في كل مكان ، بينما كان عليك البقاء بالدار ، لتقومي وحدك بالعمل ".

-" ولكني احب هذا العمل ، وأؤديه بإتقان ".

-" ربما ، ايضا ، لم تتح الفرصة امامك ، لتجربي شيئاً اخر ...".

كم بدا رقيقاً ، حين شعر بتفهمه إياها .. لم تتصور " ليا " ابداً ان يتمكن رجل غريب من الغوص بهذا العمق خلال مشاعرها واحاسيسها الخاصة... ان يمتلك ذلك الحنان الخطر ، وتسمح له بذلك .

-"يجب ان اذهب لأبدأ الاستذكار، اراك على خير. شكراً على الشاي!".

-" بل انا الذي اشكرك ، يا " ليا " ، لقد عرفت الكثير عنك ، اليوم . وإني احب ان نواصل ذلك الحديث ، احب ذلك بشدة ، أيمكننا تناول العشاء معا ؟ يمكننا الذهاب إلى " استريزا "....".

لم تملك " ليا " مجرد التفكير في الأمر ، لم تكن حرة . كانت تفكر وهي مفتونة، ففكرة تناول العشاء ، إلى جواره ، متقاربين، متلاصقين، من الخطورة بحيث لا تعلم كيف ستكون عواقبها ، لو تركت نفسها تذهب إلى هناك ، لتلتقي بأسرها وسجانها الفاتن ، لو لم تتمكن من كبح تلك الأحاسيس ، فستضيع حتماً.

-" شكراً ، لا استطيع . إنني مرتبطة بالفعل.. مرتبطة بخدمة المئات من السائحين "

راحت تكمل في سريرتها : و... غداً ؟ .. كيف تجد القوة لتقاوم صوتاً بمثل هذه الحرارة وبمثل هذه النبرات التي تهزها هزاً ؟

واخيراً واتتها تلك القوة .

-" ساكون مرتبطة كل الأمسيات ".

-" حسن ، على الا يؤثر ذلك على قيامك بعملك بالتاكيد ! ".

لن يفيد ان تنظر إليه. كانت "ليا" تدرك ان وجهه في هذه اللحظة ، لابد قد امتلا بالثورة والضيق، حين يجد امراة تقاومه. خرجت من الحجرة بهدوء، ثم اخذت تجري إلى حجرتها، حاملة مذكرة برنامج الزيارة .

عندما حل موعد العشاء ، كانت منهكة . من الغريب ، انهم سياكلون مبكراً في القصر ، فلن تلحق هي بالطعام ، وكان عليها ان تذهب إلى عملها بمطعم " تراتوريا " في السابعة والنصف ، وهي تتضور جوعاً . في تمام السادسة ، كان اغلب العاملين ، يغادرون الجزيرة ، عائدين إلى ديارهم . اما القلة القليلة التي كانت تبيت في المكان ، فقد وجدوا الوقت - بالكاد - للاستحمام وتغييرثيابهم، قبل ان يلحقوا بوجبة العشاء . عندما رات فستان " سيلينا "، راحت تلعن اختها للمرة المائة . على الأقل ، كان بإمكانها ان تترك لها فستاناً اكثر احتشاماً ! ماذا تفعل ؟ اترتدي القميص والجيب اللذين كانت تلبسهما بالأمس ؟ لا : لقد كانا في غاية الاتساخ :

في النهاية، وبسبب ضيق الوقت ، قررت ان ترتدي فستاناً من اللون الأزرق الفاتح ، غير مفتوح الصدر للغاية . الجزء الذي استطاعت رؤيتـه بصعوبة - في المراة - من جسدها ، لاح لها فيه ان الفستان يلتصق بشدة على جسدها . لكن كان عليها ان ترضى بذلك : فلقد كانت الساعة تبلغ السادسة والنصف ، ووجبة العشاء ستبدا . وبينما هي ترتدي احد الصنادل ذا الكعب العالي ، سمعت طرقاً على الباب .

-" ليا " ، هل انت جاهزة ؟ لقد ارسلوني للبحث عنك ".

لما زالت دهشة "ليا"، انفجرت ضاحكة ، وفتحت الباب بابتسامة سعيدة . لحظات ، وستكون في حضرة " ماكس "، حيث تراه مشحونا من جديد ، بداخل هذه الحجرة الصغيرة... .

"صباح الخير ! "

قائلة لهذا الزائر الجديد .

-" اقدم لك نفسي انا " جيد وايت " . كان شابا ذا وجه قد غطاه

النمش ، وقف يبتسم لها بسرور " لقد بعث بي " ماكس " لأبحث عن الطالبة الجديدة ، وقد طلب مني أن أقوم بدور المعلم اليوم ! " .

كانت نبرات صوته مريحة ، وكانت عيناه كبيرتين .

- " لكنه لم ينبهني انك اجمل طالبات المدرسة ! " .

لم تستطع " ليا " أن تمنع نفسها من الابتسام ، لما ظهر من مرحه . أخذ يلتهمها بعينيه ، لكن بدون ذلك التأثير الساحر الذي يتمتع به " ماكس " . بدون ذلك التأثير اللذيذ لـ " ماكس " هل تستطيع أن تضيف غير ذلك؟ أخذ الفتى الشاب يتحدث إليها بغير تكلف :

- " نحن ناكل معا ، فـ "ماكس" يزيل الكلفة معنا : مادمنا قد أصبحنا فريقا واحدا فلامبرر لأن يتعالى طرف على الآخر . الفضل في ذلك يرجع إلى "ماكس" . في البداية دهش الجميع من طريقته المتبسطة في التعامل ، بعد ما رأوه من تكلف والده وتحفظه المعتاد ... " .

عندما وصلا إلى قاعة الطعام الكبيرة، شاهدت " ليا " تلك المائدة الهائلة الحجم ، كما رأتها صباح اليوم ، مزدانة بالكريستالات والفضيات . لكنها الآن كانت تزدحم بالأطباق الشهية التي تنبعث منها الروائح ، وصحبة بهيجة تحيط بتلك المائدة ، وقد انهمكوا في الأحاديث ، كان الجميع يرتدون ملابس تشبه ما يلبسه " چيد " ، البنطلونات الچينز الزرقاء و الفانلات بمختلف الوانها .

استقبلوها بلطف ، ووجد لها " چيد " مكاناً إلى جواره كان "ماكس" يرتدي ملابس من اللون الأسود الفاحم ، وقد فتح قميصه فبدا صدره. رفع رأسه عند وصولها ، ثم واصل حديثه مع خادمه ، " باولو " . وأخذت " ليا " ترقبهما بطرف عينها .

- " إنه عاطفي للغاية ، الا ترين ذلك ؟ "

سألها "چيد" ، ثم قدم لها طبقاً ضخماً من عجائن (المكرونة) ، وراح يواصل :

- " لقد نجح في صناعة نوع من الشراب ، لكنه سيحقق نفس النجاح في أي مجال آخر يديره . هنا تعوقه ظروف في غاية الصعوبة لم يمكنه ذلك من جني ثمار عمل سنين طوال ليجنيها ، كل هذا لأنه أتى لينقذ ما ورثته العائلة ... " .

- " نعم ، اتصور ذلك " .

- " لا يعتقد أحد أنه سيبقى. والكونتيسة العجوز تنتقده بلا توقف، إن هذا ليؤلمني انا نفسي بشدة. اعتقد انه سيرحل بمجرد عودة أخيه من الإجازة. وهذا لايبدو شيئاً سارا، لأنني شخصياً افضل ان يبقى. إنه إداري

متميز ... " .

- " لاشك في ذلك ، لكن هل تحب حقيقة العمل لديه ؟ كن صريحاً . فلا يمكن القول : إنه شخصية لطيفة المعشر ... " .

- " بالعكس . إنه قد يبالغ في انفعالاته أحياناً ، لكنه إنسان طيب للغاية ، وجاد في عمله . إنه باختصار يساند العاجزين عن القيام بواجباتهم على اكمل وجه . إنني لاتساءل ، كيف يريد أن يسلم لأخيه زمام الأمور مرة أخرى ؟ " .

- " وما معنى ذلك ؟ "

- " الكل يعلم أن " رونزو " يبدد كل شيء ، منذ وفاة ابيهما " .

راح " چيد " يخفض من صوته ، وينحني نحو اذن " ليا " :

- " رونزو " لا يدير الأمور بضمير ولا بامانة " .

- "و"ماكس"؟" يدير كل شيء بضمير حي، لا تشوبه شائبة، صارم، لكنه أمين .. يمكن الاعتماد عليه. في الأشهر الأخيرة، اثناء ذلك المرض الذي تسبب في وفاة ابيهما، خلق "رونزو"، اضطرابا لا يوصف. لم يكن احد يقبض راتبه في ميعاده، كل الترتيبات التي كانت تتخذ، تتم بصورة عشوائية: في الحقيقة، إنه كان يفضل التجوال والتسكع هنا وهناك، عن أن يهتم بامور القصر" . و "ماكس" يسعى الآن ليخرجنا من هذه الكارثة.

كما أن هناك اقاويل :إن "رونزو " قد سلب كل ما في الخزانة ، لكن "ماكس " قد أسرع بوضع حد لتلك الشائعات ، ووضع كلا في مكانه " .

واخذ " چيد " يزيد اقترابه نحو " ليا " وقال وهو يهمس لها :

- " إنك قد تشكين في مدى صدق معرفتي بمثل هذه الأمور . لكنه يصيبني بهلع بالغ عندما يكون ثائراً ، ولذلك احافظ على الا يخوض لساني في مثل هذه الموضوعات معه . على كل حال ، سوف تقفز

الحقيقة أمام عينيه عندما ينتهي من التحقق من دفاتر الحسابات . وهذا لن يطول انتظاره الآن ، لأنه يعمل طوال الليالي لينتهي منه . من الواضح أنه لم يعلم بشيء بعد . لكن تلك الحسابات ستجعله يدرك أن أخاه لص، أخاه الذي يدافع عنه بشدة وحمية ! " .

" ليا " ترى الآن الأشياء بوضوح . إنه " رونزو " الذي قام بالسرقة ! سرقة النقود والجواهر " سيلينا " لم تفعل شيئاً . لقد ورط أختها معه في غيه وهو يعدها بمعسول الكلام ووعود السعادة ، والمسكينة البريئة تركت نفسها حتى انخدعت بتلك الصورة المزيفة .

أحست "ليا" بأنها أصبحت تمتلئ عطفاً نحو "ماكس"، فاستدارت إلى جهته . لكنه ألقى إليها نظرة مشحونة بشيء من الاحتقار ، جعلتها تخفض رأسها . لماذا أيضا يمكن أن تكون مذنبة ؟ انقطعت شهيتها فجأة ، فانهت طعامها كالآلة . يجب اقتلاع " سيلينا " باقصى سرعة ، من بين براثن "رونزو"... عندما جاء وقت التحلية ، رأت أنه يتحتم عليها الانصراف دو ن تأخير ، حتى تلحق بموعدها في "تراتوريا" .

لم يبق أمامها إلا تلك المشاعر الكئيبة لتستدين ثمن تعريفة القارب إلى "بسكاتوري". ذلك الموقف يكاد يكون أسوأ من أن تساق إلى الموت.. كيف كانت "سيلينا"، تستطيع احتمال مثل تلك المهانة ، لتحصل على ما تريد ؟

الموت أهون ، اقتربت من " جيد " للغاية ، وراحت تهمس في أذنه :

- " جيد " ... "

- " نعم " .

بدا عليه كأنما يشترك في تدبير مؤامرة ، فلم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام .

- " هل يمكنك إقراضي بعض المال لأستقل القارب ؟ لقد كنت أقيم بالفندق الذي هناك ثم ... " .

ولم تنه جملتها ، آملة ألا يطالبها بالمزيد من الشرح والتفاصيل :

- " سوف أرد لك تلك النقود صباح الغد . إنه من المحرج جداً أن أسالك هذا ، ولكن .. " .

- " لا مشكلة في الأمر . ألا يلزمك أي شيء آخر ؟ " .

- " لا . شكراً ، ألف شكر " .

وألقت إليه بابتسامة ممتنة . أدخل " جيد " يده في جيبه ، فسحب منه بعض الأوراق المالية ، ثم وضعها في يدها من تحت المائدة . ترك يده برهة فوق يد "ليا" ، وغمز لها بعينه " .

- " إنها حقاً ليست بالخدمة الكبيرة ! " .

-"يجب أن أنصرف على الفور، وإلا فسوف أتأخر، إلى اللقاء في الغد".

أخذت تعبر البهو في خطوات مسرعة ، عندما سمعت من خلفها صوت خطوات تدق على بلاط الأرضية . وقفت عند الباب وألقت نظرة من فوق كتفها . كان " ماكس " هو الذي يقترب منها بخطوات واسعة . وفي اللحظة التي أدارت فيها مقبض الباب ، أمسك بها .

- " لا تسرعي هكذا ! "

حاصرها خلف الباب ، واضعاً يديه على جانبي وجهها ، ناظراً إليها ببرود :

- " حسناً ، والآن ، هل قمت بغواية " جيد " ؟ " .

- " معذرة " . لقد شاهدت حيلتك الصغيرة . فـ " جيد " لم ينزل عينيه من عليك . أغلب الظن أنك بدأت الأعيب أختك ! أريد أن أعرف لماذا كان يضع يده تحت المائدة ؟ " .

لم تكن " ليا " تستطيع الآن أن تدخل في دوامة الشرح والتفسير التي لن تنتهي . فلا وقت أمامها لتفعل ذلك . كما أن " ماكس " لن يصدقها أبداً ، على أية حال :

- " لا أفهم . لقد كنا نتحدث ، هذا هو كل ما في الأمر " .

- " هذا هو الأمر إذن ، ووجهك على كتفه ! " .

- " ماكس " ! إنه لم يكن يريد أن يستمع أحد إلى حديثنا ، هذا هو كل شيء " .

- " ليخبرك بموقع حجرته ؟ " .

- " هذا لايطاق ! " .

- " أم أنك قد اقترضت بعض المال منه هو أيضا . وفي هذه المرة ، تم تأجيل الدفع إلى وقت لاحق ... " .

منع يدها بحركة مفاجئة ، تلك اليد التي تحركت رغماً عنها لتصفعه

على وجهه .

وبدا صوته اكثر قسوة :

- " لي الحق في معرفة كل ما يدور تحت سقف منزلي . ستذهبين إلى حجرته، اليس كذلك ؟ ".

- " بلا شك لا ، انا ذاهبة إلى " بسكاتوري " .

- "وماذا ستفعلين هناك؟ من الذي قابلته هناك ساعة الغداء؟ هل كانت تلك المقابلة هي السبب في عودتك متاخرة، وقد طار شعرك في كل اتجاه ؟".

- " هذا جنون ، جنون مطبق !. إنني لم اقابل احداً . إنني متعجلة ، باختصار لأمنع ظالما عنيداً من الاقتراب مني . إنني اقولها للمرة الأخيرة، ولن اكررها بعد ذلك : إني لم اعتد ان القي بنفسي لأول طالب".

- " ومع هذا ، في المرة السابقة ، قابلت احد البحارة اثناء الظهيرة ، وفي نفس المساء كنت تتناولين العشاء بصحبته ! ".

- " كان الأمر يختلف ..."

فابتسم ابتسامة غير مصدقة .

- " إني اتعب نفسي بغير طائل . فلتستمتعي كما تشائين ، ولكني احذرك ، لاتاخير في النوم صباحاً . الفطور سيكون في السابعة والنصف تماماً ! ".

- " ساتي في الميعاد ".

وهنا ادارت المقبض الذهبي الكبير ، لتفتح الباب .

- " إني معجب بنشاطك وطاقتك ! "

قالها بصوت رنان ، تجمدت مكانها ، يائسة . لاتزال غبية حمقاء ! اي انطباع سيىء راحت تعطيه عن نفسها ! لكن ، لم يكن هناك حل آخر يجب إرجاء التبريرات والتفسيرات ، نظرت إليه بعينين متالمتين .

- " لا تنظري إلي هكذا ..."

كان يهمس إليها .

ربما تستطيع ، إذن ، ان تجعله يستمع إليها ، لكن لم تكن تمتلك دقيقة اخرى. بعد نظرة اخيرة ، خرجت مسرعة متعجلة . وصفق "ماكس" الباب وراءها بشدة .

الفصل الثامن

بلغت الساعة الثالثة صباحاً ، عندما عادت " ليا " إلى جزيرة "مازاردي" . طوال الليل ، كان عليها القيام بالخدمة بكفاءة ، تسرع في تلبية طلبات الزبائن بابتسامة لا تفارق شفتيها ، لأنها كانت تعتمد بشدة على إكرامياتهم السخية ، حتى تضاعف من دخلها . لم تجد الوقت لتغيير هذا النعل ذي الكعب العالي ، فكانت تشعر بقدميها تؤلمانها بشدة . اسوا الأمور كان عملية غسل الصحون ، التي لم تبداها إلا في وقت متاخر للغاية ، كانت تعاني الإعياء ، وتحاول إبقاء عينيها مفتوحتين بصعوبة . اما عقلها فقد اصبح يفكر ببطء . ثم زاد الطين بلة ان كان عليها انتظار قارب المعدية ساعة كاملة إلى ان وصل . اكثر من اي وقت، اخذت تلعن " سيلينا"، وتغلغل بداخلها حقد عنيف عليها . عندما هبطت من القارب ، بدا لها الطريق حتي حجرتها اشبه بصعود جبل ، لا تكاد ترى له نهاية . عبرت الجسر الخشبي الممدود إلى اليابسة وكانت تترنح ، ثم اخذت طريقها صاعدة إلى القصر بخطوات متخاذلة متهالكة . ثوب " سيلينا " المشدود عليها ، الملتصق بجسدها ، راق لاعين الزبائن بدرجة كبيرة ، لكنه كان يضفي على

www.elromancia.com

مشيتها هيئة خليعة كانت تمقتها . اخيراً اصبحت وحيدة ، فرفعته إلى ما فوق ركبتيها ، كي تستطيع السير بحرية فلا يعوقها . اما رقبتها من الخلف ، فقد كادت تختنق من جديلة شعرها العريضة ، ففكت الرباط ، وخللت بيديها خصلات الشعر كي ، تحرره لينطلق حول وجهها ، ثم واصلت مسيرها في الظلام . عندما رفعت رأسها ، رات فجاة شبحاً اسود ، يقف بلا حراك ، ينتظرها عند مدخل السلم .

-" مازاردي " ... هذا كثير .

تثنت ساقاها من تحتها ، انزلقت ببطء على الأرض ، وقد اختفى وجهها خلف ساتر من جدائل شعرها . وبهدوء سمعت خطوات تقترب نحوها . لبث يتاملها وهي في مكانها هذا طويلاً . احست به وقد جن جنونه ، انتظرت ، وهي لا تحتمل ، ان تهب العاصفة . فكرت فيما سيفعله ، سيتهمها بكل اتهام ، سيصيح في وجهها ، سيتوعد ويهدد، سيجبرها على مواصلة المسير ، يدفعها دفعا للأمام .

-" هل كان حبيبك هذه المرة اكثر نهماً وإنهاكاً وعنفاً ، عن المرات السابقة ؟". اخترقتها كلماته . بقيت جالسة مكانها دون ان ترد عليه ، وجسدها يرتجف من التعب .

-" هيا ..." .

رفعت " ليا " راسها ، لما احست الأمان في صوته . مد لها يده ، فاضطرت للتشبث بها وهي قائمة ، حتى لا تقع . اخذ يسندها ، وهو يبقي نفسه على مسافة منها ، كما لو كانت مصابة بوباء ، وراح يقودها إلى المنزل ، في سكون مغلف بالغموض . فجاة توقفت " ليا " بقي لها شيء واحد لتفعله .

-" انتظر ..."

وبيد مرتعشة تناولت شيئاً من جيبها ، ثم مدت يدها به إليه .

-"تفضل، هذه هي النقود التي قد اقترضتها منك ". فضرب يدها بحركة عنيفة، فطارت النقود وتناثرت على الأرض، ثم - وبدون ان يفسر لها شيئا- اخذ يدفعها بقسوة داخل البهو. فجاة فهمت "ليا"، والتمعت عيناها بالخوف إنه يظن انها قد حصلت على ذلك المال الآن، وانها كانت مع احد الرجال! كان ذلك اقوى من ان تحتمله، فغشي عليها.

عندما استعادت وعيها ، وجدت نفسها داخل غرفتها ، وكان الوقت لا يزال ليلاً . لم يكن يضيء المكان سوى اشعة ضوء القمر التي تسللت

إلى فراشها . اخذت تنظر حولها ، ثم افلتت منها صيحة : كان هناك شبح يقف بجوار الفراش ، امامها .

-" صه ! إنه انا .. كان " ماكس " يحدثها . وعاد إلى الجلوس على المقعد ، الذي كان يضعه بجوار فراشها ".

-" هذا يشعرني بعدم الأمان فلا يطمئن قلبي ".

-" إنك لمخطئة تماما . "

وضعت " ليا " يدها فوق جبهتها ، وجال بذهنها كل شيء ، وكل الصور ، فجاة : ذلك الطريق المتعثر الذي لا ينتهي ، وتلك الالفاظ الشنيعة المتهمة التي نطق بها ...

-" من صعد بي إلى هنا ؟ ".

-" انا " رفعت الملاءة حتى رقبتها ، لتحتمي بها . كانت تشعر بانها لاحول لها ولا قوة بين يديه ! اغمضت عينيها ، واحمر وجهها خجلاً .

-" كيف تجرؤ على ان تخلع عني ملابسي ؟ ".

-" لم اتعد حدود الأدب ، صدقيني ، والآن ، استمعي إلي ، ساعطيك نصيحة كثيرا ما نصحت بها " سيلينا " .

-" احتفظ بنصائحك لنفسك . سانام " .

واستدارت لتهرب من نظراته، لكنه اجبرها بعنف على ان تبقي وجهها إلى جهته .

-" لا. ستستمعين إلي، إنك تبخسين من قيمة نفسك يا"ليا". باعماقك، انا اعلم انه توجد إنسانة طيبة، وهذا لا ينسجم مع مسلكك الذي تسلكينه الآن. كل رجل جديد تقابلينه يا"ليا" تفقدين معه جزءاً من نفسك . إني اتوسل إليك ، ان تمتنعي عن تلك اللعبة الحقيرة ، قبل فوات الأوان!".

انتابتها حركة فجائية ، كانت تشعر انها لاتطيق مثل هذا الاتهام :

-" اخرج من هنا ! ".

وبجنون احمق ، اخذ يجذبها من ذراعها لتعتدل جالسة ، ناسياً انها عارية .

انزلقت الملاءة، فانكشف جسدها الابيض الذي تضيئه اشعة القمر بنعومة. احتبست انفاسها، ترك ذراعها، كانما قد احرقه ملمسها. بعد لحظة، كان كل منهما ينظر إلى الآخر، وقد اشتعلا بنفس الرغبة. ثم نهض دون ان ينطق بكلمة، وغادر الحجرة صافقا الباب وراءه .

انكمشت "ليا" في الفراش، منهكة، ابادها ذلك الانفعال الصاعق المفاجئ.

ابداً ، لم تشته رجلا كما اشتهت " ماكس "، يجب ان تتقبل هذا ، فقد تاخر الوقت ، إنها تحبه . ومع ذلك يجب ان تقاومه . كيف تقنعه بطهرها ، إن هي قضت الليل بين ذراعيه ؟

لا ، يجب باي ثمن ان تكبح رغبتها ، رغم ذلك ، اتركت بدهشة شابها الارتباك والحيرة ، انها تريد قبل كل شيء : ان تفقده صوابه ، ان تدفعه إلى الهوة ، حتى لا يقدر على مقاومتها ، حتى يحتويها بين ذراعيه ، ويعانقها فينسى الدنيا وما فيها ... الآن ، اصبحت تفهم "سيلينا" ، تفهم معنى ان تغرق في الحب فلا تشعر بسواه ، ان تلتصق برجل . اصبحت تدرك لوعة هذا النوع الغريب من الجنون . هذا إذن هو الحب ، هذا الهذيان الذي يؤدي إلى الفجور والعربدة لتحل محل كل ما هو مثالي وحكيم في البشر .. لم يدركها النوم إلا في الخامسة صباحاً . لم يبق امامها سوى ساعتين لتنامهما . لكن قبل ان تغلق عينيها ، كانت قد اتخذت قراراً، ان تشرح كل شيء لـ"ماكس" في الغد . تلك الفكرة - إن اخطات في الحكم عليها بدقة - فلن تتحمل نتائجها، وسيكون ثمنها هو سمعة " سيلينا " .

في صبيحة اليوم التالي ، هبطت إلى الشرفة ، بجفنين منتفخين متعبين . يبدو ان جميع الموظفين قد تناولوا فطورهم وراحوا يتجانبون اطراف الحديث ، لكن " ماكس " فقط هو الذي لم يكن هنا . انتظرت " جيد " ، الذي اقترب منها وهو يحمل الصينية :

- " اين " ماكس " ؟ " .

- " لا تشغلي بالك ، سيمر كل شيء على خير . معذرة ! . لقد اعتقدت انك تشعرين بالخوف من ان تبدئي بالزيارات السياحية وحيدة ، الم تشاهدي الجدول ؟ إنه انت التي ستقومين بالجولة الأولى ، في الساعة التاسعة . وسينتهي جدول عملك في الخامسة مساء سترين ، ستعتادين الأمر بسرعة ، ثم إن وجدت اي نقص في معلوماتك ، يمكنك دائما الرجوع إلى المذكرة التي معك".

- " اليس موجوداً هنا ؟ " .

- " نعم ، لقد رحل إلى " ميلانو " يبدو انها رحلة عمل " .

اسرعت " ليا " باحتساء قهوتها ، كانت تشعر بشيء من الارتياح :

فهو لن يكون موجوداً ليراقبها في اولى جولاتها وحيدة ، وامتلأت بالندم : أن ترى ضرورة تاخير ساعة الإقرار والاعتراف . عملت طوال اليوم بجد واجتهاد، مترددة في اول الأمر واقل ثقة مع السائحين ، وبمرور الوقت بدات تتفهم السلوك الصحيح ، والكلمات المناسبة لجذب انتباه الحاضرين . الإرهاق كان يؤلم عينيها كانما تطفو فوق سحابة ، منهكة .

ساعة الغداء، استقلت قارب المعدية ، وذهبت لتسدد جزءا من فاتورة الفندق، ثم لم تجد دقيقة واحدة للراحة حتى جاء موعد العشاء، حيث اخذت تجيب - مشتتة الذهن - عن اسئلة " جيد "، الذي كان لايتوقف عن الكلام . كانت تفتقد " ماكس " ، بدونه ، بدا كل شيء غثاً تافهاً ...

ليلتها الثانية في المطعم كانت اقل إيلاماً : اخذت تتاقلم بمرور الوقت مع المكان، لكنها لم تشعر بذلك حقاً إلا عندما اقترب بزوغ الفجر، حيث عادت إلى القصر وقد اثقل النوم جفنيها . فجاة ، ومع اول خطوة تخطوها نحو حدائق القصر ، داهمها شعاع ضوء قادم من جهة البحيرة . كانت اضواء قارب صغير . اخذت تنظر إليه ، وقد تركز بصرها على نافورة الماء المنبعثة من ورائه ، ثم تابعته بنظرها وهو يواصل طريقه دون توقف قادماً نحو الجزيرة ، حتى استمعت إلى صوت " ماكس " الحديدي ينبعث من خلفها :

- " حسناً ، ليلة شاقة اخرى من العمل ؟ امتعبة ؟ " .

لم تكن - حقا - باللحظة المناسبة للجدال معه ، فهي لم تكن تتمنى الآن سوى الوصول إلى فراشها . عضت على شفتيها تمنعهما من الإقرار القاطع وراحت تواصل طريقها ، وقد قررت ان تنهي هذه المهزلة وتضع لها حداً في الغد .

عندما نهضت من نومها ، ارتدت ملابس اكثر احتشاماً ، حتى لا يجد اي مجال لا نتقادها . لكنه لم يكن موجوداً على الفطور ، وفهمت انها لن تجد الفرصة للحديث معه قبل بدء الجدول اليومي . ازدريت عدة لقيمات بصعوبة ، وقد انشغل بالها حيث لن تلقاه إلا في خضم الجولات اثناء النهار . انهمكت في العمل ، ولم تره إلا للحظات قصيرة عندما رات وجهه يراقبها من داخل الصالة . برغم تعبها فقد قامت بعملها بجد وقوة ، ولم تجد إلا لحظات نادرة لتلتقط انفاسها . بعض الزائرين كانوا يتركون اطفالهم يرتكبون حماقات مزعجة ! غالباً كان

"ماكس" موجوداً هنا ، يتابعها بنظراته الباردة ، كانما يريد ان يحسب عليها اي خطا ، فبذلت كل جهد ممكن وتحملت كل آلام الدنيا ، حتى لا تفقد هيبتها.

خلال ثلاثة ايام طوال منهكة ، كان يتحاشاها ، ويتجنب لقاءها . إن حدث وتلاقت نظراتهما ، فلا يكون ذلك إلا وسط السائحين . اما هي فلم تعطه الفرصة - ابداً - لينتقدها .

تمكنت " ليا " - مرة واحدة - من الاتصال بذويها ... كل شيء كان على ما يرام ، ولم يظهر اي اثر لـ " سيلينا " .

كانوا يفتقدون " ليا " بشدة ، على الرغم من ان المراة التي تعمل مكانها الآن، تؤدي عملها على ما يرام . فلم يكن هناك من هو افضل منها دراية بالتعامل مع نزلاء الدار ، حيث تجالسهم وتتجانب معهم اطراف الحديث ، كانها عائلة واحدة كبيرة . " ليونيل " - بفكاهته المعهودة - اخبرها انهم لا يفتقدون سوى كعكتها بالشيكولاتة ، وتمنى لها قضاء إجازة سعيدة . انهت المكالمة وقد امتلأ قلبها سعادة . ولا تزال "سيلينا" مختفية .

بمرور الوقت ، اضعف إيقاع العمل المتواصل مقاومتها ، ففي اليوم الرابع لم تستيقظ في الموعد المحدد . وليعاقبها ، امر " ماكس " ان تقوم باقتلاع الاعشاب الموجودة اسفل النخيل .

القى إليها الأمر بجفاف، جعل "ليا" تشعر ان الفرصة لا تتناسب، لتطلب منه الإذن بالحديث معه. ولكن متى تواتيها تلك الفرصة؟ لقد اصبح الموقف الآن، عسير الحل. لقد كون رايا عنها ، رايا كريها، وراح يحرص على الا يتصادف وجوده معها منفردين. من جهتها، لم تكن "ليا" تتوقع الكثير من وراء اعترافاتها. فعقلها الذي كان مثقلاً بالتعب والإنهاك، صور لها ان كل شيء قد قيل بالفعل، وان تجاهله لها لن يغيره بعض تفاصيل اخرى تدلي بها في هذا اليوم بالذات ، كانت مجبرة الا تحضر وجبة العشاء، كان امامها الكثير لتفعله اثناء نصف الساعة المتبقية قبل ان تذهب إلى المطعم . شعرت باليأس - لبرهة - من رؤية هذا الطريق الطويل، وهذا الصف الذي لاينتهي من الأشجار المتراصة الذي يتحتم عليها ان تنظفه. سمعت صوت "جيد" من ورائها".

- " حسنا ، اتعملين عملا إضافياً ؟ ماذا بك ، لا ينبغي ان تثقلي

راسك بالهموم ، ما الأمر ؟ ".

- " امر " ماكس " ان اقوم ببعض الاعمال البستانية ، لانني استيقظت من نومي متاخرة هذا الصباح ".

- " هذا إذن هو السبب ، لم اكن اعلم بالأمر ، ولكنه لم يعتد ان يعاقب الموظفين بهذا الشكل ! في الغالب يسمعنا بعض الكلمات الجافة ، ويكتفي بذلك ياله من رجل ! لابد ان الفتيات الجميلات يصبنه بتاثير معين، فإني اتذكر ان "سيلينا" قد عوقبت بنفس الشكل ".

- " ولكنني لست بجميلة .... "

وضع "جيد" ذراعه على كتفيها وهو يبتسم .

- " لقد سمعنا بالأمر ! لا تقتلعي تلك الأعشاب إذن ، تلك الأعشاب الضارة، إنه لن يهتم - حتى - بالأمر ! ".

- " هذا يدهشني ، لقد صور لي الامر كانه مهمة قومية . فلم املك إلا ان اقوم بالأمر بغير اهتمام ... ".

- " لا عليك ، ساساعدك ".

تناول عنها المعزقة ، فلم تبذل " ليا " مجهوداً كبيراً لتمنعه . إنها اجمل هدية، يمكن ان تقدم إليها ، في هذه اللحظة ، كانا يوشكان ان ينتهيا من صف الأشجار ، يعملان معا في صمت ودود ، عندما التقت عينا "ليا" بزوج من الأحذية السوداء اللامعة ، التي تقف في مواجهتها مباشرة ، رفعت راسها ببطء ، فشاهدت ذلك البنطلون الطويل الفاحم ، " ماكس مازاردي" كان هنا ، اكثر قسوة من اي مرة ، رمى بنظرة معاتبة نحو "جيد" ، الذي لم يكن قد راه بعد ، فاخذ يقتلع الاعشاب وهو يصفر لحناً بفمه .

- " جيد " ، إني علي ثقة من انك تحب حديقتي بشدة ، ولكن سيسعدني الا تتدخل في هذا الأمر ".

- " اوه ! اسف ، لقد اردت فقط ... ".

- " إني افهم ، إني افهم . اريد الحديث مع " ليا " ، فهلا تركتنا ؟ ".

وقف " جيد " ، في ذهول .

- " ماكس " ، إني لا افهم لماذا تعامل " ليا " بهذا الشكل " ؟.

- " هذا شاني . إنك تعرفني جيداً ، وبالتاكيد تعرف ان لي اسبابي الخاصة.اتركنا ، من فضلك ".

نظر "جيد" نحو "ليا" نظرة امتلات حيرة من سلوك " ماكس " ، ثم رفع

كتفيه، وابتعد دون ان ينطق بكلمة. القت "ليا" نظرة إلى ساعتها، كانت عقاربها تشير إلى السابعة والثلث، وقد تبقى لها ثلاث نخلات اخريات لتقتلع الاعشاب من اسفلها . فشرعت تواصل عملها بشبه جنون .

- " لقد حنرتك من إشراك " چيد " او اي مخلوق اخر في هذه القصة. إن عاودت ذلك ، فساحيل حياتك جحيما ، أؤكد لك.. "

واصلت "ليا" العمل دون ان ترفع راسها باسرع ما يمكنها . واجابته بإعياء:

- " لقد انتهى العمل بالفعل ".

- " اما من اخبار بعد عن اختك ؟ "

- " لا ! "

غرست المعزقة في كتلة من الاعشاب بحنق . وكم تملكتها الرغبة في هذه اللحظة ، ان تقتلع بها هذا الحذاء اللامع الذي كانه يهزا منها ! .

- " هل لديك خطط اخرى ، لهذا المساء ؟ ".

- " ساغسل يدي وانصرف من فوري ، فلدي ما اقوم به ".

- " فلتنتظري ، دعينا نتحدث ، إني لا افهم ، إنك تمتلئين بالمتناقضات : تؤدين عملك بإتقان ، تبدين ملتزمة ومنضبطة اثناء النهار . تتحدثين جيدا وبصورة طيبة مع الناس ، كما تبدين - عدا بعض الحالات الاستثنائية - صبوراً ووديوداً مع الزوار. ثم في المساء، تلبسين ثوب الشؤم ، فتبدين كامراة ليل ، ولا تعودين إلا مع الخيوط الأولى من الفجر ، وقد بدت عليك اثار الرقص والتهتك طوال الليل . وعلى الرغم من ذلك ، لا تبدين كامراة قد فاض بها الكيل فلتفسري لي ما يحدث ، يا "ليا" ...." ؟

السابعة والنصف ! يجب عليها الانصراف على الفور .. فجاة ، شعرت بالحنق عليه ، فقد عمل على ان يتحاشاها ثلاثة ايام متعاقبة ، ثم ها هو ذا يطلب تفسيرا ، في اللحظة التي هي متعجلة فيها .

- " حسنا ، ! لا ، سانصرف ، لا تهتم بالأمر ، ساكون حاضرة في موعدي لتنفيذ اوامرك الحمقاء . في الحقيقة ، احياناً ما افقد صبري مع الزائرين ، لكن هذا يحدث مع جميع المرشدين . وإن كان هذا سيجعلك سعيداً، فإني أؤكد لك : نعم ، إنك تجعلني تعيسة ، نعم ، لقد نجحت في ان تجعلني اكرهك إلى الحد الذي ، إن استطعت، فساغرس

مغرستي في قدمك ! إذن فلو اني مكانك ، لانصرفت مسرعة ". ثم خفضت راسها وسكتت ، لان صوتها كان يرتجف. ودموع ملتهبة كانت تحرق عينيها . سمعت " ماكس " يبتعد منصرفاً، فصارت وحيدة . جففت دموعها ، واخذت تجمع مغرستها وادواتها ، واسرعت لتذهب للحاق بالقارب ، وهي تتساءل كيف ستحتمل ليلة كاملة اخرى .

بعد بدء عملها بقليل ، دخل شرطيان إلى المطعم الصغير . بدا لـ"ليا"، انهما قد جاءا للبحث عن شخص ما هنا ، لم تكن تشعر باي شيء من الخطر ، ومع ذلك بدا لها انها مخطئة في ظنها هذا .

اخذا يتفرسان فيها - لبرهة - باهتمام بالغ ، ثم انتهى بهما الأمر إلى الجلوس امام إحدى الموائد التي تقع في نطاق خدمتها . إذن لقد جاءا لتناول الطعام : حاولت " ليا " الا يبدو عليها شيء يشغل تفكيرها ، وعلى الرغم من ذلك ، ففي الوقت الذي اتت لهم بقائمة الطعام ، داخلها شعور باقتراب الخطر. تجاهلت نظراتهما تماماً، ووضعت قائمتي الطعام امامهما بسرعة ، وتقهقرت إلى الخلف ، لم تشعر بذلك الرجل الذي وقف خلفها وقد قطع الطريق عليها فاصطدمت به بقوة . في اللحظة التي امسك فيها بكتفيها ليحفظ توازنها ، في هذه اللحظة ، عرفته . فاخذ قلبها يخفق بشدة .

- " حسنا ، انحاول ان نبدو بصورة طيبة امام الشرطة ؟ ".

- " دعني امر . اشكرك ، لدي زبائن اقوم بخدمتهم ".

واستدارت بسرعة من امامه ، دون ان تلاحظ انه اخذ يركز ناظريه على المريلة التي ترتديها وذلك الدفتر الصغير الذي تمسك به في يدها.

فرت تحتمي بالمطبخ لتهدئ من ارتجاف ساقيها ، لكنها لن تستطيع ان تظل في مخبئها هذا طوال الليل ! راحت تواصل عملها ، برأس شامخ . اخذت تخدم بضع موائد ، ثم اقتربت من الشرطيين ومن "ماكس" الذي كان قد جلس إلى مائدتهما . لابد انه على علم بما حضرا من اجله . فاخذ هو يطلب الطعام :

- " شريحتي إسكالوب بتلو ، ودجاجة ، وزجاجة من الشراب وبعض المياه المعدنية ".

- " مياه معدنية غازية ؟ ".

- " لا ، غير غازية ، متى تنتهين من عملك ؟ ".

- " عندما ينتهي غسل الصحون ".

ثم استدارت دون أن تضيف كلمة أخرى طوال الليل كانت تشعر بعينيه وقد تركزت عليها ، بإلحاح . بدا لها الأمر غريباً أن تقوم بخدمته ، وللأمانة ، فإن هذه التجربة لم ترق لها أبدا . كرهت أن توجد معه في هذا الوضع المهين . بقي الرجال الثلاثة طويلاً بعد احتساء القهوة والشراب . وأخيراً ، دفعوا حسابهم وانصرفوا بعد كل الزبائن، دون أن يتركوا أي إكرامية . جمعت " ليا " أطباقهم واتجهت إلى حوض الغسيل ، وقد أخذت تفكر بضيق في وضعها الاجتماعي . دفع لها صاحب المطعم راتبها وهو يبتسم ، وراح يشجعها على العمل، بأن ربت ربتة خفيفة على رأسها . وأخيراً ، تستطيع الآن الانصراف لتنام .

لكن في الطريق ، خرج شبح من تحت إحدى الأشجار ليقطع عليها مسيرها . كان " ماكس " .

- " تعالي " .

كانت " ليا " متعبة للغاية حتى لاتستطيع أن تساله إلى أين يصطحبها . تابعته ، طائعة . أخذ قلبها يدق عندما أمسك بيدها ، ليساعدها على ركوب قاربه . جلست على المقعد في هدوء ، بينما أخذ "ماكس" يقود القارب تجاه جزيرته ، وقد علا صوت المحرك . لكن ، عندما أصبحا في منتصف الطريق ، أوقف المحرك ، تاركا القارب يسير ببطء ، فوق المياه المظلمة .

- "هانذا ، استمع إليك " .

لم تعد " ليا " بقادرة على الاختباء أو الكذب . لم يبق الآن إلا شيء واحد تعمل حسابه ، أن تبرئ نفسها أمام عيني " ماكس " جلس إلى جوارها وراح يواصل :

- " حسناً ، لنبدأ من البداية ، إنك تعملين لدى " تراتوريا " منذ أول يوم ، أليس كذلك ؟ " .

- " بلى " .

- " هذا إذن هو سبب عودتك متأخرة كل ليلة ؟ " .

فهزت راسها بالموافقة .

- " ولم - بالله عليك - لم تخبريني بشيء ؟ " .

- "لم تدع لي وقتاً لأخبرك . كنت قد كونت رأياً بالفعل يجيب عن تساؤلاتك..." .

- " كنت قد فجعت . في تلك الليلة الأولى ، كنت تبدين على حال ... كنت تبدين ثملة تماماً " .

- " ثملة ، جائز ، لكن من الإنهاك والتعب " .

- " أيتها الحمقاء الصغيرة ! لم التحقت بهذا العمل ؟ " .

- " لم يكن معي نقود . وكان يتحتم علي أن أدفع فاتورة الفندق " .

- " لكن ، حسناً ، لابد أنه كان بحوزتك نقود لدى حضورك ؟ " .

- " نعم ، لكن ... " سيلينا " ... حاول أن تفهمها ، يا " ماكس " ، لقد كانت في غاية الخوف ! كانت قد رتبت الأمر كله . فبينما كنت أتناول العشاء معك في الليلة الأولى ، رحلت ومعها حقيبتي ، وكل نقودي ، وملابسي .. كل شيء " .

- " رباه ، إن هذا مريع ! " .

أخذها بين ذراعيه ، ودفنت " ليا " رأسها في صدره العريض ، تتألم أن غدرت بأختها ، لكن خفف عنها أن راحت تبكي . أخيراً ، صدقها ! . راح يمسح على شعرها ، وأصبح صوته رقيقاً .

- " يالك من حمقاء ! كان يجب أن تخبريني ، إني لا أفهم ... لابد أنك قد أنهكت للغاية " .

وراح يطبع قبلات قصيرة بطول رقبتها . وأخذ يتحول دون أن يشعر ، من الحنان والرثاء ، إلى عناق ملتهب مستعر . تململت " ليا " منه ، وابتعدت إلى أقصى الجانب الآخر من المقعد الخشبي .

- " توقف ! " .

- " ليا " ... " .

- " ماكس " ، لم نخلق ليكون كل منا للآخر " .

- " لا ، لقد خلقنا لبعضنا ... " .

- " لا ، هذا مستحيل . في الحقيقة ، إني لا أحبك " .

- " هذا مالم يخبرني به صوتك ... " .

كان يهمس بهذه الكلمات الأخيرة . وبإصبعه ، راح يمسح ذراعها العاري لم تكن لتتحمل تلك القشعريرة التي تحس بها الآن ، ولا تلك الأنة التي تكتمها من السعادة التي تختنق بداخلها ، وردت بصوت خفيض كالهمس :

- " لأنك تعرف كيف تكون فاتناً خلاباً ... ولأنني ، لا خبرة لي بمثل هذه الأمور " .

- " هذا ما ظننته بالفعل ".

- " هذا لا يعطيك اي حق عليّ ، بالعكس . بمجرد ان تحل الامور المعلقة هنا سارحل لدياري . فلماذا - إذن - نقدم على شيء ، سنندم عليه بعد ذلك ؟ ".

- " إنك منهكة الآن . لنعد إلى القصر . عموماً لم اخطئ في رايي فيك، انطباعي الأول عنك كان صحيحاً فلتبقي بالقصر حتى تعود "سيلينا"، غداً صباحاً، سابعث "باولو" ليدفع فاتورة الفندق . ولا مدعاة - إذن - لعودتك إلى العمل بمطعم " تراتوريا " بعد الآن ".

- " لا يمكنني ان اسالك ان تفعل ذلك ! ".

- " وانا ، لا استطيع ان اراك تضحين بنفسك من اجل اختك ، ولا افعل شيئاً إنك مخلصة للغاية ، وهي لا تستحق ذلك ، عندما تعثر الشرطة عليها ، ستكون مفاجاة كبرى لها ، وستفهم . لقد علمت هذا المساء ، انها معرضة للسجن عشرة اعوام ، للسرقة المقترنة بخيانة الأمانة ".

- " ماكس " ! " سيلينا " ليست مذنبة . لم تكن هي التي اخذت المال والجواهر إنه " رونزو " .

- " كفى ! إني لا اصدقك ، ويجب الا تصدقي مثل هذه الاقاويل المغلوطة . لاتتهمي اخي بغير دليل ".

- " إنني سافعل اي شيء ، لامنعك من ان تزج باختي إلى السجن . إنها بريئة ! ".

- "سيلينا" مسؤولة عن افعالها. والعدالة يجب ان تاخذ مجراها....".

- " لن تستطيع شيئاً ، فليس لديك دليل على اتهاماتك ".

- " للمرة الأخيرة ، حاولي ان تريها على حقيقتها . هل تعلمين انها كانت تسعى لإلحاق الفضيحة بنا ؟ ".

- " فضيحة ؟ ".

- " تماماً . ذات ليلة ، رتبت الأمر بحيث اجدها في فراش " رونزو " . كان المغفل نائماً ، وهي بجواره ، فخور كانما قد احرزت انتصاراً ، متظاهرة بانه قد اغواها وراودها عن نفسها . الشرطة نصحتني ان استر الفضيحة فلا اكشف عنها شيئاً ... لقد كانت تنشد إيذاءنا إيذاء شديداً ".

- " استحلفك ، الا تشرك الشرطة في هذا الأمر ".

وامتلات عيناها بدموع راحت تكفكفها سريعا بحركة من يدها

- " فكر في حال زوج امي ، إن ذهبت " سيلينا " إلى السجن ، فلن يستطيع الصمود لهذه الكارثة ابداً . إنه يعبدها ".

- " تماماً ، وهذه هي المشكلة . إنها طفلة مدللة ".

- " كن رحيماً ، استحلفك بالله ! لا تكن بهذه القسوة ... كانت تشعر بخيبة الأمل . ولقد حذرناها مما هي فيه ... سافعل كل ما تريد ! بيد اني لا اعرف كيف اقنعها ".

اخذ يتفرس فيها بعمق .

- " إني اعلم ما اريده تماماً ، ما يجعلني انسى كل شيء ... اريد ان اكون اول من يعلمك الحب . اريد ان ارى على وجهك بريق السعادة ، ان اتعرف عليك، لا اريد ان يطغى اي شيء على هذه السعادة ".

هي نفسها ، اكانت ترغب في شيء آخر ؟ لكنها كانت لا تستطيع ان تتنازل لتقبل حب رجل غريب ، بمثل هذه السهولة .....

- " إني متعبة للغاية ، " همست من وراء قلبها ، " ولا استطيع رؤية الامور بوضوح الآن ".

- " فلنبق معاً بعض الوقت ".

- " لا ، اريد العودة الآن ".

- " معنى هذا ، انك لا تريدين البقاء معي ؟ ".

- " لا ، إنني منهكة فقط ".

- " إنك لست امينة مع نفسك ".

- " الرحمة ! ".

بدون ان ينطق بكلمة ، قام من جوارها واستدار ببطء إلى مقدم القارب . وكانت عودتهما للجزيرة غارقة في الصمت ... عندما وصلا ، اخذ يساعدها على النزول من القارب ، وهو يقول بصوت يخرج منه بصعوبة".

- " فلتصعدي إلى حجرتك وحيدة ، ساتالم بشدة الا اتبعك ".

لم تستطع "ليا" ان تواجه نظراته : لم تكن قد اعتادت بعد على ذلك التغير الذي طرأ عليه.. ولما وصلت إلى حجرتها ، سقطت على الفراش، ونامت كما هي ، دون ان تغير حتى ملابسها .

في صباح اليوم التالي ، لم يكن " ماكس " موجوداً على الفطور . دهشت " ليا "، ثم استغرقها العمل كلية . اصبحت اكثر ثقة وبدات تجد

للسعادة معنى ، كما لم تجدها من قبل ، فمن الآن فصاعداً لن تعود للذهاب إلى " تراتوريا " . اصبح لديها اخيراً ، طوال الليل لتنعم بنوم هانئ لذيذ . بدا لها الآن كل شيء ممكنا سهلا ، واصبحت تتمنى ايضا ان تقنع " ماكس " بالإقلاع عن مطاردة "سيلينا" ، فمن يدري ؟ ربما قد تساعدها الكونتيسة العجوز في هذا الأمر ؟

عند نهاية جولتها الأخيرة ، اتاها " باولو " حاملاً رسالة ... "ماكس" يدعوها لتناول الشراب في السابعة ، ثم للعشاء بعد ذلك في الصالون. إذن فهنا ستكون الملحمة ، حيث يجب الا تفقد رباطة جاشها او رجاحة عقلها .

عندما فتحت الباب ، وجدته امامها ، فتجمدت مكانها . كم هو فاتن، في حلته (الإسموكنج) من الحرير الرمادي المخطط بخطوط سوداء ، وربطة العنق على شكل الفراشة من الساتان الأسود ! بدا وجهه متعباً متجهماً ، ومؤثرا على الرغم من كل شيء .

- " مساء الخير يا " ماكس " .

- " مساء الخير . ماذا تشربين ؟ " .

- " بعضا من الشراب العادي"

ناولها كوباً ، واشار لها لتجلس .

- " ستاتي جدتي في غضون دقائق " .

ارتبكت " ليا " بعض الشيء لسماع هذه الكلمات . لم تكن قد هيات نفسها للدخول في صلب الموضوع بمثل هذه السرعة ، بيد انها لم تشعر بالشجاعة للحديث امام السيدة المسنة . راحت تحاول التمسك بالشجاعة بكل قوتها :

- " ماكس " ... " .

- " نعم ؟ " .

- " إنني ارجوك ان تنتظر عودة " سيلينا " و " رونزو " ، قبل ان تبلغ الشرطة رسمياً . إني على ثقة من انهما سيعيدان النقود ، فلتدع لهما تلك الفرصة على الاقل " .

- " وما الذي سيعود علي بالنفع من وراء تلك الشهامة الكبيرة ؟ " .

- " إنك تعلم تماماً ، انها الطريقة الوحيدة لتجنب الفضيحة " .

- " وهل تظنين ان هذا يهمني كثيراً ، انا بالذات ، شرف عائلة "مازاردي"؟ " .

- " نعم بالتاكيد " ، وبدرجة كبيرة . إنك لتفعل المستحيل ، او تظن ان هذا لايلاحظ ؟ اما انا ، فإني اعلم تماماً انك قد احببت اباك بشدة " .

قام ليملأ كاسيهما .

- " حسناً ، إنك تعرفين كيف تجهدين عقلك ، لكنك قد نسيت شيئاً . انني لاستطيع ان ادع الناس يقولون : إني قد سرقت ولم افعل اي شيء ، سافقد مهابتي كرجل اعمال . يجب ان تدفع " سيلينا " ثمن ما جنته يداها ، مهما كانت نواياي طيبة ، او كنت ذا شهامة او مروءة " .

كانت " ليا " - الآن - ترى امامها الرجل كما وصفوه لها تماماً : بلا مشاعر، باردا ، لا يقيم الأحاسيس إلا بحساب المنافع والخسائر . ومع ذلك فقد بدا صوته يميل للرقة عندما راح يضيف :

- " هناك شيء واحد فقط ، يجعلني اغير رأيي ... " .

- " أن يتم تغيير عقلك بعقل جديد ؟ " .

- " لديك ردود بارعة ! " .

نطق تلك الكلمات بابتسامة حزينة ، وضع كاسه ، وراح يتناول يديها بين كفيه" .

- " إنه انت فقط ، يا " ليا " ، من يستطيع ان يجعلني ارى الأمور بصورة مختلفة ، وانت تعلمين جيداً كيف يمكنك ذلك " .

نزعت يديها بقوة من بين يديه .

- " هذا هو الأمر إذن ، هذه هي طريقتك لغوايتي ؟ التهديد بالفضيحة ؟ قد تكون حققت بعض الفوز ، لكن حبك هذا لن يدوم ابداً ، في مثل هذه الظروف التي تفرضها " .

- " إنك لمخطئة ، إنني دائما احظى بعلاقات وطيدة تدوم طويلاً ... " .

- " صه ! " .

كانت لا تريد ان تعلم شيئاً . خاصة ، ان تتخيله في احضان نساء اخريات ! بدت لها تلك الفكرة اكبر من ان تحتملها . امام اضطرابها الذي بدا له ، جثا على ركبتيه في مواجهتها وراح يقبل يدها برقة شديدة . كان صوته يهتز من العاطفة التي تتاجج بداخله .

- " ليا " ... كفي عن المقاومة ، إن عقلك يملي عليك مبادئ كبيرة للغاية، ولكني اشعر من نبضات جسدك انه باستطاعتنا ان نتفاهم ، وانه إن تركتني افعل ، فسيصير كل شيء صافياً رائقاً ، سيكون الطريق امامنا واضحاً مفتوحاً ، اخيراً " .

أخذ يطبع قبلاته على ركبتيها ، ناظرا إليها بعينيه اللتين بدتا ناعمتين كالمخمل .

- " لا ، لا يا " ماكس " . إنني لست بدمية ، تلهو بها ثم تلقيها . إنك لن تستطيع أن تغير من الأمر شيئاً ، واختي مثلي تماماً . إننا نصون انفسنا للرجل الذي يبقى ويعيش معنا طوال الحياة . لسوف اهب عذريتي لزوجي " .

أخذ يرجوها بعينيه طويلاً ، ثم قام ، في نفس اللحظة التي دخلت فيها الكونتيسة العجوز إلى الصالون . كانت في غاية الأناقة هذا المساء ، كان كل ما ترتديه مصنوعا من قماش الكريب الأسود ، وقد عقصت شعرها ورفعته إلى اعلى . اخذ ماكس " يداري عواطفه المشبوبة ، بصعوبة لا حظتها "ليا" ، وتاثرت بها . زاد إعجابها به لمحاولته مداراة احاسيسه في حضور السيدة المسنة . كانت تحب ان تقدم له المزيد الآن ، لكنها لم تكن تملك سوى الرافة له ، والتالم لحال الانكسار البادية على ملامحه . من آن إلى آخر ، كانت تحاول ان تمنحه نظراتها ، لكنه كان يتحاشى النظر إليها ، ويعب من الشراب عباً . ولما حان موعد التحلية ، قامت المراة المسنة فقالت وقد ارتسمت ابتسامة راضية على وجهها :

- " إنني انتظر بفارغ الصبر عودة " رونزو " . هو على الاقل ، يمكنه ان يعينني فيما اريد عمله ! يمكننا إقامة حفل ... اما " ماسيمو " ، فهو لا يفعل شيئاً مبهجاً ابداً " .

قال " ماكس " :

- " هذا ، إن عاد ثانية ! " .

- " لكن ، سنرى ، سيعود .. سنرى ، لقد اخطرني بيوم عودته .. " .

واخذت المراة تبحث باهتمام عن شيء في حقيبتها ، بينما اخذ "ماكس" و"ليا" يتبادلان نظرة غير مصدقة . استدار جهة جدته ، واخذ يسائلها بإلحاح :

- " كيف ؟ هل كتب " رونزو " رسالة لك ؟ " .

- "بالتاكيد ! إنه لن يكتب إليك انت، بعد كل ما فعلته لتعوق زواجه!" .

- " دعيني اقرا رسالته " .

- " ها هي ذي ، لكن اقرا بصوت مرتفع ، فسيسعدني هذا . "

كان " ماكس" يضطرب بالانفعالات التي تهزه هزاً . وبدا يقرا بصوت

هادئ : " جدتي الغالية إنني اطلب عفوك ومغفرتك ، لانني رحلت دون ان اودعك . إنك تعلمين تماماً أن " ماسيمو " هو الذي دفعني لهذا . إنه اقوى بكثير مني ، فلم استطع إقناعه... " .

- " صغيري المسكين ! "

قاطعته الكونتيسة ، غير عابئة بالنظرة الملتهبة التي القى بها "ماكس" إليها . ثم واصل القراءة :

لقد قمنا انا و " سيلينا " بالزواج ، بعد استخراج الرخصة الخاصة بذلك . وسنعود لنحصل على مباركتك لهذه الزيجة ، واتمنى ، ان نحصل ايضا على مباركة " ماسيمو " . اخطريه بذلك ، واخبري "ليا" اننا ناسف أشد الأسف ، لاضطرارنا للرحيل آخذين حاجاتها معنا . لقد كانت فكرتي . ارجو ان يكون " ماسيمو " من العدالة ، بحيث لا يعاقبها على فعلة هي بريئة منها " .

- " ترك " ماكس " الرسالة ، والقى بابتسامة - وقد انجلت الحقيقة له - نحو - " ليا " فسالته :

- " ولكنه لم يذكر النقود التي كانت بالخزانة ولا الجواهر ؟ " .

نظر " ماكس " مرة اخرى نحو الرسالة .

- " لا يوجد بها شيء آخر " .

- " إذن ، هل ستتقبل هذا الزواج ؟ " .

سالته الكونتيسة :

- " إنك كبير العائلة . وهذا الأمر في غاية الأهمية " .

- " إنني مجبر على هذا ، ولكني ساظل على رايي : ان هذا الزواج كان خطا كبيراً " .

- " حسناً ، أما انا، فإني سعيدة لأجل ابني الصغير . إنك بغير قلب. هو ، على الاقل ، قد قام بما يجب القيام به . سوف يمنحنا ابناء ليرثونا ! وانا اشك ان تتخذ انت مثل هذا القرار ابداً " .

- " إن افراد عائلة " مازاردي " لا يتزوجون إلا عن حب ، وهذا تقليد عائلي انا حريص على احترامه " .

انقبض قلب " ليا " ، فقد بدا عليه كما لو كان وحيداً لايجد حبيبا...

- " لن تعثر على نصفك الآخر بالتبتل ، ياولدي . إنك لا تعرف سوى العمل . لو كنت تخرج ، مثل " رونزو " ، لو كنت ترتب حفلات استقبال او زيارات ... " .

- لدي هنا الكثير مما أحاول ان أجد فيه السعادة . الا ترين فيما تقولينه بعضا من المراهقة والنزق ، ان اقيم الولائم والحفلات ، بعد موت أبي ؟ ".

- ولماذا تظن انه انجبك إذن ؟ إنك لم تحبه ابداً ! ".

شاهدت " ليا " نظرات " ماكس "، كان يبدو كمن يتلو صلوات خاشعة في صمت . كانت تود لو يعرف كم هي تقدره وتفخر به ، وكانت تتمنى لو يؤكد حبه لوالده . ولم يخيب ظنها .

- كلا ، ياجدتي ، بل إني احبه بعمق ، كما كنت وساظل احبكم جميعاً ".

لم تبد الكونتيسة اي دهشة .

- ومع ذلك ، لم تعبر لنا ابداً عن ذلك ، لم تدعنا ابداً نهتم بك ونرعاك، كما كنا نفعل مع اخيك " رونزو " ، الذي كان دائماً في غاية الحنان ...".

- ارجوك ، كفي عن مقارنة " ماكس " بـ "رونزو " ، تلك المقارنة التي لاتتوقف . تلك المقارنة التي تؤلمه إيلاماً شديداً ، وتؤذي نفسه ، وتؤرقه" ، كانت "ليا" تقول لها وكانها تصرخ :

- تؤذي " ماسيمو " ؟ بلا شك ، بل " رونزو " هو الذي كان دائماً في حاجة إلى ان يشعر بثقته في نفسه . " ماسيمو "، إنه بخير دائماً ، إنه لم يكن ابداً في حاجة إلى تعضيد او مساعدة من احد . بالعكس ، لقد كنا نخشى دائماً ، الا يشعر بهيبته ، كنا مضطرين ان نشعره بمنزلته التي لا يجرؤ احد على الاقتراب منها على مهابته التي لا تقارن ولا تطال ، كنا مضطرين دائما إلى ذلك ، إلى إثبات هذه الحقيقة من ان إلى آخر . إنه افضل من " رونزو " في كل شيء : إنه يجيد السباحة احسن من اي رجل في " استريزا "، إنه اكثرهم جمالاً ، اكثرهم وسامة، اكثرهم قوة . كان هو الأول دائما على فرقته الدراسية ، بطل جميع السباقات ، يمتلك اكبر عدد من الأصدقاء . بل من الواجب دائماً تعضيد " رونزو " المسكين ، مع مثل هذا الأخ!".

همست " ليا ":

- إنني لا اكاد اصدق انني ...".

- اساليه ؟". ليس النجاح هو كل شيء للإنسان ! بل التاكد من حب وعطف العائلة عليه . بالنسبة لـ " ماكس " بالذات ، على اية حال ".

ونظرت إليه نظرة تالم لأجله . فاضطرب قلبها يخفق بشدة . لما راته ينظر لها تلك النظرة السعيدة الممتنة . كان تعبيره ، تعبير شخص يجد العالم قد بدا يتفتح امامه .

تهربت " ليا " من نظرات السيدة المسنة ، لتكمل :

- إنه في حاجة إلى حبكم ، اكثر من اي وقت مضى ، في حاجة إلى ثقتكم . لقد قدم تضحيات كبيرة وتحمل مسؤوليات هائلة ".

- ليس باكثر مما قمت به ، ياعزيزتي الصغيرة ، في دار امتلات بالمسنات الثقيلات من امثالي ! ".

- كلا ! فـ"ماكس" لديه شركة كبيرة وموظفون ، من واجبه نحوهم جميعاً الا يقع في اي خطا . إني اعلم انه يكاد يجن لابتعاده كل هذا الوقت عن ...".

- ولكني لم اكن اعلم اي شيء عن كل هذا ، يا " ماسيمو " ! ".

رد " ماكس ":

- لقد كنت ترفضين دائما ان احدثك عن سنوات غربتي . كنت ترفضين دائما سفري إلى إنجلترا ، فكنت تقاطعين حديثي إن حاولت ان اشرح لك حياتي هناك ".

- لقد ... لقد تاثرت بشدة .... يا " ماكس "! ".

التمعت عينا السيدة المسنة بالدموع . القى " ماكس " بمنديله على المائدة وقام ليضمها إلى قلبه . فاخذت تبكي كالطفلة بين ذراعيه .

سعدت " ليا " ، ان كانت السبب في هذا التحول الأشبه بالمعجزة . فقامت من مكانها ، وغادرت الحجرة على اطراف اصابعها .

الفصل التاسع

ما إن ابتعدت لمدة امتار ، حتى سمعت صيحة تنبعث من خلفها . كان "ماكس" هو الذي جاء ليلحق بها .

- " انتظري ! " .

- " لا تترك جدتك وحيدة " .

- " ساعود إليها في الحال ، أريد أن انبهك، انه قد تم تغيير حجرتك. ساريك مكانها " .

صعدا درجات السلم العريض في صمت ، ثم مرا خلال القاعة التي امتلأت بالصور والرسوم .

واخيرا فتح باب حجرة جميلة ذات فراش وثير. استدارت "ليا" إليه.

- " ولكني لم اطلب شيئا من ذلك " .

- " لا يمكن تركك ، باية حال ، في الحجرة العلوية بعد الآن ! " .

ردت باختصار :

- " اشكرك ، ليلة سعيدة " .

- " إنه انا المدين لك بالشكر . لقدنجحت - بعبارات موجزة - فيما

فشلت انا فيه طوال اسابيع مضت " .

- " كان الوقت قد حان ليساعدك احد ما . إن جدتك امراة رائعة ، لكن ينقصها بعض من معرفة خبايا النفس البشرية . كان يجب ان يساعدها احد على ان ترى الحقيقة بوضوح " .

- " يمكن القول : إنني لم اصادفك ، إلا وحاولت محاسبتك على افعال "سيلينا"! ثم ها هو ذا الامر ينتهي بي ، لضرورة تقبل ان تقتحمي العائلة اقتحاماً " .

وخطا بضع خطوات إلى داخل الحجرة .

- " لا ، " ماكس " ، اهبط الآن ودع الحجرة " .

- " دعيني ادخل ، إنني في حاجة إلى الحديث معك " .

- " الحديث في اي شيء ؟ " .

- " إنك تعلمين تماماً ما اريد طلبه منك " .

اخذ يتقدم في الحجرة نحو "ليا"، التي راحت كل اطرافها ترتعش . إنها بالتاكيد تعلم ما يريده منها ... لكنها كانت ترفض . فلما حاول الاقتراب منها ، تقهقرت بسرعة بعيداً عنه .

- " ليا " ! إنني لا افهم لماذا تقومين بتعذيبي بهذا الشكل .. على الرغم من اني اعلم تماماً انك لا تختلفين في احاسيسك عني ! " .

- " إنني لا اختلف عنك في شيء واحد ، وهو ان كلا منا لديه مسؤولياته " ، واخذت تهمس إليه .

- " إننا لا نعيش في جزيرة مهجورة " .

- " نعم ، ولكن ما اهمية ذلك ؟ " .

- " كل حياتي كانت في دار المسنين ، فنزلاء الدار كانت لهم الأولوية دائماً . وانت ، انت لديك مؤسستك " .

- " ولكني في حاجة إليك يا " ليا " . كل دقيقة بدونك هي عذاب لي . عندما افكر في كل تلك الأعوام التي قضيتها بعيداً عنك ... لقد كان كل مافات من حياتنا عبثا ضائعاً " .

- " لا، فهناك عشرة افراد ينتظرونني، ولا يستطيعون الحياة بدوني " .

- " ليا " ، إنني لا استطيع أن اصدق انك سترحلين من هنا وكان شيئاً لم يحدث " .

- " بالتاكيد ، فهي المرة الأولى التي تجد فيها من يرفضك ... ولهذا لاتستطيع ان تصدق ".

همس إليها :

- " نعم ، نعم ".

- " اجلاً او عاجلاً ، كان يجب ان تواجه هذا ، اتمنى لك حظاً افضل في المرة القادمة ".

- " ولكن الأمر ليس بلهو ، يا " ليا " إني لا اريد سواك ، إنك انت من احب إنني اعلم الآن ما كان ينقص كل النساء اللاتي قابلتهن وعرفتهن .. إنها هذه الطهارة ، هذه الرقة ، تلك النظرة الدافئة الممتلئة بالمشاعر الفياضة للعالم كله . لقد شعرت بذلك من اول مرة رايتك فيها ، واعلم الآن انني لم اكن مخطئاً . انت ايضا ، إنك في حاجة إليّ ".

- " لا ، فلدي عملي ، وهو ما لن اتهرب منه ابداً . فلنبق صديقين ، ايرضيك ذلك ؟ ".

- " اتفضلين عشرة المسنين على الحياة معي ؟ ".

- " نعم ".

فالجمته المفاجاة برهة من الوقت. ثم اخذ يواصل بصوت مضطرب.

- " إذن ، ارحلي غداً ، فلا استطيع ان اراك اكثر من ذلك ، سوف ابتاع لك تذكرة الطائرة .وتستطيع " سيلينا " ان ترد لي الثمن عند عودتها ".

- " اشكرك ".

اخذ ينظر إليها مرة اخيرة بياس، ثم ترك الحجرة دون ان ينطق بكلمة اخرى، وبقيت "ليا" وحيدة، لم تسمح لنفسها بالبكاء، فهي إن استسلمت لاقل ضعف، فستضيع تماماً.. إذن، لقد تم الأمر: لقد قررت ان تهب حياتها تماماً لساكني دار المسنين، ان تضحي بعمرها كله فلا تقع في الحب ابداً ،إنها الآن، تكاد تشعر بالندم، لانها لم تقبل قضاء ليلة واحدة بين ذراعيه، وهو ما كان يرجوها ان تفعله. إنه هو، "ماكس"، رجل حياتها الوحيد، كانت تعلم تماماً، انها لن تحب سواه...! استحال النوم عليها، بعد كل تلك الانفعالات والأحاسيس التي تتدفق بداخلها. اخذت تفكر في هذا المشهد الأخير، وتسترجعه مراراً وتكراراً. من المحال لها ان تتراجع الآن، فقد قيل كل شيء ، لكنها

بدات تشك في كل ما قالته. اخذت تتخيل حالها عندما تعود إلى الديار: هل ستستطيع معاودة المرح والفكاهة ؟ هل ستستطيع التظاهر بان كل شيء كما هو ، كما كان في السابق ؟ سيكون شاقاً عليها ان تخفي الامها ... واخيراً ، قامت تنزع الحجرة جيئة وذهاباً ، ثم فتحت الستائر ووقفت في النافذة . إنها اخر ليلة لها على بحيرة " ماجور ".

كانت تريد ان ترى للمرة الأخيرة ، الأضواء وهي تتلالأ على صفحة الماء ، وقد تشبعت برقة الليل وانسيابه. ولفت نظرها ضوء ينبعث جهة مرسى القوارب. بدا شبحان يسيران في الدرب المؤدي إلى القصر، يتابط كل منهما ذراع الآخر . اخذ قلبها يخفق بشدة "سيلينا" تتابط ذراع رجل بجوارها ، متفحم الشعر ، يقتربان من القصر . ما إن اقتربا من مرمى صوتها ، حتى اخذت " ليا " تصيح منادية ، وقد جنت من السعادة ، ولم تعد تطيق صبراً . رفعت "سيلينا " راسها ، تبحث عن النافذة التي ينبعث منها الصوت . فرات اخيراً اختها، التي راحت تلوح لها بيدها سعيدة جزلة ، بعد لحظات قصيرة ، كانت " ليا " قد ارتدت الثوب الأزرق لـ "سيلينا "، ذلك الثوب الذي يظهر ملامح جسدها تماماً . ثم جرت نحوها مسرعة نحو درجات السلم .

- " لولو" ، عزيزتي ! "

اخذت " سيلينا " تبتسم سعيدة وهي تضم اختها إلى قلبها ، بيد انها لاحظت ان هناك ما يكدرها ويشغل بالها ، فحملقت فيها بدهشة . ينبغي الكثير من الوقت ، لـ " ليا " حتى تبث الامها ولواعجها بين الذراعين المريحتين ذراعي اختها الصغيرة .

- " ما الذي حدث لك ، يا " لولو " ؟ إنني لم ارك بمثل هذه الحالة ابداً" واستدارت جهة " رونزو " بينما " ليا " غرقت في دموعها .

- " هذا لا يصدق ، إنها المرة الأولى التي اراها تبكي يا " رونزو " ، المرة الأولى ! "

ارتسمت ابتسامة مواسية على وجه " رونزو " لاخت زوجته التي يراها للمرة الأولى . وواصلت " سيلينا ":

- " هيا ، لقد انتهت كل المشاكل الآن ، عليك ان تقومي بتحية زوجي الذي احبه بشدة ".

- " اهلا "، قالتها " ليا " بخجل .

- " اهلا ، يا " ليا "

رد عليها وهو يقبل وجنتيها . ثم اعتدلا ، واغرقا معا في الضحك ، فسالت " سيلينا " :

- " ما الذي يضحككما بهذا الشكل ؟ ".

- " انتما الاثنان . لقد كنت تقولين لي دائماً : إن اختك ليست فاتنة او ذات دلال ، ولكن ها هي ذي ، ترتدي لباسا كإحدى عارضات الأزياء، وتبدو تصفيفة شعرها كالاسد بهذا الشعر الرائع الجمال . فلتنظري إلى نفسك يا فاتنتي ، وانت بهذا الثوب المحتشم ، دون مساحيق تجميل ، وإلى تلك العينين الحزينتين ، إنه لأمر مضحك ، اليس كذلك؟"

اخذت الأختان تنظران كلتاهما إلى الأخرى ، وهما مبتسمتان ، ثم انفجرتا في الضحك ، نعم ! لقد انقلبت موازين العالم كله! بل إن الأمر قد تعدى حدود الزي والهيئة ، فاليوم قد اصبحت " ليا " هي التي تحتاج إلى " سيلينا " لتعينها وتعضدها . ارتمت كلتاهما في حضن الأخرى .

ثم قطع عليهما فجاة صوت بارد كالثلج .

- " حسناً ، حسناً ، يبدو ان روح الفكاهة تسود هاهنا ... ".

تراجعت "ليا " إلى الخلف ، وقلبها يدق دقاً عنيفاً ، وكان وجهها لا يزال ترطبه الدموع . كان "ماكس " هنا ، بدت ملابسه ، كانما قد نام بها دون ان يخلعها . ثم واصل حديثه :

- " لا اريد ان ازعجكم . لكنك مدين لي ببعض التوضيحات والتفسيرات يا "رونزو"، اليس كذلك ؟ اتبعني إلى مكتبي ، فإني اريد ان اسمع اعذارك ".

ثم استدار نحو " ليا " .

- " لن نكون في حاجة إليك ، فلتعودي إلى نومك ".

القت " سيلينا " بنظرة متحيرة نحو " ليا " التي بدا الحنق على نظراتها المعذبة .

- " لا تمارس قسوتك مع اختي ! فهي ستاتي معنا ، هذا محتم ، فنحن ندين بالاعتذار لها هي ايضا ".

رد " ماكس " بنبرات شابها الغموض .

- " لست في حاجة إلى ان تشرحي لي ذلك ".

وتقدمهم بخطوات واثقة ، وقد تبعهما " رونزو " و " سيلينا " ، وهما يسندان " ليا " المسكينة في سيرها .

سالتها "سيلينا" بصوت خفيض .

- " هل آذاك ؟ ".

- " نعم ولا ".

- " هذا رد عجيب ! ".

وفي المكتب اسند " ماكس " ظهره إلى جهة المدفاة ، وهو يواجه ثلاثتهم بنظرات كلها اتهام ، راح يضبط وضع ياقته ويصلح من هيئة ربطة عنقه ، بينما اقدمت " ليا " على النظر إليه بصعوبة .

- " حسناً ، من الذي اخذ النقود ؟ انت يا " رونزو " ام " سيلينا " ؟ ".

رد " رونزو " :

- " انا ، لقد بدات في اخذ النقود من الخزانة من قبل وفاة ابي ، لقد كنت في شدة الضيق ، لم يدعني افعل اي شيء ، ولم يكن يعطيني سنتيما واحداً . انا مدرك ان هذا تجاوز مني ، كان من واجبي مواجهته . انت ، قد استطعت ذلك ، ولكني لم اجدابداً مثل شجاعتك . لقد كان والدي يفضلك دائما لهذا السبب ".

- " إنك تخرف ، لقد كان يقوم بإذلالي ".

- " إذلالك ، انت ؟ إنني احلم ! لا اكاد اصدق انه كان يفعل ذلك ! لقد ربحت كل شيء ، ولم تحاول ان تبدي رضاء ابداً باي شيء . لا ، إنه باختصار كان يخشاك ، كما كنا نفعل ذلك جميعاً " .

اخذت " ليا " تستمع بصمت . إن هذا هو ما استطاعت فهمه من نفسها : عائلة " ماكس "، تبتعد عن تعضيده او مساندته ، وفي نفس الوقت تريد ان تجعله يدفع ثمن نجاحه ...

راح "رونزو" يواصل :

- " لهذا السبب بالذات ، اشعر انني قد وجدت نفسي إلى جوار "سيلينا". لاتفهميني بطريقة خطا يا " ليا "، إن هذا ليس بخطئك ! حتى كل تلك الأخطاء التي حدثت ، لم تكن بسبب اخي . ولكنك مثله ..".

- " انا ؟ بلا شك ، لا ، فلا يوجد اي شيء مشترك بيننا ! ".

قالت " سيلينا " بصوت خفيض :

- " كلا ، إنك كنت تعلمين دائماً كيف تتصرفين ، منذ ان اصبح لزاماً عليك تحمل المسؤولية ، اخذت على عاتقك اعمال المطبخ ، والإدارة ، والمحاسبة ، فلم يبق لي شيء لافعله ، لم يكن امامي سوى القيام بدور الشقراء المدللة الحسناء . إنك لم تعامليني ابداً على اني فتاة حمقاء ، بينما كنت تعلمين اني اقوم بذلك الدور ، فلم يكن امامي إلا ان ارحل ، لاحاول ان اثبت ان باستطاعتي التصرف في اموري وحدي ، حتى اقابل آخرين يروننني على حقيقتي ويتقبلوننني كما اكون ".

كانت " ليا " في ذهول لما تسمع .

- " ولكن ... لكنني لست بكاملة منزهة عن الخطا ، إنني لا افعل الصواب دائماً ، لا افعل صواباً خارج هذا الإطار الذي تتحدثين عنه ! كل ما في الأمر، انه كان يتحتم ان يتولى احد شؤون الدار ... "

وبدا " ماكس " يفقد صبره :

- " فلتواصل يا "رونزو " ... ".

- " حسناً ، لقد كنت مديناً ، وكان عليّ ان آخذ من الخزانة مالاً حتى ارد ديوني، وكنت اقوم بعد ذلك بتزوير الحسابات ، حتى لا يلاحظ اي نقص في السيولة . اما الآن ، فإنني نادم على كل ذلك اشد الندم . فانت إن كنت تلومني ، فإني اعاني اشد المعاناة ، دون ان تعلم بذلك او تشعر به ، ولن اطالبك بغير العدل ، فـ " سيلينا " ستنتظرني إلى ان اخرج من السجن ".

اخذ " ماكس " ينظر نحو " سيلينا " ، التي ظلت ثابتة دون ان يرمش لها جفن .

- " لم يصبح معه سنتيم واحد، لم يبق له سواك ... "

ردت عليه :

- " ليس لذلك اية اهمية : سنبقى معاً بمجرد عودته . سنعمل ، سنبني حياتنا معا ، تلك الأيام القاسية ستقربنا كلا إلى الآخر ، اكثر من اي وقت مضى . ستكون سعادة ليس كمثلها سعادة، ان نختبر قوتنا ومقدرتنا ".

قاطعها " ماكس " بتهكم :

- " ارى ان الوفاء الأعمى مرض منتشر في عائلتكما ".

- " بل إنهما زوج من الطيور النادرة ".

قال " رونزو " ذلك وهو يحتضن الاختين من كتفيهما .

- " إنني انتظر سماع بقية قصتك ".

- " بعد ان مات ابي ، لم اكن اعلم إلى اين سيكون مصيري . ورات جدتي انني لن اصلح لشيء ، فقامت باستدعائك ، وعندما وقعت في حب "سيلينا"، لم تكن تريد ان تعلم شيئاً ، كنت تكرهها ، وكنت ، كوالدي ، لا شيء يمكنه ان يغير من رايك ".

قالت "سيلينا" :

- " كل هذا بسبب ماحدث ، عندما اصطحبني بحارك لاقوم بجولة في البحيرة . لقد جئت للاسف في اللحظة ، المناسبة تماماً ، حين كنت اهم بدفعه لالقيه في الماء ، لادافع عن نفسي . للاسف ، لقد فهمت الأمور على عكسها تماماً ".

والتقط " رونزو " خيط الحوار :

-"ماسيمو"، اؤكد لك انني كنت الرجل الأول في حياة "سيلينا"... ".

القى " ماكس " بنظرة سريعة نحو " ليا " وراح يواصل مستسلماً :

- " حسن ، حسن ، لقد خدعتني المشاهد التي رايتها ، لقد اسات الظن ، اقدم لك اعتذاري ".

صاحت " ليا " :

- " اهذا سهل ! لقد اصبت اختي بالخوف الداهم ، لقد احلت حياتها جحيماً مستحيلاً ، وقاسيا بسببك اضطررت إلى المجيء إلى هنا ، اضطررت لهجر كل شيء ... ".

-"ليا"! . اقترب " ماكس " نحوها ، وقد امتلأت نظراته بالاحاسيس والانفعالات التي تعتمل بداخله ، يريد ان يضمها بين ذراعيه . لكنه تجمد مكانه، امام نيران نظراتها الملتهبة .

-"هل اذاك يا "لولو"؟ اجيبيني! لم اكن اظن ابداً انه سيجرؤ على ذلك! اتفهمين ؟، لقد كان يعارض زواجنا بشدة ، وكان "رونزو" في موقف ضعيف جداً بسبب موضوع الخزانة، فلم يكن امامنا اي خيار. وكان

"ماسيمو" يراقبنا بلا هوادة، فاضطررنا لأخذ ملابسك وحاجاتك. لم اكن اتصور انه سيحاول التهجم على شخص في رقتك وحنانك، شخص يمتلك تلك البراءة التي تمتلكينها . هل كان في غاية القسوة؟".

-" ليس بمثل قسوته مع فتاة اخرى ...".

-" لقد فهمت ...".

قال " رونزو " :

-" إننا لم نبعثر نقودك ... اعطيها الحقيبة ، ياعزيزتي . كل شيء كما هو بها ، يا " ليا " ، وارجو أن تغفري ما بدر منا من متاعب تكبدتها ".

-" بالتاكيد ".

سال " ماكس " :

-" إذن " ليا " لم تكن تعلم اي شيء ؟ "

فصرخت فيه " سيلينا " :

-" بالتاكيد ، هذا واضح !".

-" وماذا بشان الجواهر ؟ ".

سال " رونزو " دهشاً :

-" اية جواهر ؟ ".

-" جواهر جدتنا ، لقد كانت في الخزانة ، ثم اختفت منها ".

-" إنني لم المسها . اواثق انها كانت بالخزانة ؟ فهي لم تعد تضعها هناك منذ فترة طويلة . آخر مرة رايت فيها تلك الجواهر ، كانت حيث تخبئها في الصوان بحجرة والدي . إنك تعلم انها مصابة بداء النسيان ! لابد انها قد نسيت اين وضعتها . ابحث هناك ، فستجدها بالتاكيد ".

اندفع "ماكس" من الحجرة وهو يسب ويلعن .

وما إن خرج حتى استدارت " سيلينا " صوب " ليا " .

-" هيا ، صارحيني ! ما الذي حدث بينك وبين " ماسيمو " ؟ فإنه يبدو في الأمور اشياء غريبة ! ".

-" لا شيء بالمرة . لقد اخذت مكانك في العمل اثناء غيابك ، وكان اغلب الوقت في عصبية شديدة ، فكانت العلاقة بيننا متوترة بعض

الشيء ، هذا هو كل ما في الأمر ".

-" ولكنني لم اره ابداً بمثل هذه الحالة "

قالها " رونزو " معلقاً ، ثم اضاف :

-" لا اظنه قد حاول مراودتك عن نفسك مثلا ؟ ".

-" ليا " ، ردي ! "

اخذت "سيلينا" ترقب اختها باهتمام . وامام غموضها الغريب ، بدات تفهم الأمور على حقيقتها .

-" رباه ، اصحيح هذا ؟ لقد كنت تبكين إذن لهذا السبب ؟ لكنه لم يفعل شيئاً معك ، اتمنى ذلك ؟ ".

-" لا ، لا . ليس الأمر كما تظنين . لقد حاول لكنه لم يصر ".

لم تطق " سيلينا " إلا ان تعرف كل التفاصيل ، لكن " ليا " رفضت ان تخبرها باي شيء كانت منهكة ، فاخذت ترجو اختها ان تتركها لتنام ، لانها قد قررت ان تستقل السيارة في الغد إلى " ميلانو" ، حيث تركب اول طائرة إلى بلدها .

اصاب هذا القرار "سيلينا " و " رونزو " بالألم واللوعة ، لكن " ليا " لم تدع نفسها ابداً لتستسلم لجدالهما ومحاولاتهما لإثنائها عن عزمها.

اخذت الأختان تتبادلان كلمات الوداع ، وهما تشعران بالتمزق ، وانتزعت "ليا " من اختها وعداً بان ياتيا هي و " رونزو " لزيارتهم في "انجلترا "، لتقدمه للعائلة . وحتى ذلك الحين ستبقي على خبر الزواج في الخفاء ، ثم ستبدأ في التمهيد لهما رويداً رويداً ، حتى تخبر والديها بالنبا السعيد . واخيراً، صعدت إلى حجرتها . كان " ماكس " ينتظرها في الطريق . حاولت المرور من جواره دون ان تنطق بكلمة ، فامسك بذراعها ليمنعها .

-" دعني ".

-"لقد عثرت على جواهر جدتي . كانت تخبئها في بعض ملابس والدي...".

-" اه ! حسن جداً ".

-" لكن ، فلتقولي اي شيء . اصرخي ، اشتبكي معي . لاتهامي اختك اتهاماً ظالماً، لإجبارك على العيش هنا في عذاب وهوان بغير جريرة...".

- " اريد ان اعود إلى بلدي ".
- " وانا كذلك ".
- " ولكنك في بلدك ها هنا ! ".
- " لا ، بل في انجلترا ، إنها بلدتي الحقيقية ".
- " ماكس " ، إنني في غاية التعب ، إنني في حاجة إلى النوم . احرص على حسن معاملة " سيلينا " ، إنني على ثقة من انها ستكون مصدراً للسعادة هاهنا ".
- " كنت ارجو ذلك ، ولكني لن اكون هنا لأراها ".
- " إنها اخيراً تستطيع ان تتنفس بحرية دون اي تاثير منك عليها ".
- " هذا شيء مروع ، لم افكر في الوضع ابداً على هذا النحو ! ".
- " ولا انا كذلك "

رفعت " ليا " كتفيها تعبر عن عجزها ، ثم اتجهت نحو باب حجرتها. وادركت - متاخرة - ان " ماكس " كان لايزال يتابعها .

- " اريد الحديث معك ".
- " ليس هناك ما تبقى لنتحدث بشانه اتركني ".
- " ليس قبل ان تخبريني بسبب بكائك ".
- " ابكي من الفرح ، لأن " سيلينا " قد عادت اخيراً ".
- " كوني امينة . اريدك ان تجيبي عن سؤال واحد ساطرحه عليك ، سؤال واحد لاغير ".

اجابته بصوت مختنق :

- " لا ، لن امنحك نفسي ابداً ، لقد سبق ان اخبرتك بهذا ".

ابتسم ، واخذ يرفع ذقنها لتنظر إليه .

- " اريد ان ارى على وجهك ابتسامة انستي التي عرفتها ... والآن ، استمعي إلي . إنني احبك ، إنني اريد الزواج منك . سنجد حلاً لكل المشاكل الأخرى ، هذا امر يسهل حله ، لكن كوني امينة صادقة .... هل تحبينني ؟ اجيبي ... "

دهشت لتلك النظرة المهمومة التي بدت على وجهه . ورغماً عنها، فرت الحقيقة هاربة منها .

- " نعم ، نعم يا " ماكس "، إنني احبك . هذا لا ينبغي لي ، لكن ، نعم،

انا احبك ".

كانت تلك الكلمات تخرج منها فتذهله ، حتى لم يجد القوة ليتمالك نفسه. همس إليها :

- " يجب ان نقفز من الفرح ، لم نعاني المزيد من الاحزان ؟ ".
- "لانه ليس بإمكاننا ابداً ان نعيش حبنا . فلدينا الكثير من ، التضحيات لنقوم بها ، تضحيات سنظل ملتزمين بها دائماً وابداً ".

ولم تقو قدماها على حملها اكثر من ذلك . فذهبت لتجلس على الفراش ، بينما القى هو بنفسه جالساً على احد المقاعد ، ثم راحت تواصل :

- " في "انجلترا "، لديك مؤسستك ، ولدي دار المسنين . إنهم في حاجة إليّ ليلاً ونهاراً، هناك، حيث لن تطيق ان تعيش ثانية واحدة!".
- " ولكن تخيلي إن عدت ، بدوني . إن لم يعد احدنا يرى الآخر .... إنني ارى بوضوح كيف تبدو هذه الفكرة غير محتملة لك ، كما هي بالنسبة لي ... واخيراً، تخيلي انك هناك ، تقومين بعملك ، حزينة ... "ليا" ، لا يمكن ان تقرري في مثل سنك هذه الا تتزوجي ابداً ، ستكونين من الحزن والمعاناة ، حتى سيشعر الآخرون بذلك ، هل تظنين ان هذا هو ما يريدونه لك ".
- " لكن ... ".
- " ما الذي سينصحونك بفعله ، والداك وساكنو الدار ؟ ".
- " سيطلبون مني ان اكون انانية ، بالتاكيد ... لكني احذرك ان تذهب للتحدث معهم ، يا " ماكس " ! ".
- " عزيزتي ، إنني مستعد للتعاون معك ، مستعد لان اتفهمك ، لكن اخبريني اولاً ، بانك تريدين ان تعيشي حياتك معي ، بان زوجك وابناءك سيكون لهم الأولوية قبل اي شيء ".

فجاة جال بخاطرها هذا المشهد : الأطفال ، اطفال "ماكس " .

- " لا ، هذا في غاية القسوة ! ".
- " لماذا ؟ ".
- " لأن ... لانني اريد ان اعيش معك ، اريد اطفالاً منك ، لكن كيف ، كيف... ".

- هذا سهل ! يمكنني ان انقل مكان مؤسستي إلى جوار داركم ، ولكننا لن نعيش في دار المسنين ، حتى نحفظ لحياتنا خصوصيتها العائلية .. سنجد افضل امراة في البلد يمكنها ان تحل محلك لتبقى مع نزلاء الدار ، اما انت فسيكون باستطاعتك البقاء معهم وقتما تشائين، بشرط ان تكون الأولوية لي انا .. حسناً ، طوال الوقت تقريباً. مفهوم ؟ .

- مفهوم .

الآن ، عثرت مرة اخرى على ابتسامتها الغائبة ، تلك الابتسامة الناعمة ، واضاء وجهها كله بالسعادة .

- اقتربي ، اريد ان اقدم لك عربوناً ، يعبر عن حبي .

اخرج من جيبه ذلك " البروش " ذا الحجر الكهرمان ، الذي كانت قد ردته إليه، وكان يشعر كان ذلك منذ دهر بعيد ....

إن عمر هذا (البروش) اربعمائة عام ، لقد اهدي إلى السيدة " مازاردي " الكبرى ، ومنذ هذا التاريخ ، اصبح تقليداً عائلياً ، ان يهدي رجال العائلة هذا (البروش) إلى محبوباتهم .

اقتربت " ليا " من " ماكس " ، واضطربت أصابعه وهو يثبته على صدر فستانها . فما منحته له الآن في المقابل كان يطغى على كل مشاعره واحاسيسه : لقد منحته ابتسامة انسته المحبة او " مادونا " كما كان ينطقها بلغته الإيطالية ، واخيراً ، في خضم هذا الليل المنسدل ستره ، منحته نفسها .

اخذت " ليا " و " ماكس " يتحدثان حتى لاحت خيوط الفجر بالخارج ، تغطت السماء بسحب تتناغم فيها الألوان الحمراء والذهبية ، وفي غضون برهة غاص المكان كله في ضياء .. راح يحتضن السماء ، والجبال ، والبحيرة .

ثم ارتفعت الشمس كاملة ، فبعثت باشعتها لتحتضن حبهما ، ولتمنح صفحة الماء زرقة ساحرة ، عميقة ، متناهية ، سرمدية .

(تمت بحمد الله)